فلسطين

بين الاغتصاب والتسليم

متولي موسى

كتاب الرائد
-١١-

الدار الاسلامية للاعلام
بون - المانيا الاتحادية

بسم الله الرحمن الرحيم

فلسطين
بين الاغتصاب والتسليم

متولي موسى

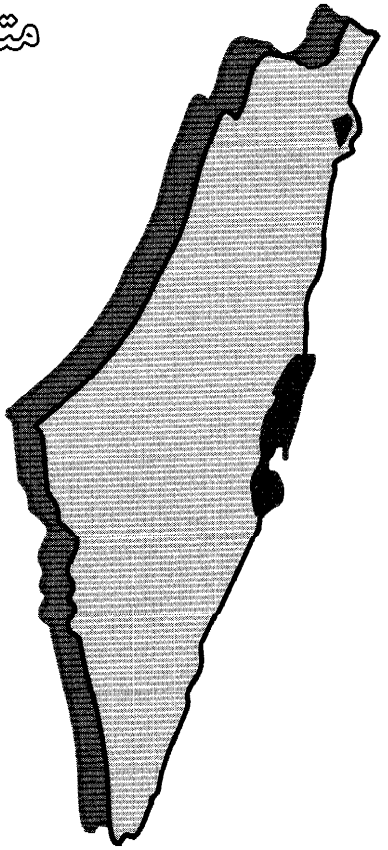

كتاب الرائد
- ١١ -

الدار الاسلامية للاعلام
بون - المانيا الاتحادية

الطبعة الأولىٰ

صفر ١٤١٣ للهجرة / آب ـ أغسطس ١٩٩٢م
حقوق الطبع محفوظة للدار الإسلامية للإعلام
بون ـ ألمانيا الغربية

I. I. D. e.V.
POSTFACH (P.O.BOX): 100810
D- 52008 Aachen
DEUTSCHLAND

محتوى الكتاب

الإهداء ٧

البحث الأول: تمهيد ١٩

البحث الثاني: الحركة الصهيونية من الفكر إلى الدولة ٣٧

البحث الثالث: مبدأ توفير الأرض ٦١

البحث الرابع: محاولات «التسوية السلمية» ٨٣

البحث الخامس: مبدأ تهجير يهود الشتات وتشتيت الفلسطينيين . ١٠٧

البحث السادس: مبدأ توفير المال اللازم لقيام «الدولة» واستمرارها ١٣٧

البحث السابع: لا تيأسوا من المستقبل أيها المسلمون ١٥٧

هذا الكتاب

يصـدر هذا الكتـاب في مرحلة تعتبر من أشد مراحل السقوط العربي الرسمي والشعبي ظلاماً وبأساً وإحباطاً . . فجاء هذا السفر معبراً عن رؤية إسلامية أصيلة إلى القضية المحورية في حياة المسلمين . . قضية فلسطين . . !! وقد أمـاط المؤلف اللثـام عن أبشع جريمة في تاريخ الحضارة الغربية . . ووضع الأيدي على مراحل العبث بهذه القضية من قبـل الحكام العرب . . أما الشعوب النائمة على طول محـور «طنجـة ـ جاكـرتا» فإنها تحمل مسؤولية كبرى في تقـاعسهـا عن خوض المعـركـة الحضـاريـة الضارية التي تفرضها قوى الشر العالمية على المسلمين .

ويـرى المؤلف أن المستقبـل مفعم بالأمـل شريطة أن يعـرف المسلمـون طريق العـزة . . وأن ينهضوا إلى البذل والعمل ، وكأن الكاتب يردد قول الأستاذ عصام العطار :

تأتي جِرَاحُ فَتَثْوي في أَضَالِعِنا ... عَلَى جِرَاحٍ ولا نَنْسَى فِلَسْطِينا
الدِّينُ يَهْتِفُ أَنْ هُبُّوا لِنُصرَتِهَا ... وَالقُدْس تَهْتِفُ لا تَلْقَىٰ المُجيبينا
يُمِيتُنَا الحُزْنُ تَفْكِيراً بِحَاضِرِنَا ... وَيَبْعثُ الغَدُ آمَالاً فَيُحْيِينَا

الناشر

الدار الإسلامية للاعلام

الإهداء :

إلى زوجتي الوفية . . التي قدر الله تعالى أن أتركها في مصر مسافراً إلى ألمانيا بعد ثلاثة أسابيع من البناء بها ، ثم لحقت بي بعد أربعة أشهر لترافقني في غربتي حتى الآن؛ فتحملت بذلك مشقات البعد عن الأهل والأصدقاء والوطن، كما تحملت في نفس الوقت مصاعب ومشقات الغربة المتعددة والمتزايدة بولادة الأبناء وتنشئتهم في بلاد المهجر. .

إلى زوجتي الصابرة المصابرة . أهدي هذا الكتاب اعترافاً بحسن صنيعها في توفير الظروف والجو العائلي المساعد على القراءة والكتابة والتنقل والسفر . . فضلاً عن النصائح التي قدمتها بوصفها القارىء الأول لكثير من المواضيع التي كتبت، وأعمال المراجعة لمواضيع هذا الكتاب على الأخص، إذ أنها كانت من أوائل المشجعين على تجميعه وإخراجه. . جزاها الله تعالى عني وعن أبنائي أفضل الجزاء. . وأسأله تعالى أن يوفقنا لما فيه سعادة الدنيا والآخرة، إنه سبحانه خير من يسأل. .

متولي

مقدمـــــــة

إن الحمد لله تعالى، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾** (آل عمران: ١٠٢)، **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾** (النساء: ١)، **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾** (الأحزاب: ٧٠).

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمد ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

تجري في هذه الأيام في عواصم مختلفة من العالم عملية إخراج للفصل المثير من فصول جريمة العصر، جريمة تشتيت أبناء فلسطين من أرضهم، وتهجير يهود الشتات ليسكنوا أرض فلسطين، وهذه مأساة متكررة في حياة العرب والمسلمين الذين حذرهم رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ من تكرار الحدث السيء في حياتهم قائلاً: «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين» رواه البخاري، ولا نملك عند الحديث عن ضياع فلسطين إلا أن نقول: ما أشبه اليوم بالأمس والليلة بالبارحة..

في نهاية سنة **١٩٩١** وبداية سنة **١٩٩٢**م بث «التليفزيون» الألماني في محطة

الإرسال ZDF مسلسلاً عن آخر ملوك بني الأحمر يعرض فيه حياة آخر ملوك العرب والمسلمين في الأندلس، وكيف تم تسليم آخر معاقلهم «غرناطة» سنة ١٤٩٢م، وكيف تسلم «فرناندو وإيزابيلا» مفاتيح غرناطة، وكانت الكلمات الأخيرة التي ختم بها مقدم البرنامج على الحلقات ما ترجمته: وقبل أن يجف المداد الذي كتبت به المعاهدة بين «المسلمين والنصارى»، نقض ملكا قشتالة المعاهدة، وغدرا بالمسلمين، وأمروهم بالاختيار بين التنصر أو مغادرة البلاد أو الموت»!!!

إننا معشر العرب والمسلمين في أشد الحاجة إلى استيعاب تاريخنا حتى يمكننا في الحاضر استخلاص العبر والدروس من الماضي، فقد أحسن من قال: «الشعوب الواعية، وحكامها في المقام الأول، هم الذين يحسنون قراءة الماضي للعبرة والعظة»، ولكننا معشر العرب والمسلمين لا نحسن الاستفادة من التاريخ، إما لأننا لا نقرأ، أو لا نفهم ما نقرأ، أو لأننا صممنا على عدم الاستفادة مما نقرأ ـ حتى لو فهمنا ـ!!! ولذلك لا غرابة في أن تتكرر الوقائع والأحداث في تاريخنا، ونخرج دائماً من تحت المطر إلى تحت الميزاب...!!!

وأظن أنني لست في حاجة لشرح كيف كانت أوضاع قبائل العرب قبل الإسلام، فقد كانوا قبائل متقاتلة متفرقة لا يشكلون أمة واحدة...، ثم جاء الإسلام فوحدهم وجعلهم أمة واحدة، بل أخرج منهم «خير أمة أخرجت للناس»، وكانت الأمة في قوة ومنعة ما دامت متمسكة بدينها، معتصمة بحبل ربها، إلى أن ظهرت الأطماع الشخصية وسيطر الهوى على العقول، وتمكن الوهن ـ حب الدنيا وكراهية الموت ـ من القلوب، وظهرت الصراعات العصبية والقوميات العرقية.. ووقعت الخيانة والتسليم للأعداء، فتداعت الأمم على بلاد المسلمين كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، رغم كثرة عدد المسلمين واتساع رقعة الأرض وتوفر الموارد الاقتصادية!!! فإذا دولة الإسلام العظيمة تقسمت إلى دويلات، وحارب الأمراء والخلفاء بعضهم بعضاً، واستعان بعضهم على الآخرين بالأعداء، وتحولت الدولة العباسية المهابة إلى أثر وتاريخ..

وتكـرر الأمـر في الأنـدلس، فقـد قامت دولـة الإسلام واستقر لها الأمر بعد صعوبات البداية في الأندلس، وأصبحت في القرن الرابع الهجري دولة لها شأنها ومكـانتهـا، وسطعت شمس العرب والمسلمين على أوروبا علماً وثقافة.. وكان العطاء والتقدم والازدهار في هذه الدولة مرتبطاً بتمسكها بالإسلام، فلما وصل إلى الحكم خلفاء سيطرت عليهم الأهواء وانشغل هؤلاء بزخرف الدنيا وزينتها عن العباد والبـلاد، ظهرت الأطماع الفردية مرة أخرى، وإذا بالصراعات القومية والعنصرية تمزق أوصال تلك الدولة القوية، واستقل كل حاكم أو أمير بالولاية التي يحكمها، وقامت «دويلات الطوائف» وحكم «ملوك الطوائف»؛ الأمر الذي كان ينتظره ملوك الشمـال الأسباني من النصارى، لينقضوا على الدويلات الهزيلة ويستولوا عليها واحدة بعد الأخرى، وبالفعل لم يتأخر ملوك الشمال الأسباني النصارى عن اغتنام الفرصة، ولم يقصر ملوك الطوائف في تهيئة الأسباب، وتم تسليم بلاد المسلمين في الأندلس لأعدائهم الواحدة بعد الأخرى.. !!

ومما ينقله التـاريخ ـ الـذي لا يواري الحقائق والأحداث ـ أن بعض «ملوك الطوائف» قد ذهبوا بأنفسهم مقدمين فروض الولاء والخضوع لأعدائهم، وأحياناً تنازل بعضهم عن أجزاء من ولايته وشعبه مقابل وعد بمساعدته لتوسيع إمارته أو القضـاء على «دويلة من دويلات إخـوانه» وبالطبع لم يتأخر الملوك الأسبان عن تقـديم «مسـاعـدات لملوك الـطوائف» بعـد إمـلاء الشروط المهينة على طالبي المساعدة!! حتى أصبح «ملوك الطوائف» أشبه بقطع الشطرنج في أيدي الملوك الأسبان!!!

وانتهى الأمر كما هو محفوظ في وثائق التاريخ وتم تمثيله في المسلسل المشار إليه في أول الكلام إلا أنه في الوقت الذي كانت تتم فيه المفاوضات سنة ١٤٩١م، علم أن هناك اتفاقات سرية عقدت بين حاكم غرناطة وملكي قشتالة على تسليم المدينة، وأن أبا عبد الله محمد «الحاكم المسلم»!! طلب في خطاب أرسله إلى الملكين ـ فرنـانـدو وإيزابيلا ـ بأن تكـون المفاوضات سرية حتى تتحقق غايتها

المـرجوة، خشية من ثورة الشعب الغرناطي، واستمرت المفاوضات التي انتهت بالتوقيع على معاهدة التسليم. وفي الثاني من شهر ربيع الأول سنة ٨٩٧هـ «الثاني من كانون الثاني / يناير سنة ١٤٩٢م» تسلم ملكا قشتالة مدينة غرناطة، وسرعان ما نقضت المعاهدة ووقع الغدر بالمسلمين!!!

وكمـا يقال: إن التاريخ يعيد نفسه؛ فلقد خرج العرب من حرب الخليج وقد ازدادوا فرقـة، وظهـرت العصبيات العرقية والقومية، ووقعت الاتفاقات مع البلاد الأجنبية، وبدأت مفاوضات العرب مع الصهاينة في مدريد عاصمة إسبانيا في الربع الأخير من سنة ١٩٩١م، وما زالت تتزايد عدداً ولجاناً في عواصم مختلفة من أمريكا وأوروبا وغيرهما، وهكذا، بعد أن تذكرنا الماضي وأعدنا عرضه باختصار، نترك للقاريء الكريم قراءة الحاضر، ولكن السؤال الملح هو: هل يستيقظ ضمير العرب والمسلمين في هذه اللحظات الحاسمة من حياتهم، فيخرج من بينهم من يعمل على توحيد صفوفهم وردهم إلى كتاب ربهم الذي تكون به «إن اعتصموا به» العزة والكرامة في الدنيا، والفوز والرضوان في الآخرة؟

أم ستبقى حالهم في الانحدار وازدياد الفرقة وذهاب الريح، ويكون من ملوكهم ورؤسائهم من هم على طريق «ملوك وحكام الطوائف» فيتم التفريط في مفاوضات سنـة ١٩٩٢م مثـل ما وقـع في مفاوضات سنة ١٤٩٢م، وبالتالي بدل أن يسلم الحكام للصهاينة بما احتل حتى سنة ١٩٦٧م من أرض العرب والمسلمين ـ وهو في هذه الحـدود مرفـوض ـ إذ بهم يوقعـون على معاهدات التمكين الاقتصادي والاجتماعي لهم في سائر بلاد المنطقة!!!.

إن القضية الفلسـطينية من القضـايا المصيرية بالنسبـة للبـلاد العربية والعالم الإسـلامي، ونحن نعيش مرحلة من أهم مراحلها في هذه الأيام، وإن كانت جذورها تمتد إلى زمن بعيد بعيد.. وإن التحديات الكبيرة التي تواجه البلاد العربية، ومعها بلاد العالم الثالث، بعد انتهاء الحرب الباردة وحرب الخليج، هي نتاج مخططات استعمـارية ـ صهيونية تستهـدف السيطرة الاقتصادية على موارد الثروة في البلاد

وفـرض الهيمنـة على الأرض ومن عليهـا . . وإقـامة «الكيان الصهيوني» على ما يغتصب من الأرض باسم «إسرائيل الكبرى» . .

ولا تعتبر قضية فلسطين قضية محورية مصيرية بالنسبة للعالم العربي والإسلامي فقط، وإنما هي في نفس الوقت تعتبر قضية رمزية لعلاقة البلاد الاستعمارية بمناطق موارد الثروة الاقتصادية في بلاد العالم الثالث. . والمرحلة الزمنية التي تعيشها قضية فلسـطين حالياً هي من أهم المـراحل وأخطرها . . ، حيث مهدت لها التطورات العـالمية بعد الوفاق الدولي وانهيار الشيوعية وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بتوجيه السياسة العالمية لفترة نسأل الله عز وجل أن لا تطول . .

أما حقيقة قضية فلسطين فهي نتاج مخططات استعمارية صليبية ـ صهيونية، لا تهـدف إلى السيطرة الاقتصادية والهيمنة على منطقة «الشرق الأوسط» فحسب، وإنما لها أهدافها العقيدية التي ترمي إلى تكريس قوة غريبة في الأرض المباركة، لتمنع توحد أبناء هذه المنطقة على دين الإسلام، الذي يعتبرونه نذير خطر على مصالح الغرب ـ كما صرحت بذلك بعض الجهات ـ، وربما ترجع جذور ذلك المخطط إلى الحقد الصليبي الدفين في القلوب منذ الحروب الصليبية!! وإلى الحقد اليهودي منذ فجر الإسلام!!

وإذا كان من الصعب تتبع هذه القضية الشائكة والمتشعبة من جذورها، والوقوف أمام الأحداث الكبرى وتحليلها . . فإنه لا يمكن لهذه الدراسة ـ رغم أنها محدودة ـ أن تتجاوز الأحداث المصيرية، وعدداً من القضايا التي تلقي الضوء على القضية، وتكشف أهـداف الحـركـة الصهيونية، وتـظهـر تعاونها مع القوى «الامبريالية»، وتكشف تفـريط الأنظمة العربية واستسلامها فقد أدى كل ذلك لاغتصاب العدو فلسـطين وتسليم الأنـظمة العربية للمغتصب بما أراد، وانتهى الأمر إلى تشتيت الفلسـطينيين من أرضهم ، وتجميع يهـود الشتـات وتهجيرهم ليحلو محلهم في الأرض التي باركها الله تعالى . . !!!

نعم فلكل يهودي أينما وجد الحق في دخول «القدس الشرقية» زائراً أو مهاجراً،

بل وتعطى له إمكانية امتلاك مكان يقيم فيه إن أراد، أما الفلسطينيون الذين يعيشون خارج «القدس الشرقية» فيحرم عليهم تحريماً قاطعاً دخولها أو زيارتها بدون الحصول على تصريح مسبق من الحاكم العسكري الذي يحكم المنطقة التي يعيش فيها الفلسطينيون سواء في الأرض المغتصبة أو المحتلة!!!

أما الحصول على التصريح المطلوب فهو ليس أمراً سهلاً، إذ يتطلب جهداً ومالاً للحصول عليه، وكل فلسطيني ليس من سكان القدس يضبط في زيارة للقدس بدون تصريح، عليه أن يدفع غرامة قدرها **٣٥٠** شيكل أي ما يعادل **٢٥٠** ماركاً ألمانياً!!! والذي لا يصدق ـ في عصر «حقوق الإنسان» و«الشرعية الدولية»!! ـ أن هذا التصريح لابد من توفره عند الزيارة في أي يوم وفي أي وقت، أي حتى في يوم الجمعة لأداء صلاة الجمعة بالنسبة للمسلمين، وفي يوم الأحد للمشاركة في القداس بالنسبة للنصارى!!!

يقع كل ذلك للفلسطينيين في الوقت الذي تعلن فيه مشروعات تكثيف الوجود اليهودي في «القدس الشرقية» وغيرها من مدن فلسطين ـ أي التهويد بكل معنى الكلمة ـ وحمل العرب على ترك أرضهم، يجري هذا تحت سمع العالم ـ الذي يرفع شعار حقوق الإنسان ـ وبصره.. بل إن إخوة العقيدة ينظرون نظر المتفرج إلى ما يجري.. ولا يلبون أمر الله عز وجل في قوله: ﴿**وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر**﴾ (الأنفال: ٧٢).

وتجدر الإشارة أنه لم يعرف القرن العشرون الميلادي قضية احتلت أحداثها عدداً كبيراً من سنواته مثل قضية فلسطين، فقد وقعت بسببها ـ مباشرة أو غير مباشرة ـ ست حروب في سنوات ٤٨ و٥٦ و٦٧ و٧٣ و٨٢ و٩١، انتهت باحتلال أرض فلسطين بكاملها وأجزاء من أراضي مصر وسوريا والأردن ولبنان، وتأصل الوجود العسكري الأمريكي في منطقة الخليج، في الكويت والسعودية والإمارات.. كما صدر بشأن قضية فلسطين مئات القرارات في مؤتمرات القمة العربية والإسلامية، وفي منظمة الدول الإفريقية ومنظمة دول عدم الانحياز، وفي المحافل

الـدولية في «عصبة الأمم» و«الجمعية العمومية للأمم المتحدة» و«مجلس الأمن الـدولي» . . وكـل هذه القـرارات لم ينفذ منها إلا ما كان يحقق مصالح «الكيان الصهيوني» والاستعمار «الامبريالي»، وما يحقق مصالح أمريكا وبلاد الغرب!!!

لقد أصبح المسلمون ـ مع مرور الزمن ـ يهتمون بما أراد لهم عدوهم وحكامهم ـ الذين يمشون في ركاب الغرب ـ أن ينشغلوا به، ففي قضية فلسطين غاب أصل القضية وجـوهـرها وانحصر الخلاف والنزاع في الجزئيات، حيث أصبح خلاف الأنـظمـة العـربية مع حكومة «الكيان الصهيوني» الآن محصوراً في: هل يرجع «الكيان الصهيوني» إلى حدود سنة ١٩٦٧ أم لا؟! وهل «القدس الشرقية» يمكن أن تنفصل أم لا؟! وما هو مصير الفلسطينيين اللاجئين؟! في الوقت الذي سلم فيه الجميع بوجود دولة «الكيان الصهيوني» على أرض فلسطين ـ على الأقل في الأرض التي اغتصبت أو احتلت قبل سنة ١٩٦٧م ـ، والاعتقاد بأن وجودها بهذه الصفة شرعي . . وحكام العرب الذين يصلون إلى قمة الوطنية يقولون: لن نتخلى عن ذرة رمل واحدة من أرضنا المقدسة، وسنحقق «السلام العادل الشامل»، وهم يعنون بذلـك أنهم سيطلبـون من الـولايات المتحدة الأمريكية أن تضغط على حكومة «الكيان الصهيوني» للانسحاب إلى حدود سنة ١٩٦٧م، مع تسليمهم لليهود والصهاينة بما تم اغتصابه أو احتلاله قبل سنة ١٩٦٧م، وبعبارة أخرى: إن هؤلاء الـوطنيين لا يرون أرض فلسـطين أرضـاً للعـرب، وإنما هي أرض اليهود الذين يهـجرون من الشتات . . !!

لقد أجمع المسؤولون العرب الذين مثلوا البلاد العربية في مؤتمر مدريد الذي بدأ في ١٩٩١/١٠/٣٠م ـ من تحدث منهم ومن لم يتحدث ـ على اعتبار الأرض التي اغتصبت أو احتلت قبل سنة ١٩٦٧م أرضاً لليهود والصهاينة، وطالب الجميع بتـطبيق قراريّ «مجلس الأمن الـدولي» ٢٤٢ و٣٣٨ بمفهـوم «الأرض في مقابل السلام»، وأضاف وزير الخارجية اللبناني قوله: «لبنان بلد يدعو لقيام **نظام دولي جديد**»، تسوده مباديء القانون، ورفض العدوان، وحل النزاعات بالوسائل

السلمية.

إن لبنان يعلق أهمية أساسية على تنفيذ القرار ٤٢٥، إذ أن اتفاقية الهدنة لعام ١٩٤٩ مازالت تحكم الوضع بينه وبين «إسرائيل»، وقد نصت المادة الثامنة منها على أن يبقى هذا الاتفاق موضع التنفيذ حتى يتوصل الطرفان إلى حل سلمي.

لهذه الأسباب جميعها، سعى لبنان وما زال لتطبيق القرار رقم ٤٢٥ الصادرة عن «مجلس الأمن الدولي»[١]

وصوت الحق يهتف في العرب والمسلمين قائلاً: لا يجوز بحال من الأحوال أن ينتهي هذا الفصل القذر من فصول قضية فلسطين تحت ستار من الصمت، وتحت ستار من التآمر، إذ لا يجوز أن يقبل العرب والمسلمون بضياع الأرض المباركة ومقدسات المسلمين، والخضوع للصهيونيين والأمريكان في حاضرنا ومستقبلنا!!.

يجب أن نعي ماذا يجري وماذا يحدث؟! وإحياء النفوس التي ماتت، وتحريك الغافلين، وشحذ العزائم اليائسة..

وقد دفعني لكتابة هذه البحوث إلا إيماني بالله تعالى القائل: ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**﴾ (الإسراء: ١)، وشعوري بواجب نصرة الحق وإزهاق الباطل الذي كاد يصبح حقاً لكثرة المهزومين..

وسوف تركز هذه الدراسة على البحوث التالية:

البحث الأول: تمهيد

البحث الثاني: **الحركة الصهيونية من الفكر إلى الدولة.**

البحث الثالث: **مبدأ توفير الأرض.**

أولاً: **تحديد الأرض ومخطط الوصول إليها.**

ثانياً: **التوسع العسكري.**

البحث الرابع: **محاولات «التسويات السلمية».**

أولاً: **مرحلة ما قبل أزمة الخليج سنة ١٩٩٠م**

ثانياً: مرحلة ما بعد حرب الخليج سنة ١٩٩١م

البحث الخامس: مبدأ تهجير يهود الشتات.

أولاً: مخططات تهجير يهود الشتات.

ثانياً: سياسات تهجير الفلسطينيين من أرضهم.

البحث السادس: مبدأ توفير المال اللازم لقيام الدولة واستمرارها.

أولاً: تبرعات يهود العالم والبلاد الصديقة وغيرها.

ثانياً: ما أخذ بالضغط أو القوة من الفلسطينيين.

البحث السابع: لا تيأسوا من المستقبل أيها المسلمون.

والله تعالى أسأل أن ينفع بهذه الدراسة، وأن يتقبل الجهد المبذول خالصاً لوجهه الكريم، وجزى الله تعالى خير الجزاء كل من ساهم في إخراج هذا الكتاب من أعمال الطباعة والتقريظ والمراجعة والتصحيح..

وأخيراً أسأل القراء دعوة بظهر الغيب، وأرجو المعذرة عن الخطأ والتقصير..

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ (آل عمران: ٨).

وكتبه

متولي موسى

نرويس دورف ـ ألمانيا الاتحادية

صباح الثلاثاء ٥ صفر الخير سنة ١٤١٣هـ الموافق ١٩٩٢/٨/٤م

---

(١) صلاح منتصر، الطريق إلى السلام مدريد ١٩٩١م، «ملف المؤتمر الدولي للسلام»، دار المعارف، القاهرة، ص ٥٩.

البحث الأول

تمهيـــــــد

بالرغم من امتلاك المسلمين لأصح وأقوم تاريخ فكري وواقعي لليهود، إلا أن المستقـريء لتعـامل الأنظمة العربية والإسلامية ومواقفها من الحركة الصهيونية، يتبين له أنها لا تعكس ما توفر من هذا الرصيد المعرفي العظيم، الأمر الذي ترتب عليه نتـائـج خاسرة وأوضاع متناقضة. . ولا بد قبل الدخول في معالجة موضوع البحث من تحديد ما هية المشكلة اليهودية وحلولها؟ والإشارة إلى عدد من القضايا الأصلية المنهجية ـ وخاصة تلك التي أشار إليها القرآن والسنة وتلك التي أكد عليها التـــاريخ الـطويل في حركتـه ـ وتحـديد منهجية البحث، ثم منـاقشـة عدد من الأطروحات الصهيونية واليهودية والعربية.

أولاً: ما هية المشكلة اليهودية وحلولها؟

إن المقدمة المنهجية الطبيعية لدراسة قضية فلسطين تتطلب إلقاء الضوء على أصـل المشكلة اليهـودية، وبيان ما إذا كانت هذه المشكلة لهـا علاقـة بالعـرب والمسلمين وبلادهم؟ وما هي الظروف التي نشأت فيها أو في ظلالها المشكلة؟ وما

هي طبيعة الحلول التي طرحت لحلها؟.

إن الذي يستقريء تاريخ وجود اليهود ـ بوصفهم أهل كتاب لا بوصفهم حركة صهيونية ـ في البلاد الإسلامية والعربية يتبين أنه: لم توجد مشكلة يهودية في هذه البلاد في وقت من الأوقات، فقد عاش من أراد من اليهود في بلاد المسلمين في كنف الدولة وفي ظل تسامح الإسلام العظيم بصورة يشهد بها التاريخ، والذي يؤكد أن المشكلة اليهودية نشأت أصلاً في بلاد أوروبا بسبب فقدان الانسجام الاجتماعي والسياسي المتبادل بين الأقليات اليهودية وبين المجتمعات الأوروبية التي كانت تعيش في كنفها..

ويرجع ذلك إلى: تخلف الفكر والنظم السياسية والاجتماعية التي سادت أوروبا لعدة قرون من ناحية، وانحراف المسلك الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لليهود من ناحية أخرى. فاليهود يمثلون في تعاملهم قمة المد الاستغلالي خاصة في أعمال الاقتصاد والتجارة فضلاً عن أنهم يتعاملون مع غير اليهود بالربا الفاحش الذي يعتبر من المهلكات.. كما أنهم يعتبرون أنفسهم في مرتبة أعلى من فئات المجتمع الذي يعيشون فيه، فهم يعتقدون أنهم «شعب الله االمختار»، وأخيراً كانت لهم مواقف سلبية أو معادية للنضال السياسي الثوري في كثير من دول أوروبا..

وعندما ظهرت هذه المشكلة في أوروبا وتفاقمت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، طرح حلان لها على الساحة:

الحل الأول: ويتعلق بحل المشكلة اليهودية عن طريق ما يسمى بـ «اندماج» اليهود في المجتمعات التي وجدوا فيها.. الاندماج الاقتصادي والسياسي والاجتماعي.. وهذا هو الحل الطبيعي والعلمي الذي تطرحه طبيعة التطور الاجتماعي.. ومنذ أواخر القرن الثامن عشة قدم الفكر الأوروبي والتجربة الأوروبية صورتين أساسيتين لهذا الاندماج.

١ ـ الاندماج تحت لواء «الديمقراطية الليبرالية» والتسامح الديني، إذ أنه بعد

قيام الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م رفع شعار «الديمقراطية الغربية» أو «الليبرالية»، التي تنادي بالحرية والمساواة والعدالة..

ولقد كان ممكناً لليهود أن يشاركوا في ازدهار حركة «الديمقراطية» بحيث يتحقق اندماجهم الكامل في مجتماتهم الأوروبية، ولقد نادى قسم من اليهود فعلاً بهذا الاندماج.

٢ ـ اندماج اليهود في مجتمعاتهم في إطار الحركة الاشتراكية، بأن يندمج اليهود في دولهم القومية، والسعي إلى تهيئة الظروف الاشتراكية التي تلغي الفوارق بين جميع الأفراد والطبقات بما في ذلك اليهود.. والتي تلغي بالتالي كل أساس للمشكلة اليهودية في أوروبا.. وقد تبنى أيضاً قسم من اليهود هذا الحل.

الحل الثاني: والذي طرحه الفكر الصهيوني ـ وسيبحث هذا الفكر بشيء من التفصيل في البحث الثاني ـ وهذا الحل يناقض الحل الأول على طول الخط.. وهو الحل العنصري القائم على أهداف ومبادىء الحركة الصهيونية السياسية فهو:

١ ـ حل عنصري بمعنى أنه يرفض اندماج اليهود في مجتمعاتهم، ويصر على تمييزهم تميزاً مطلقاً عما عداهم وعلى أساس أنهم «شعب الله المختار».

٢ ـ حل عدواني أي يسعى لإقامة دولة يهودية خاصة خارج أوروبا عن طريق العدوان والاغتصاب والاستيطان، أي الاستعمار الشامل المسلح لوطن معين وإقامة دولة يهودية على أرضه.

وقد أدى طرح هذه الحلول إلى انقسام في الرأي بين اليهود أنفسهم.. إلا أن الاتجاه القوي كان يؤيد قيام وطن قومي لليهود، ولقي هذا الرأي تأييداً كبيراً من الفكر الرأسمالي الاستعماري كما يتبين في البحث الثاني إن شاء الله تعالى.

الخلاصة: لم يكن للعرب والمسلمين قضية أو مشكلات مع اليهود لا داخل البلاد العربية والإسلامية ولا خارجها، وإنما قضية اليهود ومشكلاتهم تتعلق بالبلاد الأوروبية، وإذا كان شامير قد عرّض في خطابه في ١٩٩١/١٠/٣١ في مؤتمر مدريد بأسبانيا ـ بوصفها دولة أوروبية طردت اليهود قائلاً: «وأود أن أعبر عن عميق

تقديرنا للمضيفين الأسبان على كرم ضيافتهم وعلى اتاحتهم الفرصة لعقد هذا الاجتماع السلمي، **خلال ألفي عام من الترحال حط الشعب اليهودي ها هنا لمئات السنين حتى طرد من هذه الأراضي قبل خمسمائة سنة..»**[1]، **إلا أنه لم يكشف حقيقة مخفية في هذه العبارة، إذ أن اليهود قد نعموا بالوجود في جنوب أسبانيا أثناء وجود المسلمين في الأندلس، وفي العام الذي حكم فيه النصارى جنوب أسبانيا سنة ١٤٩٢م وانتهى الوجود الإسلامي في غرناطة، اضطهد النصارى اليهود وطردوهم، ويجوز للمرء هنا أن يذكر بأن عدداً من اليهود الذين طردوا من أسبانيا وجدوا المأوى في الدولة العثمانية التي يحكمها الإسلام بما في ذلك منطقة فلسطين نفسها..**

ثانياً: قضايا أصلية ومنهجية في التعامل

أرشدنا الوحي ـ القرآن الكريم وصحيح السنة ـ إلى عدد من القضايا، كما أكدها تاريخ التعامل مع اليهود، نذكر منها هنا:

١ ـ عداوة اليهود للمسلمين

تعددت النصوص التي تؤكد عداء اليهود للإسلام والمسلمين، وأنهم بسبب هذه العداوة يمكن أن يتحالفوا مع كل ملة ضد المسلمين، وأن يستخدموا سبل الكيد والمكر والخداع، لذلك نرى أن ما ورد في القصص القرآني بشأن اليهود قد احتل مساحة لا بأس بها وهذا يلفت الظر إلى وجوب أخذ العبرة والاتعاظ، واستحضار ذلك على الدوام مع استمرار حركة التاريخ ونذكر طائفة من النصوص:

ـ قال تعالى: **﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾** (المائدة: ٨٢).

ـ وقال عز وجل **﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾** (البقرة: ١٢٠)

ـ وقال سبحانه: **﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم﴾** (البقرة: ١٠٥).

ـ وقال تباركت أسماؤه: ﴿**يا أيها لذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين**﴾ (المائدة: ٥٧).

وسيرة اليهود وقصتهم العملية عبر العصور، تلزم المسلم بالحذر في تعامله معهم، ومن الجدير بالذكر هنا التفرقة بين ما حدده الله تعالى من الحقوق والواجبات لمن يعيش في دولة الإسلام من أهل الكتاب، وما ينتج عن المعاهدات من التزامات، وبين العدو المحارب، الذي يحتل أرض المسلمين ويخرج أهلها منها، أو يظاهر على إخراجهم، فقد بين الله تعالى أحكام ذلك في قوله: ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون**﴾ (الممتحنة: ٨ـ٩).

ولما كان المسلم في تعامله يصدر عن شريعة الإسلام، فلابد له أن يتحرى العدل ويتجنب الظلم حتى ولو كان يتعامل مع غير المسلم، قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون**﴾ (المائدة: ٨)

ويذكر الأستاذ عمر عبيد حسنة المسلمين فيقول: «وإن المسلمين كلما تحققوا بالرؤية القرآنية، واعتبروا بالواقع العملي في السيرة النبوية، كانوا الأقدر على إعطاء حقوق يهود، والحذر من مكرهم وخداعهم، وكلما ابتعدوا عن الرؤية القرآنية، والعبرة التاريخية، أو غفلوا عن أسلحتهم وأمتعتهم، وقعوا في حبائل يهود بشكل أو بآخر، أو تصرفوا معهم تصرفات شاذة ناتجة عن ردود الفعل، إلى درجة قد تكون مرفوضة إسلامياً»[٢]، وقد ورد عن النبي ـ صلى الله تعالى وآله وسلم ـ أنه قال: «من قتل نفساً معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله، لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً» (رواه البخاري في صحيحه).

٢ ـ الكذب على الأنبياء وقتلهم وتحريف الدين

وصف الله تعالى اليهود بأنهم حرفوا الدين وغيروا الكتاب فقال عز وجل: ﴿**أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون**﴾ (البقرة: ٧٥) وقال سبحانه ﴿**ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون**﴾ (آل عمران: ٧٥)، ويقول تبارك وتعالى: ﴿**وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون**﴾ (آل عمران: ٧٨)

كما أطلعنا الله عز وجل على صنيع اليهود مع أنبيائهم الذي لم يقف عند حد الكذب عليهم واتهامهم بارتكاب الكبائر فقط وإنما قاموا بقتل الأنبياء، فقال عز من قائل: ﴿**فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغيرحق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً**﴾ النساء: ١٥٥) وقال تعالى للعظة والعبرة: ﴿**يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون**﴾ (آل عمران: ٦٥)

وإن من أكذب الكذب تلك القصة المزعومة التي لا يُربّى عليها اليهود فقط، وإنما يُربّى عليها النصارى لورودها ـ بزعمهم في الكتاب المقدس في العهد القديم ـ، وهي قصة أبناء نوح، فقد كتب في سفر التكوين الاصحاح التاسع الآيات من ٢٠ إلى ٢٧ القول: «وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشياً إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء، فلم يبصرا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير، فقال ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لإخوته، وقال مبارك الرب إله سام، وليكن كنعان عبداً لهم، ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام، وليكن كنعان

عبداً لهم»[٣] ، وفصل مساكن سام في الإصحاح الخامس عشر من نفس السفر الآيات من ١٨ ـ ٢٠ قائلاً: «في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً، **لتسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات، القينيين والقزيين والقدمونيين والحيثيين والفرزيين والرفائيين والآموريين والكنعانيين** والجرجاشيين واليبوسيين»[٤]

ومن يطلع على هذه الأكاذيب لا يستغرب إذا سمع وزير خارجية أمريكا «جيمس بيكر» ـ الذي آمن بهذا الكتاب المقدس ـ وهو يصرح أثناء حديثة عن قصة تنشئته الدينية قائلاً: «لقد احتلت دولتان على نحو خاص مكاناً في ضميرنا، وهما الولايات المتحدة حيث نعيش، و«إسرائيل القديمة التي شهدت مولد الديانة المسيحية، ولذا فإن «إسرائيل» تمثل جزءاً من القيم التي أعتز بها»[٥]

ولك أيها القارىء الكريم أن تتصور ماذا يمكن أن يصنع هؤلاء اليهود مع المسلمين إذا كانوا قد صنعوا ما صنعوا مع ربهم ومع أنبيائهم؟!

الخلاصة: تبين أن عداء اليهود للإسلام والمسلمين أصيل وقديم، وينبع من عقيدتهم، ويظهر ذلك في سلوكهم وتعاملهم عبر التاريخ، فلا بد لقادة المسلمين وساستهم ـ وخاصة الذين يتحدثون عن الصلح والمعاهدات ـ من استصحاب الحذر في التعامل على الدوام، وأن يتأكدوا أن الصهيونية واليهود لا عهود لهم، ولا يمكن أن نأمن جانبهم ـ كما علمنا شرعنا ـ بحال من الأحوال، والعاقل من اتعظ بما حدث في الماضي والحاضر، فقبل شهور، وعندما ألقت السلطات المصرية القبض على صهيوني، وقدم للمحاكمة بتهمة التجسس، تعالت الأصوات لتي تكشف حقيقة العداء، وتظهر اليهود على حقيقتهم، فبالرغم من جود ما يسمى «معاهدة السلام» بين مصر و«الكيان الصهيوني»، فإن صحيفة «يدعوت احرنوت» نقلت عن مدير وزارة دفاع «الكيان الصهيوني» اللواء/ديفيد عبري» في حوار حول مسيرة «السلام» قوله «إن السلام مع مصر ليس سلاماً بالمعنى الكامل، بل هو في الواقع وقف إطلاق النار استمر١٤ سنة (راجع القدس العربي ـ الدولي ـ) بتاريخ

١٦/٤/١٩٩٢م، وحسماً للموقف طلب وزير خارجية «الكيان الصهيوني» من مصر رسمياً، إطلاق سراح المتهم «ديفيد أوفتيس» على الفور وإيقاف محاكمته، وبالفعل أفرج عنه وأطلق سراحه. فهل من مدكر؟

ثالثاً: منهجية البحث

في بحث هذا الموضوع الهام «فلسطين بين الاغتصاب والتسليم» أتبعت المنهجية التالية:

١ ـ **الموضوعية في العرض**، إعتقاداً مني أنه إذا أراد أي باحث لمثل هذه القضية أن يكون منهجياً فلا بد له من الموضوعية في عرض الحقائق والأحداث، ولذلك سأذكر الأحداث والوقائع كما وقعت، وسأسند الأخبار إلى مصادرها، ثم أتتبع التعليقات والتحليلات هنا وهناك وهنالك وكما قالها أصحابها، ثم أحاول الاستنتاج ولا أبعد حتى لا يكون الاستنتاج بلا سند، ولابد هنا من الإشارة إلى المنطلقات التي انطلقت منها، فقد انطلقت من الإسلام الذي وضع الأسس النظرية لهذه القضية ـ وسواها ـ، ولاعتقادي أن الله تعالى أنزل الإسلام رحمة للعالمين ـ أي لمن يؤمن به ومن لا يؤمن إذا أراد أن يحصل على حقه في أمور الدنيا ـ، وما توصلت إليه من نتائج.. منطلقاً من الإسلام.. فأعتقد صوابه مع العلم أن الإنسان قد يفوته شيء بسبب ضعف الاستنتاج.. فمن وقف على شيء من ذلك فليهد إليَّ نصائحه وآراءه.. وجزاه الله خيراً.

٢ ـ **التوازن والشمول**

فكثير من الدراسات التي يسر الله تعالى لي الإطلاع عليها في هذا المجال تبين لي أنه يعوزها الرؤية الشاملة المتوازنة، وقد قرأت كلام الأستاذ عصام العطار الذي لفتنا معشر المسلمين من خلاله:

«أن ننظر إلى أوضاعنا وقضايانا ومشكلاتنا نظرة عميقة واسعة شاملة متوازنة من مختلف الزوايا وبمختلف الأبعاد.. نظرة يأخذ في نطاقها الواسع الشامل كلُّ جانب وكلُّ جزء موقعه الطبيعي بالنسبة إلى سواه، ومكانه المناسب مع غيره من الكل،

وقيمته الحقيقية فيه؛ فاحتباس النفس في جزء واحد وإهمال بقية الأجزاء، والنظر إلى الأمور من زاوية واحدة دون سائر الزوايا، يضلل عن الحقيقة الكلية الشاملة، ويوقع في الخطأ ولو سلمت النوايا، ويؤدي إلى الخلاف والتفرق، فلا بدّ لنا دائماً، ولا بدّ لنا في الأزمة التي نواجهها الآن خاصة، من تجاوز النظرة الجزئية القاصرة إلى النظرة الكلية الشاملة الكاملة، دون أي تقليل من قيمة أي زاوية من الزوايا، وأي جزء من الأجزاء[٦]

واستعنت بالله تعالى عازماً على اتباع هذه النصيحة محاولاً الابتعاد عن النظرة الجزئية العاطفية غير المتوازنة.

٣ ـ مراعاة البعد التاريخي

ينظر كثير من المسلمين إلى قضية فلسطين في هذه الأيام ويتساءلون: هل نقبل بحدود ١٩٦٧م أو هل يمكن أن نتنازل أيضاً بعض الشيء حتى نمضي عملية الوصول إلى حلول مع حكومة «الكيان الصهيوني»؟! وهل نقبل بالحكم الذاتي أولاً؟ أم لابد من الحديث في الدولة؟ وكيف سيكون شكل الدولة الفلسطينية: مستقلة أم مرتبطة مع الأردن أو سواه؟! وهذه كلها نظرات سطحية محدودة زمانياً، إنها نظرة جعل يتعامل مع القضية في إطار زمانه ومكانه، وإذ به يقع في أمر هذه الرؤية الضيقة، التي تعالج القضية من زاوية واحدة، ومثل هذه النظرات ليست علمية وليست منهجية، وبالتالي لا يمكن أن يصل أصحابها إلى نتائج صحيحة، وإنما تنتهي بهم إلى فهم مغلوط أوجزئي، وبالتالي تظهر التناقضات في المواقف والتحليلات..

ولذلك سأعالج القضية ـ بإذن الله تعالى ـ من خلال نظرة تاريخية عميقة، فالبعد التاريخي هو الذي يمكننا من رؤية الحقائق بوضوح، ويمكننا من الفهم الصحيح، وخاصة إذا توفرت الموضوعية في عرض الأحداث وتتبعها تاريخياً، والتزمت الضوابط الشرعية.. فذلك هو الذي يمكن من التمييز بين الحق والباطل والصدق والكذب، والممكن والمستحيل..

والله أسأل التوفيق والسداد إنه خير من سئل.

رابعاً: الاغتصاب والتسليم وفق مزاعم باطلة

إن الذي يتابع ما وقع تاريخياً يتبين له: أن ما عرض من حل للمشكلة اليهودية يستند إلى مزاعم باطلة ومغالطات، وما تم حتى الآن يؤكد ذلك من جانب قادة الصهانية والقادة العرب.

١ ـ **حل المشكلة اليهودية من وجهة النظر الصهيونية**: انتهى الصهاينة إلى أن حل المشكلة اليهودية لا يكون إلا بوجود مجتمع خاص، ودولة تحميه في فلسطين، فكان مما جاؤوا به:[٧]

(١) كل شعب من شعوب العالم له دولة ترعاه وتنظم شؤونه واليهود شعب، وفلسطين أرضه، وهو مرتبط بها تاريخياً، وقد خرج من هناك بفعل بعض الأمم المعادية له، ومن حقه أن يعود إلى أرض أجداده.

(٢) إن قيام دولة يهودية هو الحل الأمثل لمشاكل اليهود، فهم يختلفون عن غيرهم، الذين ما زالوا يكرهونهم، لا يستطيعون أن يتخلصوا من هذا الكره، وقيام الدولة يخلص اليهود، ويضع حداً لمعاناتهم، ويخفف الاحتكاك بينهم وبين غيرهم.

(٣) إن عودة اليهود إلى فلسطين لن تثير شيئاً، ففلسطين أرض بلا شعب، فما المانع أن تعطى لشعب بلا أرض؟

فإذا قيل بأن فلسطين مسكونة بشعب منذ آلاف السنين، استعاروا من الاستعمار منطقة وقالوا: ليس فيها سوى مجموعة من البدو يمكن أن يهاجروا إلى البلاد العربية المجاورة التي بإمكانها أن تستوعبهم بالإضافة إلى ملايين أخرى معهم.

(٤) إن عودة اليهود إلى فلسطين ستنقل للمنطقة المتخلفة عنصراً حضارياً جيداً ببث فيها «الديمقراطية» والعدالة الاجتماعية وعلى العموم سيقوم تعاون بين الطرفين، فريق بأموالهم وفريق بخبراتهم وعقولهم، حتى تفيض الأرض ذهباً وعسلاً.

(٥) لما كانت الصهيونية حركة اشتراكية، فهي ترفض كل استغلال من الإنسان لأخيه الإنسان، وستكون نقطة إشعاع للعدالة الاجتماعية الديمقراطية، وهذا يستهدف هجرة اليهودي كما يستهدف الإنسان الغربي كي يمنح دعمه وتأييده ورضاه.

٢ ـ مزاعم صهيونية باطلة

إن الذي درس الحركةالصهيونية، ويتعرف إلى الحل المقترح للمشكلة اليهودية، يمكنه بسهولة أن يكتشف عنصرية هذه الحركة وباطل مشروعاتها ووسائل تحقيق أهدافها الاستعمارية ـ وهذا ما ستعالج بعض جوانبه في هذه الدراسة فيما بعد ـ، وسوف نتعرض هنا على عجل لبعض هذه المزاعم الباطلة:

(١) تزعم الحركةالصهيونية أن فلسطين أرض بلا شعب، وأن اليهود هم الشعب الوحيد الذي له الحق في هذه الأرض، ويقولون بأنه وعد الرب لهم، مستخدمين «الكتاب المقدس» سنداً لهذا الزعم، فقد ورد في سفر «يشوع» الإصحاح الأول، أن الرب كلم يشوع قائلاً: «فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم ـ أي لبني إسرائيل ـ، كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى، من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم. . تشدد وتشجع، لأنك تقسم لهذا الشعب الأرض التي حلفت لأبائهم أن أعطيهم»[٨]

هذا الوعد وغيره إنما هي وعود وردت في كتاب ثبت علمياً وباعتراف آلاف القسس أنه محرف، فضلاً عن أنه لا يعكس العدل الإلهي حيث علمنا القرآن أن كل وعد من الرب لابد أن يكون مشروطاً فإذا لم يحقق العبد الشرط فليس له حق في أن يطالب بإنجاز الوعد، ولقد لفتنا الله تعالى إلى هذه الحقيقة في قوله عز وجل: ﴿**وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين**﴾ (البقرة: ١٢٤).

وكما يقول الدكتور السامرائي: «لو فتح باب «الحق» الديني ألا يكون من حق

النصارى المطالبة بفلسطين؟، ففيها ولد السيد المسيح عليه السلام وعاش ومارس الدعوة»[٩]، ومن المضحك أن يدعي أهل الكتاب المقدس أن هذا وعد أزلي، في الوقت الذي لم تقم مملكة لليهود في أرض فلسطين إلا لعشرات السنين على عهد داود وسليمان عليهما السلام، ومن بعدهما انتهت السيطرة اليهودية، وتشرد اليهود، وحتى في هذه الفترة التي قامت فيها مملكة اليهود لم تكن أرض فلسطين خالية من شعوب أخرى، وفي الوقت الذي خرج فيه اليهود من فلسطين بقيت الشعوب الأخرى تزرع أرضها، وتعيش على خيراتها.

وآخيراً إذا كان كل شعب أقام في منطقة معينة لفترة من زمان له الحق في السيطرة عليها، فالعالم يحتاج إلى إعادة توزيع سكاني من جديد، وأي فوضى ستحدث إن أردنا نظرياً فعل ذلك!!!

ويعتبر جارودي مقولة «فلسطين أرض بلا شعب» أسطورة، ويؤكد أن العرب «البدو كما يزعم صهيون» قبل مجيء الصهيونيين، كانوا يزرعون الحبوب ويصدورن منها ٣٠٠٠٠ طن في العام، وازدادت مساحة بساتين الفاكهة ثلاث مرات بين عامي ١٩٢١م و١٩٤٢م، وتضاعفت مساحة حدائق البرتقال والحمضيات الأخرى ٧ مرات مابين عامي ١٩٢٢م و١٩٤٧م، كما تضاعف إنتاج الخضروات عشر مرات مابين عامي ١٩٢٢ و١٩٣٨[١٠]» مع العلم أنه عند صدور قرار التقسيم كان اليهود يملكون فقط ٥,٦٪ من الأراضي حتى لا يزعم زاعم أن الزيادة كانت بسبب نشاط المهجرين من اليهود، وإنما كان ذلك بفعل الفلسطينيين الذين كانوا حتى نهاية ١٩٤٧ يملكون ٩٤,٤٪ من أرض فلسطين.

(٢) تزعم الحركة الصهيونية أن هجرة اليهود إلى فلسطين تنقل إليها عنصراً حضارياً، يمثل نقطة اشعاع للعدالة الاجتماعية، وهذا أيضاً زعم باطل، ويتناقض مع الواقع، ولكل إنسان يطلع على ما يدور على أرض فلسطين أن يثبت مخالفة القول الفعل، ويكفي هنا أن ألفت النظر إلى ما قاله الدكتور نعمان السامرائي حيث يقول:

«يحملني الإنصاف على أن أسجل هنا صرخة «مارتن بوبر» في قومه (لا تستطيع قوة غير قوة ثورة داخلية أن تشفي شعبنا من مرضه القاتل، المتمثل في كراهية لا داعي لها، فهذه الكراهية قمينة بأن تلحق بنا دماراً كاملاً، وحين تقوم هذه الثورة الداخلية فقط، يدرك الشباب والمتقدمون في السن مدى جسامة المسؤولية التي نتحملها، بسبب الشقاء الذي سببناه لأولئك اللاجئين العرب البؤساء، الذين ورثنا بيوتهم، ونقوم بحراثة حقولهم، وحصد حاصلاتهم، وقطف ثمارهم وكرومهم، ونبني المدارس ودور العبادة، والمؤسسات الخيرية **في مدنهم التي نهبناها، في الوقت الذي لا نكف فيه عن الثرثرة بتشنج وهذيان: بأننا شعب التوراة، ونور الشعوب**»[١١]

ويذكر جارودي بما جاء في تقرير «بيل» مشيراً إلى تقدم الفلسطينيين في الزراعة فيقول: «وإذ اقتصرنا على الحمضيات، فإننا نشير هنا إلى تقرير «بيل» وقد قدمه وزير المستعمرات إلى البرلمان البريطاني في شهر ١٩٣٧/٧م، وتناول فيه التقدم السريع في زراعة البرتقال في فلسطين، وذلك توقعاً للزيادة في الاستهلاك من البرتقال في العشر سنوات التالية وقال فيه إن البلدان المنتجة للبرتقال ستكون كما يلي:

فلسطين: ١٥ مليون صندوق، والولايات المتحدة: ٧ ملايين صندوق،
أسبانيا: ٥ ملايين صندوق، وبلدان أخرى: ٣ ملايين صندوق»[١٢]

ومن ذلك يتبين بطلان مزاعم الصهيونية.

(٣) تضليل إعلامي عربي ومزاعم باطلة، إن الذي يتابع وسائل الإعلام العربية وتصريحات الساسة والقادة العرب يجد كثيراً من ذلك، فقد فاجأتنا جريدة الشرق الأوسط ـ جريدة العرب الدولية ـ في عددها رقم ٤٦٣٠ بتاريخ الجمعة ٢٢ المحرم سنة ١٤١٢هـ (٢/٨/١٩٩١م) في صفحتها الأولى بعنوان بالخط العريض يقول: «. . . **وأخيرا رضخت «إسرائيل»** «والمفاجأة الأكبر كانت ما جاء في تضاعيف الخبر حول المشاورات الهاتفية بين الرئيس السوري حافظ الأسد والعاهل الأردني

الملك حسين من أن: «**السلام العادل في «الشرق الأوسط» معناه عودة الأرض العربية والفلسطينية واللبنانية إلى أصحابها**»!!

صدق رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ إذ يقول: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت» رواه البخاري؛ نعم، نحن في حاجة إلى الحياء لنحاسب أنفسنا على ما نقول وما نكتب، ففي الوقت الذي تكتب وتنشر بعض وسائل الإعلام الغربية أخبار صلف ووقاحة المسؤولين في حكومة الكيان الصهيوني، حتى أن مذيعة أحد برامج «التليفزيون الألماني» وصفت ما صنعه «شارون» عندما وضع حجر الأساس لإحدى المستوطنات بعد سفر وزير الخارجية الأمريكية بثلاث ساعات قائلة: تبجح «إسرائيل» وتحديها لـ «المؤسسات الدولية» والإدارة الأمريكية، والسيدان حسني خشبة وزكي شهاب يكتبان لمن لا يقرأ عن «رضوخ إسرائيل»!!!

أما القول بأن ما يمكن التوصل إليه هو: «**سلام عادل**» !!! فإنني أقول: إن من العدل أن لا نستخدم هذه اللفظة، ولقد ذكرني ما يقال عن السلام العادل في هذه الأيام بما كتبه الأستاذ عصام العطار في الرائد في جمادى الآخرة سنة **١٣٩٤**هـ (تموز ـ يوليو سنة **١٩٧٤**م) وأعتقد أنه من المفيد التذكير به هنا مرة أخرى:

«ولكن ما هو السلام العادل في نظر هؤلاء الحكام؟!

السلام العادل في نظرهم ـ كما هو معلوم ـ هو الذي يرد إليهم ما احتلته إسرائيل من الأراضي العربية في حرب حزيران «يونيو» عام **١٩٦٧**م، وأن تحتفظ بكل ما اغتصبته من قبل.

وهنا نحب أن نسأل هؤلاء الحكام، وأن نسأل من يرددون هذا الشعار بهذا المفهوم من رجال السياسة والإعلام، نحب أن نسألهم جميعاً: هل ترون أيها السادة أن اغتصاب الصهيونية العالمية لما اغتصبته قبل عام **١٩٦٧** عدل؟!، وأن بقاء القدس الجديدة ـ على الأقل ـ ويافا وحيفا واللد والرملة وعكا وصفد وغيرها من مدننا وبلادنا الغالية في قبضة الصهيونية عدل؟! وأن قيام دولة إسرائيل من حيث

الأصل على أشلائنا وعلى أرضنا التي شُردنا منها عدل؟!

إن كان هذا هو العدل في نظركم فماذا يكون الظلم؟!

لقد بطل إذن مدلول الكلمات ولم يعد هناك أي قيمة للمفاهيم.

لقد كان أشرف لكم ألف مرة لو قلتم لشعوبكم وللعالم بكل صدق وجرأة: لقد غلبنا على أمرنا وعجزنا،[١٣] فخضعنا للظلم واستسلمنا، وتركنا لليهود كل ما اغتصبوه قبل حرب الـ ٦٧ من أرضنا ووطننا، وقبلنا السلام **الظالم**، بل وجعلنا الوصول إليه هدفا نسعى إليه، ونبذل لبلوغه غاية الوسع.

أما قلب المفاهيم وتضليل الشعوب بالشعارات المناقضة للحقائق، فهو خيانة للحقيقة وللأمانة وللتاريخ ولهذه الشعوب في الحاضر والمستقبل، وقتل لروح الجهاد والتحرر والتحرير.

وكيف يجاهد الشعب لرفع الظلم، وكيف يقض مضجعه الخضوع للظلم، إذا أقنعتموه وغرستم في شعوره بمختلف الوسائل، أن الظلم عدل، وأن ظفره به هو أكبر انتصار؟!»[١٤]

أما مجلة «المجلة» التي تصدرها «الشركة السعودية للأبحاث والتسويق الدولية» فقد جاء في عددها رقم ٦٠٠ بتاريخ ٧ ـ **١٣** أغسطس «آب» سنة **١٩٩١م** في «كلمة إلى القارىء» بعنوان «وهل هناك خيار آخر؟» حيث حدثنا السيد/ عبد الرحمن الراشد عن القضية الفلسطينية وأصدر فيها أحكامة العجيبة فقال: «**كنا ولا زلنا نعتقد منذ البداية بأن الحل المتاح أيا كان هو أفضل من خيار اللاشيء. لأنه لم يستطع أحد أن يحرر فلسطين لا بالحجارة ولا بالمدافع، ولا بالشعارات ولا بالمعارك. فالنتيجة دائماً سيئة بلا استثناء. كنا نعتقد برمزية الأشياء لكن رمزية القضية لم تكن كافية. فلا أفلح التحالف مع ما كان يسمى بدول عدم الانحياز، ولا حقق رفع شعارات المظلومين الآخرين للقضية كسباً أكثر من التعاطف اللفظي. وحتى رفض بناء مستوطنات للاجئين الفلسطينيين لم يحل القضية، فقد جلس ضحاياها في مخيمات من الخشب والصفيح تعصف بهم الرياح والأمطار**

وتستغلها الفصائل الثورية ضد بعضها البعض».

ثم ختم كلامه قائلاً: **«من هنا صار المؤتمر المقترح لحل القضية سلمياً هو الخيار الوحيد الممكن والأفضل، أما الخيار غير الممكن فهو الانتظار حتى تأتي الحلول الموعودة. ولو أخذ الفلسطينيون شيئاً من حقوقهم لجاء هذا انتصاراً لأنه سيعطل المشروع «الإسرائيلي» وقد يوقف دقات الساعة. لهذا يجب ألا تفشل المفاوضات تحت أي ذريعة سيفتعلها «الإسرائيليون» أصحاب المصلحة الأولى من فشلها.» انتهى**

إنني شديد التعجب وأنا أقرأ هذا الكلام الذي يتناقض تمام التناقض مع ما كان يكتب عن حقوق الكويتيين وضرورة ردع المعتدي العراقي والوقوف إلى جوار الشرعية كأن السيد عبد الرحمن الراشد تحول إلى شخصية أخرى، لماذا لم تطالب الكويتيين بأخذ شيء من حقوقهم وتجنيب البلاد العربية هذا الخراب والدمار الذي حدث بحجة تحرير الكويت؟! **يا رئيس التحرير**: إن الحقوق لا يصح التنازل عنها بحال من الأحوال! ألا تعلم أن اليهود الذين تطالب الفلسطينيين بالتنازل لهم عن الحقوق يقولون: إن هذه أرضهم ولم يتنازلوا عن هذا «الحق المزعوم» بالرغم من أنهم كانوا في الشتات أكثر من ألفي سنة ـ حسب زعمهم ـ .

والغريب أنك تحدثت عن كل صنوف الاعتقاد ولم تتكلم عن الاعتقاد الإسلامي!، إنك معذور لأنك لو تحدثت عن الحق من المنظور الإسلامي لعلمت أن هذه الأرض لابد لها أن تتحرر، فهذا ثابت في عقيدتنا، ولا بد أن يقع يوماً من الأيام، ورحم الله الأجيال السابقة فإنها لم تفكر بمثل تفكيرك هذا، إذ أنها لو فكرت بهذا التفكير لكانت البلاد العربية قد انتهت من الوجود من زمن طويل، فهل قرأت عن غزو التتار لبلاد المسلمين؟ وهل قرأت عن الغزوات الصليبية واحتلال بيت المقدس وكم دام من السنين؟!

إنني على يقين من وجود معركة فاصلة بين اليهود والمسلمين مصداقاً لقول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه وغيره عن ابن عمر ـ

رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تُقَاتلكم اليهود فَتُسلَّطون عليهم، حتى يقول الحجر: يامسلم هذا اليهودي ورائي فاقتُله**».

ويطيب لي في هذا المقام أن أذكر ببعض ما قاله الأستاذ عصام العطار في تقديمه لتقويم «معاهدة السلام مع إسرائيل» ـ دراسة قانونية ـ حيث قال:

« ولا شك في أن الحكم الدكتاتوري الاستبدادي الذي يقوم في مصر وفي بلادنا الإسلامية الأخرى هو الذي يهون على المنحرفين من حكامنا أن يقودونا إلى أمثال هذه المعاهدة النكراء، وأنه هو المسؤول إلى حد بعيد جداً عما نزل بنا وما يزال ينزل من نكبات.

إن هذا الحكم الدكتاتوري الفاسد المهين الذي يسد منافذ المعرفة الصحيحة والتفكير الحر، ويلغي رقابة الشعب وإرادة الشعب.. إن هذا الحكم هو الذي يمهد في بلادنا سبيل الخيانة والانحراف أو الأخطاء الكبيرة التي لا تقل في نتائجها الخطيرة عن الخيانة والانحراف.

ولذلك فإننا ندعو شعوبنا الإسلامية إلى النضال لاسترداد حرياتها المغتصبة، وإرادتها المهدرة، وحقها في حكم نفسها بنفسها، وسلوك الطريق الذي تختار.

إن الخلاص من الدكتاتورية وإقامة الحكم الشوري السليم هما من أهم شروط التحرر الصحيح والبناء المتين بمختلف الأبعاد والصور.

وعندما تسترجع شعوبنا حرياتها وإرادتها السلبية، وترجع إلى حقيقتها الإسلامية التي خدعها عنها ويبعدها منها الصهيونيون والصليبيون وأتباع الغرب والشرق.. عندما ترجع شعوبنا إلى حقيقتها الإسلامية العميقة الخالصة، وتنطلق منها بإيمان ووعي وتصميم على كل صعيد، فلا بد لها أن تجد بالإسلام طريقها الأصيل القاصد إلى الوحدة الصادقة الراسخة، والقوة النامية المتكاملة.. وإلى تحرير فلسطين، وتحرير الوطن الإسلامي كله، من كل سلطان أجنبي داخلي أو خارجي، مادي أو معنوي»[١٥]

(١) صلاح منتصر، الطريق إلى السلام، مرجع سابق، ص ٤٢.

(٢) عمر عبيد حسنة، تقديم كتاب الأمة رقم ٣٢، د. نعمان عبد الرزاق السامرائي، اليهود والتحالف مع الأقوياء، ط١، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، فبراير سنة ١٩٩٢، ص ١٨.

(٣) الكتاب المقدس، أي كتب العهد القديم والعهد الجديد، وقد ترجم من اللغات الأصلية، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، Arabic Bible 43, 10 - 1987، ص ١٥.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٢.

(٥) جريدة الخليج بتاريخ ٢١/ ٣/ ١٩٩١م.

(٦) عصام العطار، مجلة الرائد، تصدرها الدار الإسلامية للإعلام، بون ـ ألمانيا، العدد ١٣٠، ص٣ و٤

(٧) د. نعمان عبد الرزاق السامرائي، اليهود والتحالف مع الأقوياء، مرجع سابق، ص ١٢٨ و١٢٩.

(٨) الكتاب المقدس، مرجع سابق، ص ٣٣٧.

(٩) د. نعمان السامرائي، مرجع سابق، ص ١٥٠، ويمكن الاستفادة مما جاء في ملاحق الكتاب من مناقشة الحقوق الصهيونية المدعاة في فلسطين.

(١٠) روجيه جارودي، مرجع سابق، ص ٤٤.

(١١) د. نعمان السامرائي، مرجع سابق، ص ١٢١

(١٢) روجيه جارودي، مرجع سابق، ص ٤٤.

(١٣) وهيهات أن يغلب على أمره ويعجز من كانت له مثل إمكاناتنا، وكان مؤمناً بربه مستمسكاً بحقه، مصمماً على استخلاصه مهما امتد الزمن وعظمت التضحيات.

(١٤) عصام العطار، في قضية فلسطين، آراء ومواقف، ط٢، الدار الإسلامية للإعلام بون ـ ألمانيا سنة ١٩٨٤م، ص ٦٢ ـ ٦٤.

(١٥) نبيل شبيب، تقويم «معاهدة السلام مع إسرائيل» دراسة قانونية، بحوث إسلامية وعالمية ٤، يصدرها المركز الإسلامي في آخن وحلقة الدراسات الإسلامية والعالمية الطبعة الأولى سنة ١٩٧٩م، آخن ـ ألمانيا، ص ٨ و ٩.

البحث الثاني

الحركة الصهيونية من الفكر إلى الدولة

سيعالج هذا البحث كيفية نشأة الحركة الصهيونية! ومراحل تكوينها، وعلاقة الحركة بالاستعمار، وكيفية قيام دولة «الكيان الصهيوني»، ثم دور المؤسسات الدولية والعربية في قيام وتثبيت وجود «دولة الكيان الصهيوني»[1]

أولاً: الحركة الصهيونية

ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي الكراهية ضد اليهود في بلاد أوروبا، وأخذت في الازدياد وخاصة في بلاد أوروبا الشرقية، وتطورت بحيث بدأت مذابح اليهود في بولندا سنة ١٨٨١م وبعدها في روسيا سنة ١٨٨٢م، وتتابعت في بلاد أخرى.

وفي هذه الأثناء فكر بعض المنظرين للفكرة الصهيونية في طريق الخلاص، وأذاع بعضهم لأول مرة فكرة تأسيس دولة لليهود تعرف بـ «إسرائيل»، وبدأ «هرتزل» يبشر بمقولته: **«لو أردتم هي ليست حلماً ولا أسطورة»**، ولقد كانت هذه الفكرة في واقع الأمر أشبه بحلم!!!

ثم أخذ «تيودور هرتزل» يصوغ مذهب الحركة الصهيونية في فيينا سنة ١٨٨٢م،

وانتهى من إرساء نظامها سنة ١٨٩٤م في كتابه «الدولة اليهودية»، وبدأ في وضعها موضع التنفيذ في أول مؤتمر صهيوني عقد في مدينة بازل سنة ١٨٩٧م، وفي هذا المؤتمر حازت الفكرة قبولاً عند يهود بلاد شرق أوروبا، بينما رفضت من قبل اليهود الألمان والنمساويين..

وفي ذلك الوقت لم يكن اليهود أمة واحدة، وإنما كانوا مشتتين في بلاد العالم. يتحدثون لغات مختلفة، ولكن قادة الحركة الصهيونية دعوهم إلى أن يستشعروا قوميتهم ودينهم، وقالوا لهم إن اليهودية دين وقومية، ودعوهم إلى تعلم العبرية. ولم يكن مع قادة الحركة الصهيونية آنذاك نسبة تذكر من يهود العالم ـ الذين هم قلة جميعاً ـ ربما ١٪، ولم يكن معهم في ذلك الوقت من يساندهم من الدول الكبرى أو ذات النفوذ، ولكنهم كان لهم من اليقين بقضيتهم ومن الإيمان بانتصارهم ما جعلهم يضعون المخططات ويتخذون الأسباب لتحقيق أهدافهم.. وتصف جولدامائير ـ بعد زمن ليس بالقصير ـ الواقع آنذاك فتقول «بالرغم من أننا قدمنا من بلدان مختلفة، ونتكلم لغات عدة، ولنا ثقافات وعقائد مختلفة، إلا أننا كنا إخوة، وندين بالولاء لبعضنا، ويربطنا رباط مقدس، هو فلسطين، فهي المكان الوحيد الذي يجب أن نعيش فيه، هرباً من حياة المكابدة والعناء، هنا فقط يستطيع اليهود أن يكونوا أسياداً لا ضحايا القدر»[٢]

١ ـ الصهيونية الدينية والصهيونية السياسية

من الإنصاف ـ كما يرى البعض ـ أن لا نخلط بين الصهيونية الدينية والصهيونية السياسية:[٣]

أ ـ الصهيونية الدينية: وهي التي نادى بها المتصوفون من اليهود، وربطوا بينها وبين عودة المسيح[٤]، وظهور هذه الحركة أدى إلى إعادة الحج إلى الأماكن المقدسة، وفي القرن التاسع عشر أراد «محبو صهيون» أن ينشئوا مركز إشعاع روحي للدين اليهودي وللثقافة اليهودية في أرض «صهيون»، ويقول جارودي: «ومما يسترعي النظر أن هذه الصهيونية الدينية «والتي لم تمتد إلا إلى جماعات محدودة» ولم تلق

قط معارضة من المسلمين. . ولم تثر هذه الصهيونية الروحانية البعيدة تماماً عن السياسة، والتي لم تهدف أبداً إلى إقامة دولة أو فرض سيطرة على فلسطين، لم تثر قط أية مصادمات بين اليهود وبين السكان العرب مسلمين كانوا أم مسيحيين»[٥]

ب ـ الصهيونية السياسية: وهي التي ابتدعها «هرتزل»، والتي يعنيها هذا البحث بالدراسة، فإذا ذكرت لفظة الصهيونية نعني بها مباشرة الصهيونية السياسية، «فتيودور هرتزل» يعارض بكل شدة من يفهمون «اليهودية» على أنها دين، وإن كان يؤمن بأن اليهود أولاً وقبل كل شيء «أمة» واحدة، وقد كان هدف «هرتزل» الأساسي هدفاً سياسياً، ولم يكن قط دينياً، وقال: إنه استخلص النتائج التالية:[٦]

(١) يشكل اليهود في كل بلدان العالم، وأياً كان البلد الذي يعيشون فيه، «أمة» واحدة.

(٢) كان الهيود في كل زمان ومكان هدفاً للاضطهادات.

(٣) لا يمكن لليهود أن يندمجوا في نسيج أية أمة يعيشون فيها «وهذا المبدأ هو مبدأ جميع العنصريين واللاساميين».

وقد استنتج تيودور هرتزل من ذلك نتائج عملية واستخلص حلولاً نادى بها لكي يضع حداً للتنافر بين اليهود وغيرهم من الشعوب، وهو يعتبر ذلك التنافر دائماً ونهائياً. ويمكن تلخيص ما توصل إليه فيما يلي:

(١) رفض الاندماج، ولم تكن دول شرق أوروبا «وبخاصة الامبراطورية الروسية» تبيحه لليهود على حين كانت دول غرب أوروبا قد بأت في تحقيقه «ولا سيما في فرنسا حيث تكشف الوجه المخزي للاسامية بعد قضية دريفوس».

(٢) إنشاء دولة يهودية يتجمع فيها كل يهود العالم ونبذ فكرة إقامة «وطن» روحي ومركز إشعاع للدين اليهودي وللثقافة اليهودية.

(٣) ينبغي إنشاء هذه الدولة في مكان «شاغر».

وبالفعل تمكن هرتزل من أن يقنع الحضور في مؤتمر بازل سنة ١٨٩٧م بهذه الأفكار وكانت أهم القرارات التي صدرت في المؤتمر:

(١) إنشاء وطن قومي لليهود.

(٢) جعل اللغة العبرية لغة يتحدث بها اليهود في جميع أنحاء العالم.

(٣) إنشاء صندوق جباية لتيسير عملية هجرة اليهود.

ثم توالت المؤتمرات الصهيونية، وأثير الخلاف داخلها نتيجة انقسام الرأي حول مكان إقامة الوطن القومي.. هل هو الأرجنتين أم أوغندا أم فلسطين أم شبه جزيرة سيناء أم مدغشقر؟ حتى استقر الرأي في المؤتمر السابع سنة ١٩٠٥م على فلسطين؛ التي تعتبر ورقة دينية رابحة، أثارت بها الحركة الصهيونية مشاعر اليهود وروجت فكرة العودة الرومانسية إلى «أرض الميعاد» التي ظلت تتحرك في صدورهم وهم يقرأون ما بين أيديهم من سطور التوراة، وخاصة ما جاء في سفر التكوين: «في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»[٧]

وإن كانت مواصفات المكان ذكرها هرتزل في كتابه «الدولة اليهودية» عندما أشار إلى أن المنطقة التي يجب أن يقوم فيها الوطن القومي لليهود.. يجب أن تتوفر فيها بعض المقومات مثل: قلة السكان وخصوبة الأرض واعتدال المناخ وتخلف سكانها و«استراتيجية» موقعها بما يتيح لليهدو وضعاً ملائماً لاستثمار ثرواتهم..

وبعد أن وقع الاختيار على أرض فلسطين بدأت الحركة الصهيونية في تنظيم حركة التهجير بنشاط إلى الأرض الموعودة حتى وصل عدد المستعمرات التي تم إنشاؤها ما بين سنة ١٩٠٥ و سنة ١٩١٤ إلى تسع وخمسين مستعمرة يعيش فيها ١٢ ألفاً من المستوطنين الصهاينة، وهذا ما ستعالجه هذه الدراسة في البحث الخامس.

ونخلص من ذلك إلى أن: الصهيونية لا يرجع أصلها إلى اليهودية ولكنها مذهب وطني استعماري ـ تستغل العاطفة الدينية عند اليهود، وتفسر التوراة تفسيراً مزاجياً لاخفاء نواياها الدفينة وأهدافها السياسية.

٢ ـ من مبادىء الحركة الصهيونية

عندما تحددت الأهداف أخذت الحركة تبحث عن سبل تحقيقها فأعلنت عدداً من الأطروحات، سنعالج هنا منها ما يلي :

أ ـ إنكار وجود الشعب الفلسطيني: لم يبدأ إنكار الشعب الفلسطيني من عهد قريب، وإنما عندما صدر كتاب هرتزل «الدولة اليهودية» سنة ١٨٩٤م لم يرد به ذكر للشعب الفلسطيني، وكما يقول جارودي : «لم يذكر اسم ذلك الشعب لا في كتاب هرتزل ولا في الجمعيات السياسية التأسيسية للحركة الصهيونية العالمية، فإنكار وجود هذا الشعب هو مبدأ من المبادىء الأساسية للصهيونية، وهو أصل كل الجرائم اللاحقة التي ارتكبت ضده»[٨] ، وقد جمع عدداً من تصريحات قادة الحركة الصهيونية في هذا الشأن ننقل هنا منها :

«صرحت جولدا مائير لجريدة صانداي تايمز اللندنية في ١٥ يونيو ١٩٦٩م قائلة : «لا وجود للفلسطينيين. وليست المسألة وجود شعب في فلسطين يعتبر نفسه الشعب الفلسطيني، وليست المسألة أننا أتينا وطردناهم وأخذنا بلادهم، لا، إنهم لم يوجدوا أصلاً».

وسيراً على هذا المنطق فإنه يتعين طرد أو استئصال أولئك الذين يقاومون إسرائيل، تماماً كما فعل مهاجرون آخرون في أمريكا مع الهنود الحمر.

وعندما وجه أينشتاين السؤال إلى وايزمان «وكان هذا الأخير من قادة المنظمة الصهيونية العالمية» قائلاً له : «ما هو مصير العرب إذا ما أعطيت فلسطين لليهود؟» رد عليه بقوله : «من هم أولئك العرب؟ إنهم لا شيء تقريباً»

وقد ذكر الأستاذ الجامعي بنزيون دينور، أول وزير للتعليم في وزارة دافيد بن غوريون مؤسس دولة «إسرائيل» ومن أقرب الناس إليه، في المقدمة التي كتبها عن «تاريخ الهاغاناه» والذي نشرته المنظمة الصهيونية العالمية، ما يلي : «ليس في بلادنا مكان إلا لليهود. وسنقول للعرب : ارحلوا. فإن لم يرضوا بذلك وعمدوا إلى المقاومة فسنرحلهم بالقوة».

وكتب جوزيف فايتز مدير إدارة الاستيطان «بالوكالة اليهودية» غداة يونيو ١٩٦٧ قائلاً: «من الواضح ـ فيما بيننا ـ أنه لا مكان في هذه البلاد لشعبين. والحل الوحيد هو «إسرائيل» اليهودية التي تضم على الأقل «إسرائيل» الغربية «غربي نهر الأردن» بلا عرب، ولا مخرج إلا بنقل العرب إلى مكان آخر، في البلدان المجاورة»[٩]

ومن هذه التصريحات يتبين أن قادة الحركة الصهيونية يعطون لأنفسهم حق التصرف كآلهة يقتلون ويطردون؛ ورفع بعضهم مثل «إسرائيل سفانجفل» شعار: فلسطين أرض بلا شعب هي لشعب بلا أرض»[١٠]، وهذا من أكذب الكذب، إذ أنه قبل أن ينشر «سفانجفل» مقولته بست سنوات كانت فلسطين تمثل «متصرفية» تحت الحكم التركي تضم ٢٦ ٣٢٠ كيلومتراً مربعاً مقسمة إلى ثلاثة مقاطعات هي: القدس ونابلس وعكا، وكان يعيش فيها آنذاك ٤٥٣٠٠٠ عربي في ١٨٩٥م، هذا فضلاً عن أن نفس «الكتاب المقدس» في العهد القديم منه يثبت أن الذين سكنوا فلسطين منذ أكثر من ٤٧٠٠ سنة يرجعون في أصلهم إلى العرب الكنعانيين، أما القبائل العبرية فلم تصل إلى أجزاء من فلسطين إلا في القرن الثالث عشر أو الرابع عشر قبل الميلاد، وعندما وصل العبريون إلى فلسطين وجدوا الحضارة الكنعانية فيها مزدهرة منذ العصر الحجري الحديث، وقد أكد المؤرخون أن القبائل العبرية لم تولد في فلسطين أصلاً، وإنما وصلوا إليها وصولاً واستقروا بها لفترة قصيرة، ولم يستوطنوا المناطق التي اغتصبها الصهاينة، حيث لم ينقطع وجود قبائل Philister أي الفلسطينيين من هذه الأرض التي سميت باسمهم»[١٠]

ب ـ التأكيد بأن اليهود أمة عرقية

تؤكد الحركة الصهيونية على أن اليهود أمة عرقية، وأن الذين يُهَجّرون إلى فلسطين جسيماً يمثلون هذه الأمة، وهذا مبدأ باطل إذ أن العابرون «أو العبرانيون» الذين جاءوا عند الخروج من مصر كانوا طائفة اجتماعية «هامشية أو رافضة» ولم يكونوا أبداً جنسية قائمة بذاتها.

وأخذت القبائل التي تسللت إلى أرض كنعان سلماً أو دخلتها بالحرب، أخذت

تختلط عن طريق الثقافة والزواج بالسكان المحليين والقوانين العرقية «لأسدراس» و«سخميا» شاهدة على ذلك بعد عدة قرون، كما أن مملكة دواود وسليمان ـ عليهما السلام ـ كانت بلداً متعددة الشعوب مفتوحة للأمم الأجنبية ولدياناتها المختلفة . .

والواقع المؤكد أنه لم توجد قط «سلالة» يهودية أو عنصر يهودي إلا في شطحات هتلر الجنونية أو في خيالات الصهيونيين، ففي جميع مراحل التاريخ كان اليهود جزءاً من مكونات الجنسيات السكانية الكبرى، وما كانت هذه الجنسيات بدورها سلالات قائمة بذاتها»(١١)

وقد نقل جارودي عن جوزيف دينباج النتيجة التي توصل إليها فقال: «وبما أنه لم يكن هناك إذن جنس ولا عرق يهودي، أو أمة يهودية، وهناك فقط دين يهودي، فالقائل بالصهيونية إذن مخطيء تاريخياً وعلمياً»(١٢)

ويؤكد ماكسيم رودنسون «وهو يهودي» هذه الحقيقة بمزيد من المعلومات العلمية الدقيقة فيقول: «من المرجح جداً ـ وهذا أمر يتجه علم الأنثرويولوجيا إلى إثباته ـ أن سكان فلسطين الذين يطلق عليهم عرب فلسطين «وهم في أكثريتهم مستعربون» قوم تجري في عروقهم دماء من قدماء العبريين أكثر مما تجري في عروق يهود الشتات الذين لم يمنع انغلاقهم من دخول كثير ممن اعتنقوا اليهودية إلى صفوفهم، وترجع جذور هؤلاء إلى أصول جنسية مختلفة. لقد كان التبشير اليهودي بالغ الحماسة طيلة قرون واستمر لفترات طويلة، ويكفي من الناحية التاريخية لإثبات نشاط تلك الدعوة أن نشير إلى وجود دولة يهودية في جنوب بلاد العرب في القرن السادس الميلادي، وهي دولة قامت على أساس عربي مهوّد، والدولة اليهودية التركية للخزر في جنوب شرقي روسيا «من القرن الثامن إلى القرن العاشر الميلادي» على أساس تركي أو روسي «فينو ـ أوغري» مع صبغة سلافية، ويهود الصين الذين اصطبغوا تماماً بالصبغة الصينية، واليهود السود في مقاطعة كوشان الهندية، ويهود أثيوبيا المعروفين باسم «فلاشا» الخ، ويكفي إلقاء نظرة على وجوه الناس في أي اجتماع يهودي مختلف الجنسيات لنرى إلى أي حد تختلف

أرومات اليهود»[١٣]

٣ ـ علاقة الحركة الصهيونية بالاستعمار

أ ـ الاستعمار وخصائصه: قام فلاسفة الاستعمار بتقسيم أراضي العالم إلى صنفين:[١٤]

(١) صنف من الأراضي فارغ «حتى لو كان مسكوناً»

(٢) صنف آخر مشغول تقطنه مجتمعات متحضرة.

ثم جرى سلب الأراضي الجيدة من الصنف الأول لتسلم للإنسان الأبيض، وصدرت قرارات مدروسة اعتبرت ملايين الأفدنة والهكتارات من الأراضي الإفريقية والآسيوية والأمريكية أراضي خالية، وأبعد عنها أصحابها ليستلمها السيد الجديد.

ويرى بعض الدارسين أن أهم خصائص الاستعمار الجديد هي:[١٥]

(١) ـ التوسع الإقليمي:

(٢) ـ إرادة الهيمنة على المجتمعات الأخرى.

(٣) ـ تصنيف الكائنات الطبيعية والبشرية بطريقة منهجية إلى متقدمة ومتخلفة، ومتطورة وغير قابلة للتطور.

(٤) ـ إضفاء ستار علمي منطقي على جميع الأفكار والمفاهيم، بهدف إخفاء حقيقة الغزو الاستعماري.

ب ـ إلتقاء الصهيونية مع الاستعمار

درجت وسائل الإعلام العربية والإسلامية في الماضي على الحديث عن «الكيان الصهيوني» على أنه أداة الاستعمار زرعها في قلب العالم العربي، ويواصل دعمها لخدمة مصالحه «الامبريالية»؛ وهذا حق لا مرية فيه ـ ولكن للأسف لا يسمع هذا الكلام في وسائل الإعلام العربية والإسلامية في السنوات الأخيرة ـ؛ بل لقد صرح به هرتزل نفسه في كتابه «الدولة اليهودية» حيث قال: «وسنكون بالنسبة لأوروبا جزءاً من حائط يحميها من آسيا، وستكون بمثابة حارس يقف في الطليعة ضد البربرية»، كما أن حاجة البلاد الاستعمارية ـ وخاصة انجلترا ـ للحفاظ على

مستعمراتها، أدت بها إلى الاهتمام بدراسة واقع هذه المستعمرات، فاتضح من خلال الدراسة أن أكثر المناطق تفجراً، هي المنطقة العربية وقد جاء في تقرير «كامبل باترمان» المقدم سنة ١٩٠٧ ما يلي:

(١) ـ إن المنطقة التي يعيش فيها الشعب العربي ـ من المغرب حتى العراق ومن شمال سوريا حتى البحر العربي ـ تعتبر منطقة خطر، إذ يعيش فيها شعب واحد له مقومات التجمع والترابط الديني واللغوي والتاريخ والآمال والمستقبل والمصير.

(٢) ـ إن المنطقة غنية بمواردها الواسعة وحساسة بموقعها الجغرافي، وتنذر بالخطر على الاستعمار، بسبب كثرة تناسل سكانها، ونمو الشعور الديني عندهم، وتزايد رغبتهم في التوحد...

(٣) ـ إن الخطر على المصالح الاستعمارية سيصبح أمراً واقعاً في هذه المنطقة، خاصة ما يقع منها على السواحل الشرقية والجنوبية للبحر المتوسط إذا ما توحدت اتجاهات سكانها حول قيادة عقيدية وسياسية واحدة..

(٤) ـ إن حل مشاكل الاستعمار وأساليب الاستغلال الأوروبي وإطالة عمر الاستعمار في الوطن العربي، تكمن في إيجاد حاجز بشري قوي وغريب عن سكان المنطقة، يكون صديقاً للغرب محافظاً على المصالح الاستعمارية، يفصل الجزء الشرقي الآسيوي للمنطقة عن جزئها الغربي الإفريقي، والموقع الأمثل لوجود هذا الجسم الغريب هو أرض فلسطين وشبه جزيرة سنياء.

ويلاحظ أن المنطقة التي يشير إليها التقرير هي نفس المنطقة التي أرادتها الحركة الصهيونية لتنطلق منها نحو إنشاء «إسرائيل الكبرى».

إذن.. النتيجة المنطقية الوحيدة هي أن وحدة الهدف والوسائل بين الاستعمار الممثل في بريطانيا في ذلك الوقت وبين الحركة الصهيونية كانت كاملة ومتطابقة تقريباً. مما دفع بريطانيا لتقديم الدعم الهائل خلال الفترة التي تسبق إعلان قيام دولة «الكيان الصهيوني».

وفي يوم ١٩٤٥/٥/٢٢ تقدمت «الوكالة اليهودية» للحكومة البريطانية بمطالب

منها:[١٦]

(١) التقرير بشأن اعتبار فلسطين غير مقسمة، وغير منقوصة دولة يهودية.

(٢) إعطاء «الوكالة اليهودية» حق الإشراف على التهجير.

(٣) توفير القروض الدولية التي تمكن من تهجير المليون الأول من يهود الشتات.

وإن كان هناك من يميز بين الاستيطان اليهودي والاستعمار الاستيطاني فيقول: «إن الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، مبني على نقل اليهود من الخارج إلى فلسطين، ويسمي ذلك «عودة» إلى أرض الآباء والأجداد، فالصهيوني عائد ومحرر، وليس كالأوروبي الأجنبي مغتصب ـ زعم الصهاينة ـ، وهو يحاول إفراغ فلسطين من سكانها، ليحل مكانهم صهاينة عائدون، بينما كان الاستعمار الغربي يقوم على سلب قسم من الأرض وإنشاء مستعمرة عليها، ولا مانع عنده من استعمال السكان الأصليين فيها. أما الصهاينة فقد صمموا ابتداء على تشريد الشعب الفلسطيني، وعدم استعمالهم أبداً، وقد نص عقد الوكالة اليهودية ـ مع كل يهودي يستأجر منها أرضاً ـ على أن يتعهد بأن لا يشغل أي موظف أو عامل غير يهودي، أو يتعامل مع أي شخص غير يهودي»[١٧]

ونخلص مما ذكرناه إلى:

(١) قضية تهجير يهود الشتاب إلى فلسطين، قضية عنصرية لا علاقة للدين بها، وفي نفس الوقت تعسفية لأنه لا علاقة لهؤلاء المهجرين بأرض فلسطين، ولا يشكل اليهود جنسية.

(٢) تطابقت مصالح وأهداف الحركة الصهيونية مع الاستعمار البريطاني، مما ساعد على التخطيط المشترك، والعمل الدائب لتحقيق هذه الصالح والأهداف المشتركة.

٤ ـ إنشاء الدولة

إن مبدأ الصهيونية في إنشاء الدولة تمثل في المناداة بتحويل اليهودية إلى قومية

وجنسية تتمثل في شعب، واعتبار يهود العالم بأسره أهل هذا الشعب، وبعد تحديد الأرض التي ستقام عليها الدولة ناضلت الحركة الصهيونية لدفع يهود الشتات إلى العيش في هذه الدولة.

ولقد تصاعدت المطالب الصهيونية في سبيل الوصول للهدف النهائي بإقامة دولة «الكيان الصهيوني»، ففي سنة ١٨٩٧ بدأ الأمر بالرغبة في العيش مع العرب في فلسطين بسلام، ثم تصعد سنة ١٩١٨ إلى المطالبة بوطن قومي لليهود في فلسطين، ثم المطالبة سنة ١٩٢٩ بالحياة في فلسطين دولة لشعبين، وفي نفس العام بدأ الصراع الدموي مع الفلسطينيين أهل البلاد الذين ولدوا فيها، وأول مرة أعلن الصهاينة فيها أنهم يطالبون بدولتهم الخاصة كان سنة ١٩٤٢م، وفي المؤتمر الصهيوني رقم ٢٢ لسنة ١٩٤٦ قبل بن جوريون اقتراحاً بتقسم فلسطين إلى «دولة يهودية» وأخرى عربية، بشرط ضمان الدول الكبرى تحقيق ذلك، وبالفعل تم التقسيم في ١٩٤٨/٤٧م بمساعدة الدول الكبرى، وفي نفس الوقت بدأت المنظمات الإرهابية الصهيونية في إخراج الفلسطينيين بالقوة من فلسطين، ثم قام الجيش الصهيوني من بعد بهذه المهمة، لأن الصهاينة لا يرغبون في وجود عرب فلسطينيين في دولة «الكيان الصهيوني»[١٨]

ونظراً لأن مراحل قيام الدولة ستناقش ـ بإذن الله تعالى ـ في البحوث التالية، فسأكتفي هنا فقط بالإشارة إلى وعد بلفور وقرار التقسيم:

أ ـ وعد بلفور

صدر هذا الوعد في ١٩١٧/١١/٢، فكان بمثابة إعلان رسمي بموافقة بريطانيا على السير يداً بيد مع الحركة الصهيونية العالمية من أجل استعمار فلسطين.. وكان بذلك لبريطانيا فضل السبق في اكتشاف الحل الصهيوني، الذي كان وسيلة لمنع قيام دولة إسلامية موحدة أو دولة قومية في المنطقة.

وقد عبر «ونستون تشرشل» عن هذا التصور في بيان أصدره في ١٩٢٠/٢/٨ جاء فيه: «إذا وقع ما ننتظر وقوعه، وهو أن يقوم على ضفاف نهر الأردن، وتحت

حماية التاج البريطاني، دولة «يهودية» تشتمل على ٣ أو ٤ ملايين من اليهود؛ كان هذا في تاريخ العالم حدثاً طيباً من كل وجهة من وجهات النظر، وهو حدث ينسجم بصورة خاصة مع أصدق مصالح الامبراطورية البريطانية»

ثم اتخذت خطوات لتنفيذ المصلحة المشتركة بين اليهود والبريطانيين متمثلة في:

(١) إنشاء كتيبة يهودية للاشتراك مع الحلفاء في الحرب في المنطقة، وقد تكونت من يهود من فلسطين وأمريكا وبريطانيا. . وتمكن أعضاء هذه الكتيبة من الحصول على مستوى عال من التدريب، وعلى قدر من الأسلحة الخفيفة التي احتفظوا بها لمخططات ما بعد الحرب، حيث تكونت الهاجاناه، كما كانت مكلفة بدراسة جغرافية المكان.

(٢) إلحاق «وايزمان» بخدمة وزارة الحرب البريطانية وعكوفه على تطوير سلاحها التدميري للحصول على رصيد أوسع من التأييد لمخطط الصهيونية.

ب - قرار التقسيم في ٢٧/ ١١/ ١٩٤٧م

صدر القرار ١٨١ لسنة ١٩٤٧ عن «الجمعية العامة للأمم المتحدة»، والذي يقضي بتقسيم فلسطين بين الفلسطينيين واليهود، ويلاحظ على هذا القرار ما يلي:

(١) صدر القرار من «الجمعية العامة للأمم المتحدة» ولم يصدر عن «مجلس الأمن»، فهو حتى بموجب المواثيق الدولية، يعتبر توصية، وليس قراراً واجب النفاذ.

(٢) يقضي القرار بإنشاء كيان جديد لم يكن موجوداً من قبل، إذ أن البلاد لأهلها وهم الفلسطينيون، والآن يغالط المغالطون ويحاولون اقناع العالم بأن الفلسطينيين يحتاجون لإقامة دولتهم موافقة «الكيان الصهيوني»، ولابد من السماح لهم بحق تقرير المصير بعد موافقة المغتصب، ولا أدري على أي أساس يتم كل ذلك؟!!

(٣) لم يرفض الفلسطينيون وحدهم قرار التقسيم، كما يزعم زعماء «الكيان الصهيوني»، وإنما رفضته أيضاً عصابة الإرجون وزعيمها آنذاك «مناحيم بيجن»،

وقيل وقتها إن القرار عمل غير مشروع، ولن يعترف به أبداً، ودعت العصابة اليهود إلى طرد العرب والاستيلاء على أرض فلسطين كلها؛ وهذا عمل لم يسبق له في التاريخ مثيل!!!

(٤) لم يصدر حتى الآن ـ من قبل حكومات «الكيان الصهيوني» ـ أي اعتراف بأي قرار من قرارات «الأمم المتحدة» ـ التي قامت الدولة على أساس قرار منها ـ، ولم يصدر حتى الآن في أي وثيقة معلنة رسمية، اعترافاً من حكومة من حكومات «الكيان الصهيوني» بالحدود المقبولة لـ «الكيان الصهيوني» الجديد، وهذا في الواقع هروب من الاعتراف بحدود يمكن أن تقيد التوسع في المستقبل وهو في نفس الوقت يؤكد النوايا الخفية لإقامة «إسرائيل الكبرى».

(٥) كانت «الأمم المتحدة» في عام ١٩٤٨م ـ كما هو الحال الآن ـ تحت سيطرة الدول الكبرى ـ والغربية منها على الخصوص ـ، وقد بلغ بها الأمر أن انتهكت ميثاقها نفسه، عندما رفضت أن تعترف للعرب الفلسطينيين ـ أصحاب الحق ـ بحق تقرير مصيرهم عند التقسيم، وقد كانوا يشكلون أكثر من ثلثي السكان، ويسيطرون على ٩٤,٤٪ من أرض فلسطين.

واعتبر المنصفون صدور هذا القرار والقواعد التي استند إليها كارثة من الكوارث، إذ لا يمكن بحال احترام الأساس الذي يقول بأن اليهود مروا بأرض فلسطين لفترة من الزمن فلهم حق تاريخي في هذه الأرض، حيث لا يمكن القبول بهذا المسوغ إلا إذا اعتبرت الفوضى السياسية مبدأ يجب احترامه، ولو قبل ذلك، لكان لأسبانيا الحق في المطالبة بالمكسيك، وللعرب الحق في أسبانيا، وللهنود الحق في أمريكا الشمالية، بل لكل من الفرس والمصريين والعرب واليونانيين والرومانيين نفس الحق في المطالبة بفلسطين نفسها فقد عاشوا فيها سنوات أطول من اليهود»[١٩]

ويلاحظ على هذه الفترة ما يلي:

(١) بإعلان بريطانيا إنتهاء انتدابها على فلسطين، سارع «دافيد بن جوريون»

بإعـلان قيام الـدولـة «الإسـرائيلية» في ١٥/٥/١٩٤٨، من مبنى البلدية في فلسطين، وبهذا حققت الحركة الصهيونية هدف هذه المرحلة، وهو إعلان قيام «الكيان الصهيوني» في فلسطين في شكل دولة..

(٢) إذا كان الاستعمار البريطاني ساعد في قيام دولة «الكيان الصهيوني»، إلا أن الحـركـة الصهيونية تحـولت بعد إنشاء الدولة من الاعتماد على بريطانيا إلى الاعتماد على الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أنه بإنتهاء الحرب العالمية الثانية واضمحـلال القـوة الاستعمـارية لبـريطانيا العـظمى، وصعود الولايات المتحدة الأمريكية، كانت الصهيونية تشد الرحال من جديد نحو واشنطن. ومن أقوال «بن جوريون» في هذا الشأن: «لم أعد أشك أن مركز الثقل لعملنا السياسي في الميدان الدولي قد انتقل من بريطانيا إلى الولايات المتحدة التي تزعمت العالم».

(٣) لم يعتبر القادة الصهاينة أن هذه المرحلة هي النهاية بل أعلن بعضهم أنها البداية، ومن أقوال «بن جوريون» في هذا المعنى: «إن علينا أن نناضل بحماس بأسلوب الغزو وبالطرق الدبلوماسية من أجل خلق امبراطورية إسرائيلية تمتد من النيل إلى الفرات.

ثانياً: دور المنظمات الدولية والعربية في تثبيت الدولة

لقد تتبع الدكتور نعمان السامرائي علاقات اليهود ومعاملاتهم فوجد أنهم يبحثون دائماً عن الأقوياء ليتحالفوا معهم، فإذا فقد الحليف مركز قوته، أو أوشك على ذلك تركوه بسرعة ليتحالفوا مع نجم جديد طالع، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى أو تعد؛ فحين برز المسلمون قوة عالمية، سارع اليهود للتحالف معهم، وكسب ودهم، بل راحـوا يتجسسـون لهم على الـروم وغيرهم، وفي الأنـدلس استقبلوا المسلمين، فلما خرجوا منها كانوا معهم في أقطار المغرب وتركيا، فلما أفل نجم المسلمين، راحوا يتجسسون عليهم لمصلحة الاستعمار الغربي، بل راحوا يغرونه بالغزو، ومن غرائبهم أنهم لا يجدون بأساً في التحالف مع الأعداء، ما دام هذا العدو قوياً[٢٠] !!!

نعم إنهم يتحركون بدافع المصلحة وإن ذلك يظهرهم متناقضين في اليوم الواحد، فقد نقل لنا القرآن الكريم هذه الصورة من تعاملهم في قول الله عز وجل: **﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون﴾** (آل عمران: ٧٢) فهل من مدكر؟!

١ ـ دور المنظمات الدولية

سبق أن عالجت هذه القضية بتوسع في **كتابي حرب الخليج ـ مقدمات ونتائج**[٢١]، ولذلك سأشير هنا إلى أسباب فشل المنظمات الدولية في معالجة القضايا وألخص دورها في قضية فلسطين، ثم أتوسع بعض الشيء في قراءة القرار **٢٤٢** لسنة **١٩٦٧** لأهمية ذلك:

أ ـ أسباب فشل المنظمات الدولية في معالجة القضايا

يؤمن المسلم بأن الوحي الذي جاء من عند الله تعالى هو الحق الذي يجب التحاكم إليه، وأما غيره فقد يكون فيه الحق والباطل والله تعالى يقول: **﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون﴾** (يونس: **٣٢**)

وعليه فإننا نؤمن بأن أهم أسباب فشل المنظمات الدولية في معالجة القضايا ترجع إلى جملة من الاعتبارات:

(١) ـ المواثيق والعهود التي يضعها البشر تستند إلى أسس وتصورات بشرية، فلابد أن تتأثر بالهوى والمصالح، وعليه فإنها فضلاً عن وجود النقص بها لابد وأن يكون فيها الظلم والخطأ، فإذا أرادت البشرية عهوداً ومواثيق صحيحة وفي نفس الوقت تضمن الخير والرحمة للبشرية فلا بد من الرجوع إلى الشريعة الإسلامية وهذا ما لا تقبل به القوى الكبرى اليوم، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

(٢) ـ الأسس التي تنبع في تكوين الأجهزة مثل «الجمعية العامة» و «مجلس الأمن» والصلاحيات والسلطات التي تمنح لكل جهاز، لقد قامت هذه المؤسسات على أسس ظالمة، كما هو الحال في «مجلس الأمن الدولي» إذا أن الدول الخمس الدائمة العضوية في المجلس لا يشكل سكانها نسبة ١٠٪ من سكان المعمورة؛

فحتى بالمبدأ «الديمقراطي» الذي تنادي به هذه الدول لا يحق لهذه البلاد أن تتمتع بهذه الحقوق والصلاحيات، وقد رأينا في حرب الخليج كيف تمكنت أمريكا من توجيه وتسيير «مجلس الأمن»!، فضلاً عن بطلان مبدأ حق النقض «الفيتو».

(٣) ـ المكان الذي توجد فيه المنظمة وحرية الوصول إليه لكل من لديه قضية يريد أن يعرضها، وقد رأينا أن عدم سماح السلطات الأمريكية لياسر عرفات بالنزول على التراب الأمريكي، جعله لا يستطيع أن يذهب إلى مقر «هيئة الأمم المتحدة» في نيويورك، مما جعل انعقاد «الجمعية العامة» ينتقل إلى «جنيف» حتى يتمكن ياسر عرفات من المشاركة في دورة الانعقاد ويشرح القضية الفلسطينية أمام المجتمعين!!.

(٤) ـ التمويل واستخدامه كوسيلة في الضغط على المنظمة، فمثلاً عبرت الادارة الأمريكية خلال السنوات العشر الأخيرة عن سخطها على «الجمعية العامة»، بسبب مواقف غالبيتها العددية من دول العالم الثالث.. مما جعل «الكونجرس» الأمريكي قبل سنوات يوافق على قانون ـ تقدم به عضو مجلس الشيوخ ـ يلزم الحكومة الأمريكية بأن تسدد ٤٠٪ فقط من حصتها في ميزانية «الأمم المتحدة» سنوياً، مالم تستجب المنظمة لشروط أمريكية محددة، وقد بلغت المتأخرات المالية المستحقة على الحكومة الأمريكية سنة ١٩٩٠ مبلغ ٦٧٥ مليون دولار، كما آن هناك قانوناً أمريكياً اخر. يربط بين المعونات الأمريكية للدول الأجنبية وتصويت هذه الدول في داخل «الأمم المتحدة»..

ب ـ دور المنظمات الدولية في قضية فلسطين تاريخياً وتوقع المستقبل:

بعد استعراضي للدور التاريخي تبين أن:

«دور المجتمع الدولي والمؤسسات العالمية وبخاصة «مجلس الأمن الدولي» فيما يتعلق بقضايا «الشرق الأوسط» وفلسطين، قد انحصر في تنفيذ ما أرادته الدول الكبرى وخاصة صاحبة المقاعد الدائمة في «مجلس الأمن الدولي»، والآن وبعد أن أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية صاحبة اليد الطولى في توجيه السياسة

العالمية، فإن دور «مجلس الأمن» من الآن فصاعداً سينحصر في تنفيذ مخططات الولايات المتحدة الأمريكية في حدود ما تستطيع أن تفرضه على أوروبا، ويضاف إلى ذلك أنه فيما يتعلق بقضية فلسطين فإن «مجلس الأمن» لا حيلة له، وينحصر دوره في تنفيذ ما تريده حكومة «الكيان الصهيوني»، فالولايات المتحدة الأمريكية لا تملك القدرة على تنفيذ شيء لا توافق عليه حكومة «الكيان الصهيوني»..

تلك حقيقة يجب أن ينتبه إليها حلفاء الولايات المتحدة وأصدقاؤها، كما يجب أن تعلمها الشعوب الإسلامية، وأن يتفاعل الجميع معها تفاعلاً يحررهم من المخاوف والغفلة والأهواء.»

وسبق لي أن توقعت أن هذا الدور في المستقبل بعد حرب الخليج سيكون محدوداً فقلت:

«ومن ذلك يتبين أن القضية الفلسطينية لن تحل حلاً عادلاً، ولا حتى وفق ما سمي «الشرعية الدولية»، وإنما ستحل كما تريد أمريكا بعد موافقة «إسرائيل»، ولا أتصور أن أحداً من العرب سيتجرأ على المطالبة بمعاملة «شامير» ونظامه بما عومل به «صدام حسين» ونظامه، وإنما ستظهر الأصوات التي تنادي بالواقعية، وقبول الأمر القائم والموافقة على ما يقدم لنا وإلا حرمنا منه مستقبلاً، والعاقل من يتذكر قول الله تعالى: ﴿**قل إنّما أعظُكم بواحدةٍ أنْ تقوموا لله مثنى وفرادى ثمّ تتفكروا**﴾ حتى نكتشف الطريق الصحيح ولا نسلم بالأمر الواقع بحال من الأحوال».

جـ ـ قراءة في قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧

لقد ارتبط النزاع العربي الصهيوني منذ أكثر من ربع قرن بالقرار رقم **٢٤٢** لسنة **١٩٦٧**، فكل المفاوضات السرية والعلنية بعد حرب سنة **١٩٦٧** إلى الآن، إما بواسطة «الأمم المتحدة»، أو الدول الكبرى، أو الولايات المتحدة الأمريكية، أو المباحثات الثنائية، كل هذه المفاوضات محورها هذا القرار السحري لـ «لمجلس الأمن» ـ فما حقيقة هذا القرار؟ وكيف صدر؟ وما هي نتائجه؟.

(١) ترجمة نص القرار٢٤٢ :

صدر القرار باللغات الأربع التي تصدر بها القرارات عادة، ولكن يلاحظ هنا أن القرار **٢٤٢** جاءت صياغته بثلاث لغات هي : الفرنسية والروسية والإسبانية واحدة وواضحة، أما اللغة الانجليزية ـ وهي لغة اللورد كارادون الذي تقدم بصيغة القرار للتصويت ـ جاءت غير واضحة وفيها عبارات غامضة، وهذه هي الترجمة الحرفية للنص الانجليزي :

النص الحرفي للقرار ٢٤٢ :

هذا النص الرسمي للقرار **٢٤٢** الذي صوت عليه بالاجماع مجلس الأمن الدولي التابع للأمم المتحدة في **٢٢** تشرين الثاني «نوفمبر» **١٩٦٧** .

أن «مجلس الأمن»، إذ يعرب عن قلقه المستمر في شأن الوضع الخطر في الشرق الأوسط. وإذ يؤكد عدم جواز الاستيلاء على الأراضي بالحرب. والحاجة إلى العمل من أجل سلام دائم وعادل تستطيع كل دولة في المنطقة أن تعيش فيه بأمان.

وإذ يؤكد أيضاً أن جميع الدول الأعضاء بقبولها ميثاق الأمم المتحدة. قد التزمت بالعمل وفقاً للمادة **٢** من الميثاق.

● يؤكد أن تطبيق مبادىء الميثاق يتطلب إقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط ويستوجب تطبيق كلا المبدأين الآتيين :

أ ـ انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من أراض احتلتها في النزاع الأخير.

ب ـ إنهاء جميع إداعاءات أو حالات الحرب، واحترام واعتراف بسيادة ووحدة أراضي كل دولة في المنطقة. واستقلالها السياسي وحقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها. حرة من التهديد بالقوة أو استعمالها.

● يؤكد أيضاً الحاجة إلى :

أ ـ ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة.

ب ـ تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

جـ ـ ضمـان حرمة الأراضي والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة عن طريق إجراءات من بينها إقامة مناطق مجردة من السلاح.

● يطلب من الأمين العـام تعيين ممثل خاص ليتوجه إلى الشرق الأوسط كي يجري اتصالات بالدول المعنية ويستمر فيها بغية إيجاد اتفاق، . ومساعدة الجهود الرامية إلى تحقيق تسوية سلمية ومقبولة وفقاً لأحكام هذا القرار ومبادئه.

● يطلب من الأمين العام أن يرفع تقريراً إلى مجلس الأمن بشأن تقدم جهود الممثل الخاص في أقرب وقت ممكن.

تبنى المجلس هذا القرار، في جلسته رقم ١٣٨٢، بإجماع الأصوات».

(٢) ظروف وملابسات اتخاذ القرار وكيف صدر؟

من المفيد لفهم هذا القرار وماذا ينتج عنه؟ أن نعلم:

● إن القرار صدر في ظروف هزيمة الجيوش العربية أمام ضربة خاطفة أذهلت الصديق قبل العدو، حيث احتلت قوات الكيان الصهيوني على الجبهات الثلاث مساحة أرض تعادل ست مرات ما كانت وصلت إليه حدود الاغتصاب قبل سنة ١٩٦٧م.

● إن المفاوضات التي أفضت إلى هذا القرار لم تكن معنية بقضية فلسطين. وإنما كانت معنية بتصفية التغييرات الإقليمية التي نجمت عن «النزاع» على حد تعبير المندوب الأمريكي الذي وقع في حزيران «يونيو» سنة ١٩٦٧. من هنا فإن القرار النهائي رقم ٢٤٢ ـ وليس هذا مدهشاً ـ لم يورد ذكراً لفلسطين، ولم تكن له صلة بالحقوق السياسية. وعليه فإن السؤال عما إذا كان القرار ٢٤٢ عادلاً تجاه الفلسطينيين؟ مثل السؤال عما إذا كان دستوراً صيغ في القمر هل يكون عادلاً في المريخ؟!

● لقد هددت الولايات المتحدة الأمريكية باستخدام حق النقض «الفيتو» ضد أي قرار لا توافق عليه الولايات المتحدة ـ وفي الحقيقة لا توافق عليه حكومة الكيان الصهيوني ـ، والـدول الغـربية الأخـرى أيدت بصـورة ضمنية أو صريحة هدف

الـولايات المتحـدة، ألا وهـو استغـلال الهـزيمـة العـربية كي تكسب «للكيان الصهيوني» الاعتـراف الـذي حجب عنـه خلال المـدة السـابقـة، ولتلزم العرب بالتفاوض المباشر مع حكومة «الكيان الصهيوني».

● صرح السيد/محمود رياض ـ وزير خارجية سابق لمصر ـ أكثر من مرة لوسائل الإعلام العربية أنه كان يتناقش مع مندوب أمريكا في «الأمم المتحدة» قبل صدور القرار ٢٤٢ السـيد «آرثر غولد بيرغ»، ولـم يكن يعلـم أنه «صـهيوني»، حتى أعلن «غولد بيرغ» بعد استقالته بصورة مكشوفة أنه كان «يتصرف طوال وقت عمله بصفته صهيونياً عن اقتناع»، ويقول السيد/محمود رياض: «أحسست وأنا أتعامل معه أنني لم أكن أتعامل مع مندوب للولايات المتحدة بقدر ما كنت أتعامل مع محام يترافع عن موكليه «الاسرائيليين». وأدركت أيضاً أن الفريق المهم في المفاوضات كان الولايات المتحدة، ويؤكد أن الأمريكيين أوضحوا مراراً وتكراراً أنهم لن يترددوا في ممارسة حق النقض «الفيتو» ضد أي شيء قد يعترض عليه أصدقاؤهم «الاسرائيليون»!!!

● العبارات الغامضة هي سمة البيانات والقرارات التي حرص اليهود أن تكون في الأوراق الـرسمية، حتى يدور حولهـا الخلاف فهذا القرار ٢٤٢ الذي اعتقد اللورد كارادون أنه سيعني الانسحاب في غضون ستة أشهر، وقد تبين بعد أكثر من ربع قرن أنه كان قناعاً لإخفاء النوايا الحقيقية لأولئك الذين عكفوا ليال طويلة على وضع مصطلحاته الغامضة بحرص وعناية. ذلك أنه بفضل تلك المصطلحات لم يتم عمل أي شيء على الإطلاق حتى الآن!!!

د ـ تصحيح «خطأ» وقع بحق «الكيان الصهيوني»

عوض أن تقـوم المؤسسـات الدولية بفرض عقوبات على «الكيان الصهيوني» الـذي لـم يلتزم بتنفيذ قرارات «الأمم المتحدة» سواء كانت صادرة من «الجمعية العـامـة» أو«مجلس الأمن»، وجـدنـا الـولايات المتحدة تقدم مكافأة لـ «الكيان الصهيوني» على حساب مبادىء «الأمم المتحدة» وذلك بدون خجل ولا حياء!!

فبعد البحث الطويل عن مكافأة قيمة، وجد الرئيس الأمريكي بوش هذه المكافأة العالمية، فأعلن أمام الجمعية العامة لـ «الأمم المتحدة» في خطابه السنوي لسنة ١٩٩١م أنه، قد آن الأوان لرفع القرار الذي صدر سنة ١٩٧٥ باعتبار «الصهيونية» شكلاً من أشكال العنصرية.. !!!

وبالفعل تقدمت الولايات المتحدة بطلب للجمعية العامة التي اتخذت قرارها في ١٩٩١/١٢/١٦ بالغاء القرار رقم ٣٣٧٩ لسنة ١٩٧٥ والذي يسوي بين الصهيونية والعنصرية، والمدهش في الأمر أن قرار الجمعية العامة لم يعترض عليه سوى ٢٥ دولة، وهذا معناه أن عدداً من البلاد التي صوتت أو امتنعت أي تصرفت لصالح الكيان الصهيوني من البلاد الإسلامية، التي يصل عددها في الأمم المتحدة إلى الخمسين، علماً بأن البلاد التي اعترضت منها بلاد ليست عربية ولا إسلامية[٢٢] !!

٢ ـ دور جامعة الدول العربية وبلاد الطوق

لو استقرأنا تاريخياً ما قامت به البلاد العربية وجامعة الدول العربية تجاه فلسطين وقضية فلسطين لتبين لنا؛ أنه قد كان لهذه البلاد وجامعة الدول العربية دور كبير فيما وصلت إليه القضية في هذه الأيام، فهم مسؤولون مسؤولية كبيرة، وعندما نتحدث عن البلاد العربية، فنعني بذلك في الدرجة الأولى الأنظمة القائمة والملوك والرؤساء، وليس معنى ذلك أننا نعفي الشعوب العربية من مسؤولية ما حدث وسوف أشير هنا بإختصار لعدد من الوقائع التي تظهر هذه المسؤولية:

(١) عندما هب الشعب الفلسطيني بثورته الشعبية سنة ١٩٣٦م، والتي انتشرت في المناطق والمدن، حتى أصبحت بصورة فعلية تهدد الوجود الصهيوني والاستعمار البريطاني، في هذه الأثناء برز دور الحكام ـ الذين لجأت إليهم بريطانيا ـ، فعملوا على إيقاف القتال وإنهاء ثورة الشعب الفلسطيني بناء على وعود الحكومة البريطانية ـ فكثير من هذه الأنظمة كانت في يد بريطانيا ـ، فتفرقت بذلك الصفوف واخمدت الثورة، ولم يظفر الشعب الفلسطيني بأي وعد من الوعود التي

وعدت بها بريطانيا.

(٢) عندما قامت جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٥ اعتبرت نفسها هي المسؤولة عن فلسطين، وعين مندوب فلسطيني للعمل مع الجامعة، ونظراً لأن الجامعة هي المسؤولة الوحيد فقد استبعدت المنظمات والهيئات الشعبية الفلسطينية، وبذلك تم إقصاء الشعب الفلسطيني إقصاء كاملاً عن قضيته التي أصبحت في يد الملوك والرؤساء العرب.

(٣) في سنة ١٩٤٨ وقبل دخول الجيوش العربية المعركة مع «الكيان الصهيوني» قررت جامعة الدول العربية حل كل المنظمات العسكرية وشبه العسكرية الفلسطينية ومنعها من المعركة أو المشاركة فيها برأي أو فعل واعتبارها غير موجودة أصلاً، فضلاً عن أن البلاد العربية التي دخلت المعركة لم يكن بينها تنسيق، وبالتالي دخل العدو المعركة وقد استعد لها تخطيطاً وتنظيماً وتنفيذاً، وفي الوقت الذي قيد فيه الشعب الفلسطيني ووضع في شروط وظروف لم تمكنه من القيام بواجبه على الوجه الأكمل ـ وبالرغم من ذلك فقد صنع غير قليل ـ، وبالتالي تمكن العدو من القيام بالضربات التي لم يكن العرب قادرين على القيام بمثلها.

(٤) تعاضدت جهود الصهاينة ـ بمساعدة أمريكا والغرب ـ مع جهود البلاد العربية في ضرب العمل الفدائي، وعملوا على إنهاء المقاومة الفلسطينية، فأفقدوها مواقعها موقعاً بعد موقع، وكان آخرها خروج ١٣ ألف مقاتل فلسطيني من لبنان وتم توزيعهم على البلاد العربية المختلفة، وما وقع من القضاء على المقاومة الفلسطينية ليس إلا ثمرة للواقع الفاسد للبلاد العربية والإسلامية، ومحصلة فاجعة لسنوات الانحراف والبعد عن الأهداف الإسلامية، والاجتهادات الشخصية القائمة على الهوى والمنافع الخاصة، حتى أن بعض الأنظمة قامت نيابة عن العدو بالقضاء على المقاومة الفلسطينية!!!

(٥) بالرغم من الاتفاق في جامعة الدول العربية والمحافل الدولية على اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي للفلسطينيين حيث أنه في:

- ١٩٧٤/١٠/٢٨م اعترفت قمة الرباط بمنظمة التحرير الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

- ١٩٧٤/١١/٢٢م أعطيت منظمة التحرير الفلسطينية صفة المراقب بالأمم المتحدة، وفي نفس الشهر ألقى ياسر عرفات خطاباً أمام «الجمعية العامة للأمم المتحدة».

- ١٩٧٥/١٢/٤م وافق «مجلس الأمن» على إعطاء منظمة التحرير الفلسطينية امتيازات عضو.

إلا أننا وجدنا الأنظمة العربية تابعت الولايات المتحدة الأمريكية في تنفيذ ما طالب به «الكيان الصهيوني» من استبعاد المنظمة عن تمثيل الشعب الفلسطيني، واختيار آخرين لهم تمثيل محدود!!!

(٦) بسبب إبعاد الشعب الفلسطيني عن قضيته لزمن طويل، وعدم توصل الملوك والرؤساء لأي نتيجة، هب الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة، بثورته العارمة، والتي تمثلت في «الانتفاضة»، فكثير من المحللين السياسيين ينظرون إلى الانتفاضة الفلسطينية على أنها محاولة متعمدة للتخلص من التبعية، ولتحدي الأمر الواقع، ولانتهاج سياسة الاعتماد على الذات،[٢٣] وبالرغم من دخولها العام الخامس لم تنقطع محاولات احتوائها أو القضاء عليها أو إيقافها!!

(٧) كانت تحركات الملوك والرؤساء والقادة السياسيين والعسكريين العرب «على مستوى القضية» عشوائية وربما جاء بعضها بناء على تواطؤ مع العدو أو إهمال، حتى أن أحد القادة يقول: كنا نتوقع العدو من هذه الجهة فجاء من تلك الجهة، ويكفي أن يطلع الإنسان على ما ظهر من مذكرات للقادة السياسيين والعسكريين بشأن هذه القضية، حتى يتبين له الوضع العربي العفن، وتبعية بعض الأنظمة للغرب والأمريكان.. وكل ذلك كان في صالح العدو ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى.

(١) استفدت فيما لم ينص على مصدره من المعلومات التي بثها الرائي «التليفزيون» الألماني في أفلام مستندية في برنامجه الأول ARD ، بمناسبة مرور ٤٠ سنة على قيام دولة «الكيان الصهيوني» في النصف الثاني من شهر أيار سنة ١٩٨٨م، وما نشرته جريدة الحياة بتاريخ ٧/ ١١/ ١٩٩١م، و Walter Hol-stein, Kein Frieden Um Israel, Fischer Verlag, Jg. 1939, Neuwied/Berlin . 1971.

(٢) د. نعمان السامرائي، مرجع سبق، ص ٧٢

(٣) روجيه جارودي، مرجع سبق، ص ٧-١١.

(٤) يرى كثير من علماء المسلمين أن المسيح الذي ينتظره اليهود والنصارى هو المسيح الدجال، وليس المقصود هو المسيح بن مريم عليه السلام.

(٥) روجيه جارودي، مرجع سبق، ص ٧ و٨

(٦) المرجع السابق، ص ٩ و١٠

(٧) الكتاب المقدس، مرجع سبق، ص ٢٣

(٨) روجيه جارودي، مرجع سبق، ص ٤٢

(٩) المرجع السابق، ص ٤٢ و٤٣

(١٠) مرجع سبق، Walter Hollstein, s. 46

(١١) روجيه جارودي، مرجع سبق، ص ٥١ ـ ٥٣

(١٢) المرجع السابق، ص ٥٤

(١٣) المرجع السابق، ص ٥٥ نقلاً من مقال للكاتب اليهودي ماكسيم رودنسون، أعاد نشره في كتابه: «الشعب اليهودي أوالمشكلة اليهودية»، طبعة ماسبيرو ١٩٨١، ص ٢١٨. انظر أيضاً كتاب إيلان هالفي «طبعة منوي Minuit ١٩٨١ ص ١١٦ ـ ١٢٥» وكتاب آرثر كستلر «القبيلة الثالثة عشرة» طبعة كالمان ليفي، ١٩٧٦.

(١٤) د. نعمان السامرائي، مرجع سبق، ص ١١٥

(١٥) المرجع السابق، ص ١٢٢ و١٢٣

(١٦) مرجع سبق، Walter Hollstein, s. 45 u. 53 u. 63

(١٧) د. نعمان السامرائي، مرجع سابق، ص ١٣١

(١٨) مرجع سبق، Walter Hollstein, s. 45 u. 53 u. 63

(١٩) المرجع السابق ص ٤٥

(٢٠) د. نعمان السامرائي، مرجع سبق، ص ٨٤ ـ ٨٧

(٢١) متولي موسى، حرب الخليج ـ مقدمات ونتائج، الدار الإسلامية للإعلام، بون ـ ألمانيا الاتحادية، سنة ١٩٩١م، ص ٤٩ ـ ٧٧.

(٢٢) موضوع الشرعية الدولية، وتصحيح المسار. . درس جديد، مجلة الرائد العدد ١٤٢، تصدرها الدار الإسلامية للإعلام، بون ـ ألمانيا.

(٢٣) وليام ب. كوانت، الشرق الأوسط. كامب ديفيد بعد ١٠ سنوات، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة سنة ١٩٨٩م، ص ١٧.

البحث الثالث

مبـدأ توفيـر الأرض[1]

سبق أن بينـا أن طائفـة الصهـاينة المتدينين انطلقوا من التوراة المحرفة وهـم يعتقدون أن فلسطين هي الأرض التي سيظهر فيها مسيح آخر الزمان؛ وفي القرن التـاسع عشر الميلادي أراد «محبو صهيون» أن ينشئوا مركز إشعاع روحي للدين اليهودي وللثقافة اليهودية في أرض «صهيون»، يقول جارودي: «ومما يسترعي النظر أن هذه «الصهيونية الدينية» ـ والتي لم تمتد إلا إلى جماعات محدودة ـ لم تلق قط معارضة من المسلمين الذين يعتبرون أنفسهم من ذرية إبراهيم ولا ينكرون دينه. ولم تثر هذه «الصهيونية الروحانية» البعيدة تماماً عن السياسة ـ والتي لم تهدف أبداً إلى إقامة دولة أو فرض سيطرة على فلسطين ـ، لم تثر قط أية مصادمات بين اليهود وبين السكان العرب مسلمين كانوا أم مسيحيين»[2]

ولكن «الحـركـة الصهيونية» ـ أعني بهـا عنـد ذكرها السياسية ـ استغلت هذا المعتقد الديني ورفعت شعار «العودة إلى أرض الميعاد» وطالبت بفلسطين كوطن قومي لليهود تمهيداً لقيام الدولة، وقد أشارت جولدا مائير إلى ذلك قائلة: «لست متدينة ولكني أعلم بأنه لولا الدين لأختفينا من الوجود»[3]

لم يكن اليهود على مدى قرون طويلة يملكون شيئاً من أرض فلسطين، وبعد أن وقع اختيار الحركة الصهيونية على أرض فلسطين لتكون مقراً للدوله الصهيونية، وطلبها المستمر لتهجير يهود الشتات إلى فلسطين، والتشجيع على شراء اليهود أجزاء من أرض فلسطين، وصل ما يمتلكه اليهود سنة ١٨٩٥م من أرض فلسطين نسبة ٥,٠٪ في الوقت الذي يمتلك فيه العرب الفلسطينيون ٩٩,٥٪ من أرض فلسطين[٤]

وعندما صدر قرار «الجمعية العامة للأمم المتحدة» في ١٩٤٧/١١/٢٩ بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، كانت الأرض التي يمتلكها اليهود تمثل ٥,٦٪ فقط، ولكن قرار التقسيم خصص لليهود ٥٦٪ من أخصب الأراضي، وفي الفترة ما بين صدور قرار التقسيم في ١٩٤٧/١١/٢٩م وحتى الانتهاء الفعلي للانتداب البريطاني في ١٩٤٨/٥/١٤م، تمكنت المنظمات الصهيونية من الاستيلاء على ماخصص لليهود بقرار التقسيم، وأضافوا إليها الأراضي التي اغتصبوها بالقوة، وقد صرح بيجن بذلك قائلاً: «لم يستطع العرب الدخول إلى أي مستعمرة «إسرائيلية» أو الاستيلاء عليها إلى تاريخ جلاء الانجليز من فلسطين، بينما استطاعت الهاجاناه الاستيلاء على عدة مواقع عربية بالقوة، فاستولت على طبرية، وحيفا، ويافا، وصفد»[٥] فأصبح ماتحت تصرف المنظمات الصهيونية من أرض فلسطين يمثل ٥٧٪، ثم أصبح الصهاينة يحتلون ٨٠٪ من فلسطين عند نهاية الحرب الصهيونية العربية الأولى سنة ١٩٤٨م. ثم أصبحوا بعد عام ١٩٦٧م يحتلون مساحة أكبر مما قرره قرار التقسيم لليهود ست مرات.

ولتحقيق مبدأ توفير الأرض لقيام الدولة اتبعت «الحركة الصهيونية» الخطوات التالية:

أولاً ـ تسلل اليهود وتغلغلهم في فلسطين

بعد أن وقع الاختيار على أرض فلسطين، وضعت «الحركة الصهيونية» مخطط الوصول إليها واتخذت السبل لذلك على النحو التالي:

١ ـ العمل على تسلل اليهود إلى أرض فلسطين:

في عام ١٨٤٤ تأسست في لندن «الجمعية البريطانية والخارجية لاعادة الشعب اليهودي إلى فلسطين»، وفي افتتاحها ألقى القس كرايبس "Crybace" كلمة ترجى فيها الحكومة البريطانية: «أن تتدخل لدى تركيا لتخصيص فلسطين من الفرات إلى النيل ومن المتوسط إلى الصحراء للشعب اليهودي»(٦)

وفي سنة ١٨٤٥ نشر جورج غاولر ـ أول حاكم بريطاني لاستراليا الجنوبية ـ كتاباً بعنوان: «تهدئة سوريا والشرق»، دعا فيه إلى تأسيس المستعمرات اليهودية في فلسطين بحماية بريطانية وموافقة عثمانية. واقترح أن يعطى اليهود حكماً ذاتياً تدريجياً، معتبراً أن فلسطين اليهودية هي الضمان الأساسي للنفوذ البريطاني في الشرق.(٧)

وعلى الزمن أصبحت خطط التوطين أكثر تفصيلاً وحرصاً على تقديم المسوّغات ووسائل وأساليب العمل، ففي سنة ١٨٦٥م قامت مجموعة من البريطانيين بتأسيس «صندوق استكشاف فلسطين»، وذلك لوضع مشروع التوطين في إطار علمي، ودراسة الأرض المباركة اقتصادياً وجغرافياً، وتم إرسال بعثات بحث واستكشاف متعددة إلى فلسطين وبالفعل قامت بتقديم دراسات متعددة.

يقول الأستاذ بشير موسى نافع: «وفي ظل نشاطات صندوق استكشاف فلسطين دعا إسحق أش "Isaac Ashe" في سنة ١٨٧١م إلى تأسيس شركة مثل شركة الهند الشرقية تعمل ضمن أربع مراحل لتحقيق الوجود اليهودي في فلسطين، تبدأ بشراء أراضي واستقدام اليهود إليها والعمل على تحسين تربتها وزراعتها، مما سيؤدي لبناء الشخصية القومية اليهودية، ويرافق ذلك تقوية إمكانات الدفاع العسكري عن هذه الأرض ضد الآخرين حتى تأتي لحظة استقلالها»(٨)

ثم شهدت فلسطين ومدينة القدس في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر تسلل طوفان من الأوربيين، من كافة الأجناس والمذاهب...، ووجدت حركة تأسيس الجمعيات الخيرية والتنقيب عن الآثار. وتحرك دعاة مشروع التوطين بين

العواصم الأوروبية ومراكز الثقافة اليهودية وفلسطين لتشجيع الهجرة اليهودية، وبناء المستوطنات الزراعية.

وجاءت مذابح اليهود الروس في عيد فصح عام ١٨٨١م لتدفع بعض العائلات اليهودية إلى الساحل الفلسطيني، وفي سنة ١٨٨٢م أسست عشرون عائلة يهودية روسية مستعمرة ريشون لصهيون " Rishon - Zion " أو «الأولى في صهيون» قرب مدينة يافا[٩]

استشعر السلطان «عبد الحميد» منذ البداية مخاطر ازدياد التوجه اليهودي نحو فلسطين ونمو الأنشطة الغربية المتعددة فيها. فأصدر آمراً في سنة ١٨٨٥م بمنع إقامة أية مستعمرات يهودية جديدة، وفي عام ١٨٨٧م أعلن الباب العالي ترتيباً إدارياً جديداً لبلاد الشام فصل منه سنجق القدس «الذي يشمل معظم فلسطين الحالية» عن ولايات بلاد الشام وربطه مباشرة بالأستانة. ورغم استخدام الرشوات وكافة أنواع الحيل، في حقبة لم تكن مسألة الهجرات بين الدول فيها بالصعوبة التي هي عليه الآن، لم تستطع الفعاليات اليهودية حتى نهاية حقبة الثمانينات من تأسيس أكثر من ٢٢ مستعمرة بلغ عدد سكانها خمسة آلاف نسمة فقط، وكانت جمعية شوفيف صهيون " Choveve Zion Society " تقوم بالدور الرئيسي في جلب اليهود إلى فلسطين[١٠]

٢ - العمل على التغلغل في الأرض المباركة وصدور وعد بلفور، وتبدأ بوادر هذه المرحلة بالحقبة التي سبقت الحرب العالمية الأولى، حيث كانت الحركة الصهيونية تعرض على بريطانيا الموافقة على تحويل فلسطين إلى مستعمرة انجليزية بشرط إقامة وطن قومي لليهود فيها، وعلى هذا الأساس سار التحرك الصهيوني في مخططه لاغتصاب أرض فلسطين بالتغلغل فيها مستفيداً من الاستعمار البريطاني..

وأثناء الحرب العالمية الأولى التي بدأت سنة ١٩١٤م، وعندما تبين أن انتصار الحلفاء أصبح وشيكاً، أعلنت الحركة الصهيونية تأييدها العلني للحلفاء تحت

شعار «إقامة مستعمرة انجليزية في فلسطين» تمهد بذلك الأوضاع . . لانشاء الوطن القومي لليهود. . وقد نشط أقطاب المنظمة الصهيونية وعلى رأسهم «حاييم وايزمان» والملبونير اليهودي «روتشلد» للاتصال بمن بيدهم الأمر في بريطانيا وأمريكا، واستطاع وايزمان أن يوطد علاقاته بكثير من الشخصيات السياسية البريطانية ويكسبها إلى جانب الحركة الصهيونية، ومن أبرز هؤلاء «هربرت صمويل» ـ الوزير البريطاني اليهودي وأول مندوب سامي لبريطانيا على فلسطين بعد الانتداب ـ و«لويد جورج» اللذين أصبح كل منهما رئيساً لوزراء بريطانيا بعد ذلك، واتصل أيضاً بعدد كبير من رؤساء تحرير الصحف البريطانية وغيرهم من رجال المال والسياسة في بريطانيا. .

ومهد هذا المجهود إلى صدور وعد بلفور في ٢/ ١١/ ١٩١٧م والذي ينص على: «أن حكومة جلالة الملكة تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وسوف تبذل أقصى جهدها لتسهيل بلوغ هذه الغاية على أن يفهم جلياً أنه لا يضير الحق المدني والديني للطوائف غير اليهودية في فلسطين، ولا يؤثر على الحقوق والمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلاد الأخرى. .»

ويلاحظ في ختام هذه الفقرة ما يلي:

أ ـ إن العالم المتحضر في القرن العشرين حريص على جمع الشتات اليهودي ـ بالرغم من أنهم مواطنون في بلادهم التي يعيشون فيها ـ ويهجرهم إلى فلسطين، ليخرجوا أهل البلاد ويطردوهم من أرضهم، نعم إن النص الانجلزي لا يمس صراحة مصالح السكان الأصليين لفلسطين، ولكن زعماء الصهيونية أشاعوا بأن «إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين» معناه «إنشاء دولة يهودية بفلسطين بالتخلص من أهل البلد لصالح سيادة الدولة اليهودية على فلسطين بأكملها».

ب ـ هكذا وتغتصب قطعة من أرض العرب والمسلمين وتعطى بغير حق لليهود، الذين هم حركة عنصرية عدوانية أرادها المستعمر شوكة في قلب العالم

الإسلامي، وسوطاً مسلطاً على ظهورهم، أو سيفاً موضوعاً على رقابهم، وشهد شاهد منهم فقال: «هكذا كان وعد بلفور إعلاناً رسمياً بموافقة بريطانيا على السير مع الحركة الصهيونية العالمية، من أجل استعمار فلسطين وكان لبريطانيا بهذا فضل السبق في اكتشاف الحل الصهيوني الذي كان يرمي إلى منع استمرار اتصال المسلمين ببعضهم وقيام دولتهم الموحدة الممتدة على الأراضي العربية، وغرس هذا الكيان الصهيوني الغريب في قلب المنطقة»..

جـ ـ خلال القرن التاسع عشر لم يتجاوز عدد اليهود في فلسطين ٣٪، وعندما صدر وعد بلفور في ٢/ ١١/ ١٩١٧ كانت نسبتهم ٧,٢٪ بمقابل ٩٢,٨٪ من العرب، أما فيما يتعلق بالأرض فعندما صدر وعد بلفور كانت نسبة ما يملكه اليهود من أرض فلسطين هي ٢,٥٪ في مقابل ٩٧,٥٪ للعرب الفلسطينيين.

ثانياً: مرحلة الصراع وإعلان قيام «الكيان الصهيوني»: وتشمل هذه المرحلة الفترة من بعد صدور وعد بلفور وحتى قبل اعلان قيام «دولة الكيان الصهيوني»[١١] . ويمكن اجمال أهم الأحداث فيما يلي:

١ـ فترة الانتداب البريطاني وما قامت به بريطانيا:

دخلت القوات البريطانية أرض فلسطين سنة ١٩١٧م، وكانت قد وعدت العرب إذا ساعدوها في الحرب، بمساعدتهم على التخلص من الأتراك واعطائهم الاستقلال في نهاية الحرب، ولكن اتفاق سايكس ـ بيكو قسم منطقة «الشرق الأوسط العربية» ـ والتي كانت جزءاً من الدولة العثمانية ـ إلى مناطق احتلال باشراف «عصبة الأمم المتحدة» وانتدابها. وكان نصيب فلسطين وشرق الأردن والعراق الخضوع للانتداب البريطاني، بينما انتدبت فرنسا على كل من سوريا ولبنان.

واستمراراً لمظاهر الدعم والتأييد البريطاني لمخططات «الحركة الصهيونيةالسياسية»، بذلت الأخيرة جهوداً كبيرة لتأييد انتداب بريطانيا على فلسطين في مؤتمر الصلح في باريس سنة ١٩١٩م وصادقت «عصبة الأمم» سنة

١٩٢٢م على اتفاق سايكس ـ بيكو، وتم انتداب بريطانيا على فلسطين، ولكن سياستها اتسمت بالتقلب حسب مصلحتها بين الجانبين العربي والصهيوني، مما نتج عنه تناقض المواقف البريطانية تجاه الجانبين على النحو التالي:

ـ سنة ١٩٢٢م: سمحت بريطانيا بحرية الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

ـ سنة ١٩٢٩م: اللجنة الملكية البريطانية التي تحرت العمليات العسكرية العربية ضد اليهود، توصي بالتخفيف من تدفق اليهود إلى فلسطين.

ـ سنة ١٩٣٠م: بريطانيا تعلن رفع التزامها بالحركة الصهيونية.

ـ سنة ١٩٣٧م: لجنة بيل تتقصى أسباب القتال بين العرب واليهود، وتعلن أنها تواجه «صراعاً لا وفاق فيه»، وللمرة الأولى تطرح فكرة تقسيم فلسطين إلى جزء عربي وجزء يهودي.

ـ سنة ١٩٣٩م: بريطانيا تعلن وجوب إقامة دولة فلسطينية في غضون عشر سنوات والحد من الهجرة اليهودية.

ـ سنة ١٩٤٦م: المتطرفون اليهود ينسفون مقر القيادة البريطانية في فندق الملك داوود في القدس، رداً على الحد من الهجرة اليهودية.

ـ سنة ١٩٤٧م: بريطانيا تعلن عجزها عن حل المشكلة بين العرب واليهود وتحيل القضية إلى «الأمم المتحدة»، التي تقر التقسيم، الذي رفضه العرب وقبله اليهود.

ـ سنة ١٩٤٨م: تمتنع بريطانيا عن تنفيذ قرار التقسيم وتعلن وحدها انسحابها من فلسطين.

٢ ـ أهم أعمال العصابات والمنظمات الصهيونية خلال هذه الفترة:

اتسمت الأعمال بالعنف والمحاولات المستمرة للتمكين واعلان قيام «دولة الكيان الصهيوني» بالاضافة إلى الأعمال السياسية والاقتصادية، ويمكن تمييز أهم الأعمال كما يلي:

ـ سنة ١٩١٩م: قدمت المنظمة الصهيونية العالمية اقتراحاً إلى مؤتمر باريس

للسلام، من أجل وطن يهودي.

ـ سنة ١٩٢٠م: حولت «عصبة الأمم» الاحتلال البريطاني لفلسطين إلى انتداب رسمي، وقامت حكومة عسكرية حتى سنة ١٩٢٢م، حيث انتقلت السلطة إلى الخارجية البريطانية.

ـ خلال فترة الانتداب نفذت الحركة الصهيونية الجزء الرئيسي من مخططها في التمكين لليهود في فلسطين، وذلك تحت سمع وبصر بريطانيا وبمساعدتها، وقد كان هذا المخطط يمتد على مجالات أساسية:

أ ـ المجال السياسي عملت بريطانيا على تدعيم وعدها للحركة الصهيونية، بأن ضمنته صك انتدابها على فلسطين، وقد جاء فيه: «إن الانتداب يعترف بوكالة يهودية كهيئة عمومية لإسداء المشورة إلى إدارة فلسطين، والتعاون معها في الشئون الاقتصادية والاجتماعية، وغير ذلك من الشئون التي قد تؤثر في الوطن القومي اليهودي لصالح السكان اليهود في فلسطين».

وقد ظل تحالف اليهود مع الانجليز تحالفاً مثالياً مخططاً، حتى تم تنفيذ المرحلة الأساسية من برنامج الصهيونية، وبعد أن أصبح لليهود مدن وقرى ومستعمرات، وقوات مسلحة شبه نظامية، وبعد أن أصبحت لهم إدارات سياسية خاصة بهم، لإدارة شئونهم الداخلية ومجالس المدن، ولهم لغتهم العبرية التي فرضها الانجليز لغة رسمية.. وباختصار حين أصبح لليهود كيان خاص بهم داخل فلسطين التي ما زالت تحت الانتداب البريطاني.. تخلت بريطانيا.

ب ـ المجال العسكري: تكونت كتيبة يهودية في خدمة الحلفاء في الحرب العالمية الأولى، كانت هي النواة لتكوين الهاجاناه؛ وفي الفترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، أنشئت الهاجاناه، وظهرت المنظمة العسكرية القومية «أرجون» بقيادة مناحم بيجين، ثم في سنة ١٩٤٠م انشقت عن الأرجون منظمة المحاربين من أجل حرية «إسرائيل» بقيادة شامير، والتي عرفت باسم «جماعة شتيرن».

وفي شهر ١٠/١٩٤٧م أمكن لـ «بن جوريون» وضع قوات الهاجاناه البالماخ تحت قيادة مركزية، انضمت تحت لوائها قوات الأرجون في شهر ٦/١٩٤٨م، وهكذا نشأ وتربى قادة العصابات الصهيونية العسكرية في أحضان بريطانيا.

والملاحظ أن النشاط الصهيوني خلال هذه الفترة فضلاً عن أنه كان مخططاً فقد تم بالتنسيق والتعاون مع المستعمر البريطاني . . . !!

٣ ـ جهاد الشعب الفلسطيني: قاد جهاد الشعب الفلسطيني أثناء فترة الانتداب البريطاني الحاج أمين الحسيني ـ مفتي القدس ـ حيث التفت حوله المعارضة المسلحة، وفي عام ١٩٢٨ رفض فكرة الحكومه البريطانية تشكيل حكومة تمثيلية في فلسطين، لعدم إيمانه بمشروعية المشاركة اليهودية فيها. . ويمكن أن نميز مرحلتين هامتين خلال تلك الفترة:

أ ـ مرحلة الانتفاضات والمؤتمرات: والتي امتدت من سنة ١٩١٩م وحتى سنة ١٩٢٩م، وقد بدأت بعد المؤتمر الأول للجمعيات الإسلامية والمسيحية، الذي أصدر ميثاقاً جاء فيه:

ـ رفض وعد بلفور والهجرة الصهيونية والانتداب البريطاني.

ـ اعتبار فلسطين جزءاً من سوريا وتسميتها سوريا الجنوبية، والمطالبة بوحدة سوريا الكبرى.

ـ استقلال فلسطين التام ضمن الوحدة العربية.

وتعاقبت بعد ذلك المؤتمرات والانفجارات الشعبية طوال عشر سنوات، في يافا والقدس والخليل، دون أن تكون قيادة الحركة الوطنية قادرة على استيعاب الانفجارات الشعبية وتوجيهها في مواجهة الخطر الصهيوني ـ الاستعماري المتنامي على الزمن. .

ب ـ مرحلة الاضراب الكبير والثورة المسلحة: وامتدت هذه الفترة ما بين سنة ١٩٣٠م وسنة ١٩٣٩م، في شهر ٩ سنة ١٩٣٠ انعقد مؤتمر عربي أعلن استنكاره لتسليح العصابات الصهيونية. . وفي سنة ١٩٣١م عقد مؤتمر اسلامي بالقدس،

أجمع على تأكيد عروبة فلسطين، واستنكر سياسة الانجليز في فلسطين. وفي سنة **١٩٣٦** تفجرت ثورة فلسطينية شعبية مسلحة بقيادة الشيخ عز الدين القسام.. وهو أول من نادى بحمل السلاح في مواجهة الخطر الصهيوني المتنامي، حتى استشهد ـ رحمه الله تعالى ـ.

واستمرت الثورة مشتعلة ثلاث سنوات، بدأت في ١٧/٤/١٩٣٦ باضراب عام استمر ستة شهور.. وفي يوم **٢٥** من نفس الشهر تكونت الهيئة العربية العليا بقيادة الحركة الوطنية الفلسطينية والتي امتازت:

ـ بأنها حركة موجهة ضد الانتداب البريطاني.

ـ وشمولها فئات الأمة، واشتراك العرب غير الفلسطينيين فيها اشتراكاً فعلياً، حيث جاء المتطوعون من سوريا والأردن..

وعموماً يمكن القول بأن الشعب الفلسطيني قاوم المغتصب، وصمد أمام الصهيونية العالمية والاستعمار أكثر من ثلاثين سنة، لم يخنع ولم يستسلم لما أرادته بريطانيا والحركة الصهيونية ـ بالرغم من شدة العنف والارهاب ـ، كانت هذه المقاومة وهذا الصمود رغم قلة الامكانات، فقدم الفلسطينيون ألوف الشهداء وعشرات ألوف الجرحى، وأوشكوا أن يسيطروا على فلسطين كلها في ثورتهم الشعبية المجيدة ـ رغم تدمير البيوت ونهب الأموال واغتصاب الأرض، وتهديم القرى والأحياء، والمذابح الرهيبة ـ لولا عزل الشعب الفلسطيني!! ولولا الامتثال لنداء ملوك العرب في السعودية والعراق والأردن واليمن، الذي طالبوا فيه الشعب العربي الفلسطيني بالاخلاد للسكينة، حقناً للدماء. **ووعد هؤلاء المسؤولون الشعب الفلسطيني بالسعي في سبيل مساعدته، معتمدين على حسن نوايا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل!!! ولكن هيهات.. هيهات..!!!**

ثالثاً: مرحلة الغزو والتوسع:

وتبدأ هذه المرحلة بإعلان بريطانيا انتهاء انتدابها على فلسطين، حيث سارع «دافيد بن جوريون» بإعلان قيام «الكيان الصهيوني» باسم «دولة إسرائيل» في

١٥/٥/١٩٤٧م، وسارعت الدول المختلفة إلى الاعتراف بقيام دولة «إسرائيل» وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية. . ، وبهذا الإعلان بدأ الصراع بين «الكيان الصهيوني» وبين البلاد العربية، وكانت المؤسسة العسكرية الصهيونية قد تبلورت وتدعم نفوذها بين اليهود في فلسطين، وأصبح أفرادها قادرين على اتخاذ قرارات نافذة في مجالات متعددة سواء كانوا في مناصب رسمية أو لم يكونوا. . وكانت لهم نشاطات بارزة في مجالات الحياة:

ـ في مجال التعليم: وجدت مدارس خاصة بالجيش، ومدارس لتعليم اللغة العبرية للمهجرين الجدد.

ـ يتولى الجيش في **مجال الزراعة** توزيع الشباب أعضاء تنظيم «الناحال» على المستعمرات الزراعية على الحدود، على أن يتم اختيار مواقعها والإشراف عليها بواسطة السلطات العسكرية.

ـ وتتولى منظمة الشباب العسكرية «الجدناع» الإشراف على تجنيد الشباب ابتداء من سن ١٢ سنة لتنمية اهتماماتهم بالنواحي العسكرية وتدريبهم عقائدياً وجسمياً.

ـ وتتولى السلطات العسكرية تنفيذ قانون حرية النشر والرقابة على الصحف.

وفي مجال الصراع المسلح يمكن الإشارة إلى عدد من الحروب العسكرية باختصار على النحو التالي:

١ ـ حرب سنة ١٩٤٨م

سارعت البلاد العربية ـ بدوافع مختلفة ـ وأرسلت جيوشها إلى فلسطين المحتلة، فوصلت قوات عسكرية من خمسة بلاد عربية للقضاء على «الكيان الصهيوني»، ودخلت هذه الجيوش الحرب وهي متفرقة وليس بينها ترابط أو تنسيق، وكان ذلك في مايو/أيار سنة ١٩٤٨م. فقام جيش العدو الصهيوني بصد الجيوش العربية في حملتين فصلت بينهما الهدنة الأولى في يونيو/حزيران سنة ١٩٤٨م، حيث قامت «الامبريالية» الغربية خلالها بتزويد القوات الصهيونية بالأسلحة

المتطورة فضلاً عن الدعم السياسي والاقتصادي، ووقع الحسم في الحملة الثانية لصالح جيش «الكيان الصهيوني»، وقبل العرب وقف إطلاق النار.. وفي هذه الحرب احتل الصهاينة أرضاً أكبر مما أعطاهم قرار التقسيم، وقسمت القدس بين الأردن و«الكيان الصهيوني»، وفرض الحكم الأردني على الضفة الغربية والمصري على قطاع غزة..

وبذلك تحقق الهدف الأولي للحركة الصهيونية وهو: إعلان قيام «دولة الكيان الصهيوني» في فلسطين بصورة معترف بها دولياً، وضمنت حدودها المرحلية مع قبول العرب المبدئي لهذه الخطوط من خلال الموافقة على الهدنة!!

٢ ـ حرب سنة ١٩٥٦م

دخلت حكومة «الكيان الصهيوني» في اتفاق مع كل من انجلترا وفرنسا للإغارة على مصر في منطقة قناة السويس، والتي عرفت فيما بعد بحرب السويس، وليس المقصود هنا الحديث عن وقائع الحرب ودوافعها التفصيلية، ولا كيف بدأت وكيف انتهت؟ وإنما المقصود هنا هو إبراز دوافع الكيان الصهيوني من هذه الحرب، حيث لم يكن المقصود هو مساعدة بلاد عظمى مثل بريطانيا وفرنسا في حربها لمصر، وإنما كان هدف «الكيان الصهيوني» في الدرجة الأولى هو التوسع وتحقيق مكاسب تتمثل في الوجود على خليج العقبة، والسماح له بالمرور فيه وفي الممرات المائية الأخرى وهذا يحقق له مزايا اقتصادية وسوقية هامة، وبالفعل تحقق لحكومة «الكيان الصهيوني» ما أرادت، فهي الرابح الوحيد من هذه الحرب، ويمكن مراجعة الوثائق التي نشرت عن هذه الحرب في كتاب ملفات السويس لمحمد حسنين هيكل[١٢]

٣ ـ حرب سنة ١٩٦٧م

وهي حرب توسعية مبيتة، اتخذت لها الأسباب والوسائل وتم التخطيط لها والتدريب على مخططاتها قبل وقوعها بزمن طويل، وإن كان ظاهرها أنها اندلعت رداً على إغلاق «مضايق تيران» في وجه ملاحة «الكيان الصهيوني»؛ وقد أسفرت الحرب عن احتلال مرتفعات الجولان والضفة الغربية وقطاع غزة وشبه جزيرة سيناء،

ولم يقصد بهذه الحرب التوسع الجغرافي فقط، وإنما قصد من ورائها أيضاً: تحطيم القوة العسكرية للبلاد العربية المحيطة بالعدو، وتحطيم إرادة الشعوب إذا فكرت في نتائج الحرب التي تحققت بذيوع أكذوبة «العدو الصهيوني الذي لا يقهر»، وهذا يحقق للعدو السيطرة على العباد والبلاد!!!

٤ ـ حرب سنة ١٩٧٣م

دخلت كل من مصر وسوريا حرب سنة **١٩٧٣م**، وتوفر لهذه الحرب ـ ولأول مرة في الصراع العربي الصهيوني ـ عنصر مفاجأة العدو، وتقدمت الجيوش العربية في الأيام الأولى لتحقق تقدماً على الجبهة الصهيونية، وتكبد العدو خسائر جسيمة مما أثر في نفوس اليهود، وأدركت الولايات المتحدة الأمريكية ـ الصديقة لعدد من البلاد العربية والإسلامية ـ أبعاد نتائج هذه الحرب إن استمرت دون مساعدة «الكيان الصهيوني»، فإذا بالرئيس الأمريكي «ريتشارد نيكسون» كما يقول هو في كتابه «نصر بلا حرب» (لقد أمرت في حرب **١٩٧٣** ببناء جسر جوي ضخم للمعدات والمواد التي مكنت «إسرائيل» من وقف تقدم سوريا ومصر على جبهتين. وكتبت جولدا مائير رئيسة «وزراء إسرائيل» في مذكراتها خلال حرب يوم كيبور تقول: «لقد كان الجسر أمراً له قيمة لا تقدر. فهو لم يرفع معنوياتنا فحسب، بل أفاد أيضاً في جعل موقف أمريكا واضحاً بالنسبة للاتحاد السوفييتي، وساعد بلا شك في جعل انتصارنا أمراً ممكناً». إن التزامنا ببقاء «إسرائيل» التزام عميق. فنحن لسنا حلفاء رسميين، وإنما يربطنا معاً شيء أقوى من أي قصاصة ورق: إنه التزام معنوي. إنه التزام لم يخل به أي رئيس في الماضي أبداً وسيفي به كل رئيس في المستقبل بإخلاص. إن أمريكا لن تسمح أبداً «**لأعداء إسرائيل**» الذين أقسموا على النيل منها بتحقيق هدفهم في تدميرها)[١٣]

وقادت هذه الحرب إلى مفاوضات مباشرة بين مصر وبين «الكيان الصهيوني» انتهت بتوقيع ما سمي «معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل».

٥ ـ حرب لبنان سنة ١٩٨٢م

قامت حكومة «الكيان الصهيوني» بحرب لبنان سنة ١٩٨٢م مستفيدة من الأوضاع العربية الفاسدة، ومما ساد في المنطقة ـ وما يزال حتى الآن ـ من تناقضات في المصالح، ولقد عبر عن ذلك محمد حسنين هيكل في كتابه «الانفجار ـ حرب سنة ١٩٦٧م» ـ فقال: (والنتيجة أن «الأحلاف مع الشيطان» في المنطقة زادت وزادت أثقالها. وعلى سبيل المثال فإن حلفاً مع الشيطان «الإسرائيلي» أضاع بالكامل وطناً من أحلى أوطان الأمة العربية ـ وهو لبنان ـ وذلك حين اختارت قوى فيه وأحزاب أن تتعاون مع «إسرائيل» هرباً من الإقرار بحقائق تاريخية واجتماعية واقتصادية لم يعد ممكناً ـ ولا مفيداً ـ تجاهلها! ولا أتجاوز إذا قلت إنني رأيت شواهد ذلك مبكراً في لبنان سنة ١٩٧٥. وأصابني هم شديد لم أستطع كتمانه، ووقفت أمام شاشة التليفزيون اللبناني في مساء يوم من أيام فبراير تلك السنة أقول حزيناً: «إن لبنان ينزلق إلى الحرب الأهلية»!

وعلى أي حال فلم يكن ذلك أول حلف في المنطقة ـ ولا كان هو آخر حلف ـ مع «الشيطان»)[١٤]

٦ ـ حرب الخليج سنة ١٩٩١م

تبين مما انكشف حتى الآن عن خلفيات حرب الخليج ودوافعها: أن المصالح الصهيونية ـ والمصالح «الامبريالية» كانت متوافقة وهي التي تقف وراء هذه الحرب، وقد أشرت في كتابي «حرب الخليج ـ مقدمات ونتائج» إلى بعض هذه الدوافع، ومن المفيد هنا أيضاً التذكير ببعض ما أشار إليه كتاب «حرب الخليج ـ أوهام القوة والنصر ـ» لمحمد حسنين هيكل حيث جاء في الفصل العاشر منه مايلي: «كانت «إسرائيل» طرفاً أساسياً في أزمة الخليج منذ اليوم الأول، وربما من قبله. ولكنها كانت طرفاً طلب إليه أن يشارك في الأزمة من وراء الستار في صمت، لأن ظهوره على المسرح كان من شأنه أن يحرج الأطراف العربية في التحالف، وأن يزيد من قلق الشعوب العربية التي كانت مشاعرها متيقظة على الآخر أثناء أزمة

الخليج. وكانت «إسرائيل» تلح دائماً على أن يظهر دورها كشريك كامل وظاهر في التحالف. ومن المفارقات أن ذلك كان قصد العراق أيضاً.

وكان بين مقاصد «إسرائيل» أن تدخل عضواً كاملاً وظاهراً في التحالف، مما يعطيها شرعية في التعاون والتعامل مع دول المنطقة خلال أزمة من نوع معقد، تنفذ منها، فإذا هي شريك شرعي ومعترف به في مصائر المنطقة»[١٥]

ولا شك أنه كان من نتائج حرب الخليج لسنة ١٩٩١م مفاوضات ما سمي «مؤتمر السلام الإقليمي» بين العرب وبين «الكيان الصهيوني» التي ما زلت مستمرة ولم تنته بعد.

ملاحظـــات

مما سبق يمكن استخلاص الملاحظات التالية:

١ ـ انتظمت الحروب السابقة في خطة زمنية تهدف إلى الاستفادة من العمل المرحلي الدائب المنظم، مع توفير الأسباب والوسائل التي تحقق الاستخدام الأفضل لما أنجز من قبل، وتهيئة الظروف بصورة أفضل للتحرك في سبيل تحقيق المرحلة التالية؛ مع الاستفادة من التجارب السابقة، فعلى سبيل المثال أعدت حكومة «الكيان الصهيوني» خطتها للقيام بحرب سنة ١٩٦٧م، واتفقت مع الولايات المتحدة الأمريكية واستأذنتها قبل بدء الحرب، وذلك حتى تمنع المعارضة التي حصلت أثناء العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦م وحتى لا يكون القرار الدولي الصادر عن «مجلس الأمن» متضمناً وجوب الانسحاب إلى المواقع التي كانت قبل الحرب وانطلقت منها القوات الغازية، ولذلك عندما تقدم «الاتحاد السوفييتي ـ آنذاك» والمجموعة العربية بمشروع قرار يتضمن وقف إطلاق النار والانسحاب إلى الحدود التي كانت قبل ٥ يونيو/حزيران سنة ١٩٦٧م، عارضت الولايات المتحدة الأمريكية، وحالت دون صدور قرار يقضي بذلك، ثم تتالت القرارات التي صدرت في هذا النزاع والتي تطالب بوقف إطلاق النار فقط.

بينما في سنة ١٩٥٧م عندما صدر قرار «مجلس الأمن» فإنه طالب بانسحاب

فرنسا وبريطانيا و«إسرائيل» من الأراضي التي احتلت في حرب سنة ١٩٥٦م، فانصاع الجميع للانسحاب حتى من صحراء سيناء، وإن كانت حكومة «الكيان الصهيوني» قد حاولت البقاء في قطاع غزة «وقد كان مرتبطاً إدارياً بمصر» بحجة أنها أراضٍ «إسرائيلية محررة»، ولكن «ايزنهاور» رئيس الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك أصدر أوامره بوجوب الانسحاب حتى لا تتعرض «إسرائيل» لتطبيق بنود الباب السابع من ميثاق «الأمم المتحدة»، فانسحبت «إسرائيل» مرغمة، وكان «بن جوريون» يبكي وهو يعطي أوامره للجيش بالانسحاب؛ الأمر الذي لم يتكرر في الحروب التي وقعت بالاتفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك!!!

٢ ـ هناك علاقة قوية بين المصالح الصهيونية والمصالح «الامبريالية» وقد ظهر ذلك بوضوح منذ صدور وعد بلفور في ١٩١٧/١١/٢م وحتى حرب الخليج سنة ١٩٩١م، ويلفت النظر ما بدأ ينكشف في صورة تصدير أسلحة سرية من ألمانيا إلى «إسرائيل» ـ رغم عمليات التصدير المعلنة بل والمعاونة في تصنيع السلاح المتطور في «إسرائيل» نفسها والتخزين المباشر للسلاح المتطور فيها ـ، ومن أواخر ما نشر كتاب بعنوان «علاقة خطرة» تأليف «اندرو وليزلي كوكبيرن»، والذي صدر في واشنطن، وقد كشف أسرار وخفايا العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية و«الكيان الصهيوني»، وأظهر أن «جيمس انجلتون» مسؤول المخابرات الأمريكية قد أمضى عاماً كاملاً يجهز مع القيادة العسكرية الصهيونية لحرب سنة ١٩٦٧م.

٣ ـ «إسرائيل» كيان عنصري قائم على التوسع واغتصاب حقوق الآخرين ويكفي هنا أن نذكر بقول «بن جوريون»: «إن علينا أن نناضل بحماس بأسلوب الغزو وبالطرق الدبلوماسية من أجل خلق امبراطورية «إسرائيلية» تمتد من النيل إلى الفرات..»، وقول «موشي ديان» في خطاب له سنة ١٩٥٢م: «إن الشعب يجب أن يستعد للحرب، وإن كانت مسؤولية الجيش «الاسرائيلي» أن يقاتل من أجل تحقيق الهدف الرئيسي لسياستنا في إقامة امبراطورية إسرائيل»، أما التنفيذ الفعلي فقد أكد ذلك الواقع العملي كما رأينا..

٤ ـ ما حققه جيش «الكيان الصهيوني» لا يرجع إلى قوته ودُرْبَته فقط، وإنما يرجع إلى الواقع السيء والأوضاع الفاسدة في البلاد العربية والإسلامية بالدرجة الأولى، فقد أهملت في اتباع أوامر الله عز وجل، بل صنعت عكس ما طلب منها، وأصبحت بعجزها وإهمالها في موضع الضعف والاستسلام أمام ضربات وهجمات العدو، وسيستمر هذا الحال حتى ترجع إلى دينها وتنفذ تعاليم ربها القائل سبحانه: ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ (الرعد: ١١).

٥ ـ ترجع أسباب القوة عند «الكيان الصهيوني» إلى:

ـ التكامل في التخطيط بين مختلف أوجه النشاط، واستغلال أسباب القوة إلى أقصى حد ممكن، وتلافي أسباب الضعف بقدر الإمكان، والعمل على استكمال النقص وتعويض المفقود.

ـ ارتفاع مستوى وعي الجندي الصهيوني وخاصة فيما يتصل بأهداف ومخططات الحركة الصهيونية، وتربيته بأساليب علمية متقدمة من سن مبكرة.

ـ سيطرة المؤسسة العسكرية ـ بسلطات مركزية ـ على أهم جوانب الحياة، وتوظيف كافة الأنشطة بالتخطيط الدقيق لخدمة أهداف ومخططات الحركة الصهيونية.

ـ التركيز على القوات المسلحة تسليحاً وتدريباً، والاهتمام بنوعية المقاتل الفرد وباستيعابه المناسب لظروف المعركة، وللسلاح الذي بين يديه، والوصول إلى درجات عالية من الكفاءة في مواءمة «الاستراتيجية العسكرية» بالظروف الواقعية التي تصوغها القيادة.

ـ التكامل بين مصالح الحركة الصهيونية و«الامبريالية العالمية»، وقدرة الحركة الصهيونية على استثمار ذلك إلى حد كبير في طريق تحقيق مخططاتها في منطقة «الشرق الأوسط».

٦ ـ خرجت البلاد العربية التي اشتركت في حرب الخليج أو اتخذت موقفاً منها وقد تغيرت أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والعسكرية، وربما

الثقافية، تغيراً كبيراً، ليس في صالح أبنائها، ولا في صالح مستقبلها، فلم يعد خافياً، أن من أهم أسباب هذه الحرب: الحفاظ على لمصالح الغربية والأمريكية، وتحقيق أمن إسرائيل، وتوفير فرص أكبر لتثبيت وجودها وسيطرتها واستقرارها، والمحافظة على الكيانات العربية الموجودة في المنطقة والتي تربطها بأمريكا صلات قوية تمكن من رعاية أفضل للمصالح الغربية والأمريكية. ولقد ساهمت حرب الخليج فيما يلي:

أ ـ تعميق الانقسام بين البلاد العربية والإسلامية، وتعميق الانقسام بصفة خاصة بين الشعوب العربية والإسلامية، وقد ساعد على ذلك ما ظهر منذ سنوات في صورة صراعات إقليمية محلية وعرقية في عدد من البلاد العربية والإسلامية، وتزايد أعداد أصحاب المصالح المادية وأصحاب الاتجاهات النفعية، مما جعل الصراع بين بعض البلاد العربية والإسلامية أقوى من صراعها مع «إسرائيل» في الأرض المحتلة.

ب ـ موت التعاطف بين البلاد العربية والإسلامية فما اتخذ من إجراءات مع العراق بعد وقف إطلاق النار، وما صدر في حقه من قرارات باسم «الشرعية الدولية»، من شأنه إلغاء كل صورة من صور سيادة العراق على أرضه وثرواته، ودَوْس كل ضرب من ضروب الكرامة، وهو مع مخالفته لما يسمى «الشرعية الدولية» لم يسبق له مثيل في التاريخ الماضي، ولا يتوقع حدوث مثله في المستقبل، ومع ذلك لم تنبس البلاد العربية والإسلامية ببنت شفة، فلم تعد هناك إرادة عربية أو إسلامية، وإنما هناك تبعية للولايات المتحدة الأمريكية وارتباط مصيري بين بعض الأنظمة والادارة الأمريكية، أما الشعوب العربية والإسلامية فإنها في حالة تضليل أو غفلة ولا أحد يعرف متى تفيق؟

٧ ـ التطور في علاقات القوة بين «إسرائيل» والبلاد العربية والإسلامية فيما يسمى «الشرق الأوسط» فقد كان الحرص في الماضي على أن تملك «إسرائيل» من السلاح ما يوازن كل ما تملكه البلاد العربية مجتمعة، وقد خرجت إسرائيل من

حرب الخليج الأخيرة بوصفها أكبر قوة عسكرية في المنطقة، فإذا أضفنا إلى ذلك تحالفها الاستراتيجي مع أمريكا والمساعدات التي قدمتها الدول الغربية لها فإننا ندرك الوضع الجديد الخطير الذي حدث في المنطقة، والذي بدأت تظهر ويلاته الآن في جولات مباحثات ما عُرف بـ «المؤتمر الاقليمي للسلام»، علماً بأن البلاد العربية ستضعف إمكاناتها على الزمن.

٨ ـ **برامج التسلح المستقبلية**، هناك مخططات تهدف إلى أن يكون العالم العربي مجرداً من السلاح المتطور، بل وأن يكون مجرداً من «التكنولوجيا» التي تسمح لعدد من البلاد في الوصول إلى صناعة سلاح متطور، وقد تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية بمشروع يقضي بتقييد السلاح الذي يصدر للمنطقة ـ كميته ونوعه ـ، وقد وافقت على هذا المشروع الدول الخمس الدائمة العضوية في «مجلس الأمن الدولي»، ويقضي هذا المشروع بفرض حظر على البلاد العربية لاستيراد أنواع معينة من الأسلحة مثل أسلحة الدمار الشامل، والصواريخ متوسطة وبعيدة المدى.. الخ في مقابل السماح «لإسرائيل» باستيراد ما تشاء من الأسلحة المتطورة و «تكنولوجيا» صناعة وتطوير الأسلحة، فإذا أضفنا إلى ذلك أن «إسرائيل» تملك حالياً كميات كبيرة من أسلحة الدمار الشامل والأسلحة النووية، وتملك «تكنولوجيا» صناعة السلاح المتطور، ثم تخزين أمريكا كميات كبيرة من الأسلحة المتطورة جداً في الأراضي المحتلة مع إعطاء «إسرائيل» حق استخدامها إذا أرادت أو دعت الحاجة إلى ذلك، لأمكننا تصور ما سينتج عن ذلك من ويلات مستقبلاً.

٩ ـ تسعى الولايات المتحدة الأمريكية والبلاد الأوروبية ـ بمساعدة الأنظمة القائمة في بلاد العرب والمسلمين ـ إلى تعميق الانقسام وتعزيزه؛ فأصبح التفكك في أمة التوحيد أصلاً وفلسفة، وأصبحت التبعية لأمريكا والغرب مبدأ يدعى إليه، وكل ذلك يتناقض مع الدين الإسلامي والدعوة الإسلامية، فهناك تناقض بين الإسلام وهذه الاتجاهات الاقليمية النفعية، وبالتالي فلا بد من القضاء على كل حركة أو دعوة تطالب بقيام الحكم الإسلامي، ولذلك لا يراد للمطامح الإسلامية

أن تنمو، ولا يراد للمسلمين أن يصلوا إلى التأثير في مجرى الأمور، ويترتب على ذلك محاربة التيارات الإسلامية الأصيلة التي ترفض واقع التجزئة والتبعية الحضارية لأمريكا والغرب. وهذا الواقع يفرض على المسلمين:

أ ـ الرجوع إلى الله عز وجل والأخذ بأسباب ووسائل تليين القلوب.

ب ـ أن يضعوا أيديهم على الجراحات لا ليستسلموا، وإنما للتمرد على هذا الواقع الذليل الحقير، وإحلال الواقع الإسلامي المنشود محله.

جـ ـ اكتشاف سنن التغيير والتزامها، لتحرير الفرد المسلم والمجتمع المسلم من الظلم والاستعباد.

د ـ العمل على تحرير الإرادة العربية والإسلامية، وتحرير الأرض العربية والإسلامية من كل لون من ألوان الاستعمار القديم والجديد.

هـ ـ عدم اليأس من المستقبل، فاليأس في ديننا كفر وضلال، ونذكر العرب والمسلمين بقول الأستاذ عصام العطار:

«أيها العرب والمسلمون: إننا نرفض ببساطة ووضوح هذا الواقع نرفضه بصورته الراهنة، ومنطلقاته الفاسدة، وسائر أسبابه البعيدة والقريبة، ونرفض كل ما ينتج عنه وما يؤدي إليه من المآسي والمخازي والتفتت والانحلال والموت المادي أو المعنوي على كل صعيد وندعو الطلائع العربية والإسلامية، في كل أنحاء العالم العربي والإسلامي، إلى وقفة تأمل صادقة واعية جادة، وإلى تحول بصير عميق جريء، يغير من خلال الإيمان والإخلاص، والعلم والفكر، والعمل والزمن، مجرى الأمور، وينقذ العالم العربي والإسلامي، وينقذ القيم الإنسانية والخلقية، وينقذ الحضارة والإنسان، ويسهم في بناء مستقبل أكرم وأفضل للعرب والمسلمين، وسائر البشر.

يجب ألا نحبس أنفسنا في الحاضر، ودواعي اليأس والإحباط والوهن والاستسلام التي يملأ بها الحاضر نفوسنا وعقولنا، ويوجه بها أنظارنا وخطانا.. وأن نفتح لأنفسنا نوافذ المستقبل والأمل المشرق المنعش.

إننا نحتاج ـ أشد الاحتياج ـ إرادة التحرر والتقدم والنصر، وحُسن الإعداد للتحرر والتقدم والنصر، والاستفادة من كل إمكانية في تحقيق التحرر والتقدم والنصر.

إننا نحتاج الإيمان والصدق، والعلم والوعي، والتفكير والتخطيط، والجهاد والزمن.. والثقة المطلقة بالله، وبانتصار الحق، ولا بد أن ننتصر، وينتصر بنا الحق والعدل والخير.. إن سلكنا لذلك الطريق، واتخذنا إليه الأسباب.»[١٦]

---

(١) كثير من المعلومات التي وردت في هذا البحث ـ التي لم تذكر مراجعها ـ أخذتها من أفلام مستندية بثها الرائي «التليفزيون» الألماني في محطة الإرسال الأولى ARD على مدى أربع ساعات في النصف الثاني من الشهر الخامس لسنة ١٩٨٨م بمناسبة مرور ٤٠ سنة على قيام «دولة إسرائيل»، وما نشرته جريدة الحياة اليومية بعددها الصادر يوم الخميس ٧/ ١١/ ١٩٩١م ص٣.

(٢) روجيه جاروري، مرجع سبق ص ٨.

(٣) خالد القشطيني، تكوين الصهيونية، الطبعة الأولى، ص ٢٤٥.

(٤) Walter Hollstein, Kein Frieden um Israel, - Konflikts, Fischer Verlag, S. 100

(٥) مناحم بيجن، «ميلاد إسرائيل الجديد ومصيرها»، ص ٥٣٠.

(٦) مجلة الإنسان، العدد الثالث، السنة الأولى، دار أمان للصحافة والنشر، باريس ـ فرنسا، ديسمبر/ كانون الأول سنة ١٩٩٠م، ص ٩٣.

(٧) المرجع السابق، ٩٣.

(٨) المرجع السابق، ص ٩٤ و٩٥.

(٩) المرجع السابق، العدد الرابع ـ السنة الأولى، أبريل/ نيسان سنة ١٩٩١م، ص ٩٢.

(١٠) المرجع السابق، ص ٩٢.

(١١) مرجع سابق Walter Hollstein, S. 100 - 118

(١٢) محمد حسنين هيكل، حرب الثلاثين سنة ـ ملفات السويس، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦م.

(١٣) ريتشارد نيكسون ـ إعداد وتقديم المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة؛ ١٩٩٩ نصر بلا حرب، مركز الأهرام للنشر والترجمة ـ القاهرة، الطبعة الثانية، ص ٢٩١.

(١٤) محمد حسنين هيكل، حرب الثلاثين سنة ـ الانفجار ١٩٦٧م، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م ص ١٩.

(١٥) محمد حسنين هيكل، حرب الخليج أوهام القوة والنصر، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٢م، ص ٥٢٧.

(١٦) من كلمة للأستاذ عصام العطار في المؤتمر السنوي السادس عشر المنعقد في مدينة كولونيا ـ ألمانيا الاتحادية، في المدة من ١٥ إلى ١٩ محرم سنة ١٤١٢هـ الموافق لـ ٢٦ ـ ٣٠ تموز ـ يوليو سنة ١٩٩١م، بإشراف المركز الإسلامي في آخن «مسجد بلال» واتحادي الطلبة والعمال المسلمين في أوروبا.

البحث الرابع

محاولات «التسويات السلميـــة»

نشـأ التنظيم السياسي الصهيوني قبل أن تقوم دولة «الكيان الصهيوني»، فقد وجـدت مجمـوعـة من المنـظمـات التي أخـذت تشكـل الأحـزاب والنقـابـات والجمعيات، وكلهـا تؤمن بالفكـر الصهيوني وتعمـل على تحقيقه بجانب قيامها بنشاطات اقتصادية وخدمات اجتماعية وصحية وثقافية وفنية ورياضية ومصرفية، وقد شجعت الحركة الصهيونية العالمية تشكيل هذه الأحزاب، بقصد حمل يهود أوروبا أولاً، ثم الـذين في أنحاء العالم على تأييد الدعوة الصهيونية ووضع مخططاتها موضع التنفيذ.

ويرى كثير من المحللين السياسيين أن مشروعات «الحلول والتسويات السلمية» للصراع العربي ـ الصهيوني، كانت فرصها تتزايد بعد كل حرب بين العرب و«الكيان الصهيوني»[1]، ويمكن إيجاز أهم المبادرات والمشروعات على أساس التقسيم التالي:

أولاً: أبرز مشروعات «السلام» منذ سنة ١٩٤٨ حتى حرب الخليج.

ونظراً لأن المشروعات التي وجدت قبل زيارة «السادات» للقدس تختلف عنها

بعد الزيارة، فسوف نعرض لنماذج منها قبل «كامب ديفيد»، ونماذج بعد ذلك على النحو التالي[٢]:

١ ـ أبرز المشروعات التي تمت قبل زيارة السادات للقدس:

أ ـ لجنة التوفيق الدولية: وقد شكلت هذه اللجنة بعد قيام «الكيان الصهيوني» في فلسطين، شكلها «مجلس الأمن الدولي» في **١٩٤٨/١٢/١١** من ممثلين عن فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وتركيا، وحدد أعمالها في:

(١) متابعة الوسيط الدولي «الكونت برنادوت».

(٢) البحث عن حلول لإنهاء الصراع العربي «الإسرائيلي».

(٣) التوفيق بين وجهات النظر المتعارضة.

ومارست اللجنة عملها في مراحل ثلاث:

■ **مرحلة المحادثات التمهيدية**، والتي تمت في الفترة من ١/١٧ إلى **١٩٤٩/٤/٢٧** في جينيف وتل أبيب وبيروت. وفي هذه المرحلة **طالب اليهود بأن تكون هناك مفاوضات مباشرة بينهم وبين كل دولة عربية على انفراد**، بينما أصر العرب على أن تكون المفاوضات مجتمعة.

■ **مرحلة المحادثات غير المباشرة**، والتي تمت في الفترة من شهر ٤ إلى شهر ٧ سنة **١٩٤٩م** في لوزان.

■ **مرحلة محاولة جمع العرب مع اليهود في مؤتمر باريس في شهر ٩ سنة ١٩٤٩م.**

لقد شكل «مجلس الأمن الدولي» هذه اللجنة لتبحث عن حلول سلمية لقضية فلسطين، ولكنها لم تنجح في تحقيق مهمتها، وإن كانت قد أضافت للكيان الصهيوني مكاسب جديدة منها:

ـ تأكيد قرار التقسيم وعضوية «الكيان الصهيوني» في الأمم المتحدة.

ـ استعداد البلاد العربية للتفاوض مع «الكيان الصهيوني»، واحترام اتفاقيات الهدنة.

ونلاحظ التمايز بين المواقف كما يلي:

■ حرصت بلاد المعسكر الشرقي بزعامة «الاتحاد السوفييتي» على التأكيد بأن مهام اللجنة محصورة في البحث عن حلول لا تتجاوز قرار التقسيم، وصيانة ثورة التحرير الوطني اليهودي[٣]، والإبقاء على الحدود التي وقفت عندها الجيوش المتقاتلة.

■ كما تعهدت كل من أمريكا وبريطانيا وفرنسا بحماية «الكيان الصهيوني» في حدوده التي وصل إليها.

■ الموقف اليهودي يمتاز بتحديد المراد ووضوحه في ذهن المفاوض، والإصرار على المفاوضات المباشرة الثنائية بين البلاد العربية و«الكيان الصهيوني»، مع التأكيد بأن الصراع عربي يهودي ولا مكان لفلسطين والفلسطينيين.

■ الموقف العربي يمتاز بالاستعداد للتنازل، حتى أن حكومات البلاد العربية أصدرت بياناً تؤكد فيه نواياها باحترام التزاماتها في اتفاقيات الهدنة، والعزم على عدم اللجوء إلى القوة من أجل تسوية القضية.

ب ـ **المشروع النرويجي**؛ حيث تقدمت النرويج إلى الأمم المتحدة بمشروع قرار يقضي بالآتي:

(١) الامتناع عن القيام بأي أعمال عدوانية بين العرب واليهود.

(٢) تسوية الخلافات بين الحكومات العربية من جهة والحكومة اليهودية من جهة أخرى.

(٣) إجراء مفاوضات مباشرة.

(٤) إحياء لجنة التوفيق.

وقد فشل هذا المشروع لأن الطرف العربي طالب بأن تكون المفاوضات ضمن القرارات السابقة للجمعية العامة للأمم المتحدة، وأصر اليهود على إبعاد «الأمم المتحدة» وإجراء مفاوضات مباشرة ثنائية.

جـ ـ **مشروع جاما**؛ والذي طرح بمبادرة مصرية، كان السبب في طرحها ما أعلنه عبد الناصر في ١٩٥٤/٨/٣ بأن مصر بحاجة إلى السلام لحل مشكلاتها

الداخلية، واقترح أن تقوم أمركيا بدور الوسيط بين اليهود والعرب. واتخذت أمريكا الأسباب والوسائل لإجراء مفاوضات عن طريق وسيط، أي محادثات متبادلة أمريكية ـ مصرية، وأمريكية ـ صهيونية. ولكن فشل المشروع لرفض اليهود الوساطة وإصرارهم على إجراء محادثات مباشرة بين عبد الناصر وبن جوريون.

د ـ مشروع أنطون ايدن؛ لاحظ ايدن الدور المتزايد لأمريكا في المنطقة وتهميش دور بريطانيا، فتقدم بمشروعه العجيب في **١٩٥٥/١١/٩م**، وهو محاولة توفيق الحدود، حيث لاحظ ايدن أن مطالب اليهود عند حدود الهدنة سنة **١٩٤٩**، ومطالب العرب عند حدود التقسيم سنة **١٩٤٧م**، فرسم خطاً على الخارطة في منتصف المنطقة المتنازع عليها، وقال بكل بساطة: «هذه للعرب وهذه لليهود»!!!

ويلاحظ هنا: موافقة العرب على المشروع لمجرد الإشارة إلى قرار التقسيم، في حين أن اليهود رفضوه لأنه أشار لقرارات الأمم المتحدة، وبصفة خاصة قرار التقسيم. ولذلك فشل المشروع..

هـ ـ تتالت بعد ذلك مشاريع ومبادرات دولية وفردية أجنبية، فكان المشروع الكندي سنة **١٩٥٧م**، والأسترالي سنة **١٩٥٧م**، ثم مشروع ايزنهاور **١٩٥٧ ـ ١٩٥٨م**، ومشروع همر شولد سنة **١٩٥٩م**، ومشروع جونسون سنة **١٩٦١م**..

والملاحظ على هذه المشروعات: أنها تحدثت عن اللاجئين الفلسطينيين ومأساتهم، وميزانية وكالة الغوث، وقيمة التعويضات التي سيحصل عليها كل لاجيء، وميزانية الهيئة المسؤولة عن التعليم وما إلى ذلك.

وانتهت القضية الفلسطينية كأرض أغتصبت، وشعب شرد، وتحولت إلى قضية لاجئين.

و ـ ثم ظهرت المشروعات العربية، منها مشروع الرئيس التونسي بورقيبة، أعلنه في خطابه الذي ألقاه بتاريخ **١٩٦٥/٤/٢١م** وبالرغم من أن بورقيبة كان متفقاً مع الرئيس المصري عبد الناصر إلا أن المشروع قوبل باستنكار عربي

جمـاعي . . ؛ ومنهـا مشـروع الملك حسين، الذي تقدم به في **١٥/٣/١٩٧٢** ويتكون من عدد من البنود، ولكنه رفض من قبل اليهود والعرب على السواء.

ز ـ مؤتمر جنيف سنة ١٩٧٣م، والذي انعقد بعد حرب سنة **١٩٧٣م** وتطبيقاً لقرار «مجلس الأمن الدولي» رقم **٣٣٨**، وقد وصفه صلاح منتصر، ونقل أهم ما دار فيه فقال[٤]:

وقد جاء ترتيب جلوس الوفود على أساس سباعي (شكل رقم ٧) يترأسه السكرتير العام للأمم المتحدة وإلى يمينه الوفد المصري ثم الوفد الأمريكي ثم الوفد الأردني أما إلى يسار السكرتير العام فقد جلس الوفد «الإسرائيلي» تم الوفد السوفييتي تم مائدة الوفد السوري إلا أن مقاعده ظلت خالية ولم يحضر المؤتمر.

وقد عقد المؤتمر **٣** جلسات يومي **٢١** و **٢٢** ديسمبر تحدث فيها بعد السكرتير العـام أندريه جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفييتي، ثم هنري كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة، ثم إسماعيل فهمي وزير خارجية مصر، ثم زيد الرفاعي رئيس الوفد الأردني، وكان آخر المتحدثين «أبا إيبان» وزير خارجية «إسرائيل» **الذي أعلن أن «إسرائيل» لن تتخلى عن كل الأراضي العربية من أجل ما وصفه «بتأمين حدود آمنة لها»**. **وقال: إنه بالنسبة للفلسطينيين فإن دولتهم ينبغي أن تقام في الأردن بعد تسوية مشكلة الأراضي، كما أعلن أن «إسرائيل» لن تعيد القدس العربية إلى الأردن.**

وفي يوم السبت **٢٢** ديسمبـر **٧٣** انتهى مؤتمـر السـلام في جنيف ولم يعـد للاجتماع بعد ذلك. . **وكان الملاحظ على هذا المؤتمر:**

١ ـ استبعاد الفلسطينيين من الاشتراك فيه نتيجة إصرار «إسرائيل» على أن هذا المؤتمر جاء تنفيذاً للقرار **٢٤٢** وأن الفلسطينيين لا علاقة لهم بهذا القرار ومن ثم فإنه ليس لدى الفلسطينيين ما يمكن التوصل إلى اتفاق بشأنه مع «إسرائيل». وبهذا المفهوم الواضح فقد كانت القضية الفلسطينية غير مدرجة على جدول أعمال المؤتمر.

٢ ـ عدم اشتراك سوريا في المؤتمر، وقد أصدرت بياناً في نفس يوم انعقاد المؤتمر ذكرت فيه «أن سوريا ما زالت مستعدة للمشاركة في أي جهد جدي لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ الذي ينص على وقف إطلاق النار والبدء فوراً في محادثات سلام تحت الاشراف المناسب وتنفيذ القرار ٢٤٢» . وأضاف البيان أن سوريا ما زالت تقبل القرار ٣٣٨ لكنها تأبى أن تدخل في طريق يقلب مؤتمر جنيف إلى مؤتمر خديعة، لأن «إسرائيل» تعمل على تحويل المؤتمر إلى ميدان للمناورات تركز فيه على قضايا جانبية قد تضيع الهدف الرئيسي الذي ينعقد من أجله وهو تنفيذ قرار الأمم المتحدة.

٣ ـ صحيح أن المؤتمر عقد تحت الاشراف الدولي **فإن الرئاسة فيه كانت مشتركة للولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي. وفي الواقع إلا أن دور الأمم المتحدة كان محدوداً وكان دور سكرتيرها شكلياً.**

٤ ـ لم يكن لأوروبا أي دور في المؤتمر ولم تشترك فيه.

٥ ـ لم يكن للمؤتمر طريق محدد سلفاً يوضح الخطوة التالية لانعقاده وبالتالي اقتصر المؤتمر على ثلاث جلسات شكلية تحدث فيها رؤساء الوفود وانتهى المؤتمر بدون أي نتيجة تذكر، بل إن بعض الدول العربية اتهمت من حضره بالخيانة واعتبرت جلوسهم على مائدة واحدة مع ممثلي «إسرائيل» حتى في ظل حضور السكرتير العام للأمم المتحدة وممثلي الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ما يعني قبول التفاوض مع «إسرائيل» والاعتراف «بالكيان الصهيوني»!)

من هذه المشروعات والمبادرات يتبين:

(١) إن «الكيان الصهيوني» يصدر عن مبدأ تحقيق «إسرائيل الكبرى»، ويسعى لتحقيق ذلك على مراحل زمنية.

(٢) رفض اليهود الالتزام بمعاهدة تحت إشراف «الأمم المتحدة» لأنه قد تلزم بتبعات مستقبلية، لذلك فإن «الكيان الصهيوني» يرفض كل مبادرة يشارك فيها مندوب عن «الأمم المتحدة».

(٣) إن المراوغة واكتساب فترات زمنية قد تمكن من فرض أمر واقع بعد توفر شروط وظروف مواتية، ولذلك سلك «الكيان الصهيوني» سبيل المراوغة واكتساب الزمن!!!

(٤) واجه العرب عدوهم متفرقين ومتنازعين، فكل نظام يسعى لتحقيق مصالحه مهما كان الطريق الذي يسلكه لتحقيق ذلك مرفوضاً.

(٥) لم يكن لدى العرب خطة منهجية واضحة المعالم لمواجهة العدو المغتصب.. المتوسع دائماً..!!

٢ ـ أبرز المشروعات التي تمت بعد زيارة السادات للقدس

لقد مهدت زيارة أول رئيس عربي للقدس إلى قيام عدد من المسؤولين بالتقدم بمبادرات و «مشروعات اتفاقيات سلام»، ومن أبرز هذه المبادرات والمشروعات ما يلي:

أ ـ اتفاقية كامب ديفيد و«معاهدة السلام» المصرية؛ بعد زيارة السادات للقدس، قام الرئيس الأمريكي ـ كارتر في ذلك الوقت ـ بدعوة الرئيس المصري أنور السادات، ورئيس وزراء «الكيان الصهيوني» مناحم بيجن، إلى اجتماع في كامب ديفيد دام ١٣ يوماً من ٥ إلى ١٩٧٨/٩/١٧م. وتم آنذاك التوقيع على ما أصبح معروفاً باتفاقية «كامب ديفيد»[٥]

ويلاحظ على هذه الاتفاقية الآتي:

(١) هذه أول مرة تتم فيها مفاوضات مباشرة بين مندوب عربي وآخر يهودي، وبدون وجود «الأمم المتحدة»، وهذا الذي كانت تؤكد عليه حكومات «الكيان الصهيوني» سابقاً..

(٢) جاءت الاتفاقية في وثيقتين: وأطلق عليها اسم: «إطار السلام في الشرق الأوسط»؛ والثانية أطلق عليها اسم: (إطار لإبرام اتفاقية سلام بين مصر و«إسرائيل»).

(٣) بالرغم من أن الاتفاقية تضمنت كل ما أرادته حكومة «الكيان الصهيوني»،

إلا أن الحكومات المتلاحقة «للكيان الصهيوني» قامت بالتراجع عن كثير مما جاء فيها، وقد قام السيد/صلاح بسيوني سفير مصر السابق في «الاتحاد السوفييتي سابقاً» بعملية حصر للتراجعات «الصهيونية» عن بنود الاتفاقية فوجدها كثيرة جداً، ويكفي ما ذكره شامير قبل أيام عن الموقف من اتفاقيات «كامب ديفيد» فقال: «إن إسرائيل غير ملزمة بكل كلمة في اتفاقية كامب ديفيد»(٦)

(٤) بناء على اتفاقية «كامب ديفيد»، تم التفاوض بين مصر و«الكيان الصهيوني» لتوقيع «معاهدة سلام» بينهما، وقد تم التوصل بالفعل إلى هذه المعاهدة والتوقيع عليها يوم ١٩٧٩/٣/٢٦م، وبمقتضاها تم تحديد جدول الانسحاب من صحراء سيناء، وتطبيع العلاقات المصرية الصهيونية، وكانت لهذه الاتفاقية آثارها العميقة في النفوس وعلى المستوى العسكري والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والاستراتيجي..(٧)

ب ـ **ثم تتالت المشروعات العربية والأمريكية**؛ منها مشروع «فهد»، فقد تقدم ولي العهد ـ آنذاك ـ السعودي في ١٩٨١/٨/٧ بمشروع يشتمل على ثمانية مباديء، ومشروع خالد الحسن، والذي تقدم به خالد الحسن رئيس لجنة العلاقات الخارجية في المجلس الوطني الفلسطيني بتاريخ ١٩٨٢/٥/١٤، ويتضمن سبعة نقاط لحل القضية الفلسطينية؛ ثم وثيقة أبو عمار ـ ياسر عرفات ـ، فبعد شهرين من طرح خالد الحسن لمشروعه، وأثناء الحصار في بيروت، وقع ياسر عرفات بعد مقابلة مع بول هاكلوسكي وثيقة تعترف بجميع قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالقضية الفلسطينية..، ثم مبادرة الرئيس الأمريكي «ريجان»، وأهم ما جاء فيها: رفض قيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة؛ والقدس موحدة ووضعها النهائي يتم من خلال المفاوضات؛ ثم مشروع فاس «المشروع العربي للسلام»، ثم مبادرة الرئيس السوفييتي «بريجينيف»، ثم مبادرة الرئيس المصري مبارك، وأخيراً مشروع شامير، وكل هذه المشروعات رفضت إما من اليهود أو من العرب.

ثانياً: أبرز مشروعات السلام بعد حرب الخليج:

أ ـ مشروع الرئيس الفرنسي ميتران.

بعد حرب الخليج مباشرة، صرح ميتران بضرورة انعقاد «مجلس الأمن الدولي» على مستوى رؤساء الدول لبحث كيفية حل الصراع العربي ـ الإسرائيلي.. ولكن هذا المشروع لم يلق الأذن الصاغية عند الرئيس الأمريكي بوش، وبعدها التقى الرئيس الأمريكي بوش مع الرئيس الفرنسي ميتران، ثم خرجت الأخبار عن هذا اللقاء تبرز الخلاف في وجهات النظر في علاج القضية الفلسطينية.

ب ـ مبادرة بوش

أعلن الرئيس الأمريكي بوش يوم ١٩٩١/٣/٦م في حديث أمام جلسة مشتركة لمجلس الشيوخ والنواب أن الوقت قد حان لإنهاء الصراع العربي ـ «الإسرائيلي»، وإجراء المفاوضات على أساس «الأرض مقابل السلام»، واعتبار قراري «الأمم المتحدة» ٢٤٢ و٣٣٨ أساساً للتفاوض، ولا بد من ضمان أمن «إسرائيل» والاعتراف بها، وفي أعقاب ذلك قام وزير الخارجية الأمريكي «جيمس بيكر» بسلسلة من الزيارات للمنطقة بلغت ٨ زيارات، وضع خلالها صيغة لإجراءات انعقاد «مؤتمر السلام»، الذي يمكن معالجته باختصار على النحو التالي:

١ ـ ملاحظات مبدئية:

(١) انعقد المؤتمر في مدريد بحضور جميع الأطراف وحضور الرئيس الأمريكي والرئيس السوفييتي وتمثيل رمزي «شرفي» للأمم المتحدة والسوق الأوروبية المشتركة ومجلس التعاون الخليجي. وبعد الجلسات الافتتاحية بدأت المفاوضات الثنائية متعثرة، واعتبر الجلوس لتحديد موعد ومكان انعقادها مستقبلاً انتصاراً، ثم انعقدت بعد ذلك في واشنطن، كما انعقدت جلسات المؤتمر المتعدد الأطراف في موسكو وشارك في حضورها ٢٧ دولة..

ولكل إنسان عاقل أن يطرح السؤال الذي طرحته مجلة أكتوبر المصرية في عددها رقم ٧٩٦ بتاريخ ١٩٩٢/١/٢٦م ص٣:

ما الـذي توصلت إليه المفاوضات الثنائية طوال نحو ثلاثة أشهر حتى اليوم، جرت خلالها ثلاثة لقاءات؟! وكانت الإجابة: باختصار شديد: **لا شيء. هذا إلا إذا تصورنا أن مجرد الاجتماع في حد ذاته هو الهدف والنجاح!!!**

(٢) جاء انعقاد المؤتمر في وقت لم يكن العرب ـ في أي وقت سبق ـ في مثل موقف الضعف الذي هم عليه الآن، مما جعل صلاح منتصر يقول: «ورغم هذا الموقف البالغ الضعف الذي تعانيه الأمة العربية، فها هو ذا «مؤتمر السلام» قد بدأ في مدريد، الأمر الذي لا بد أن يجعل أي مفكر أو محلل سياسي يسأل: هل هو فعلاً للسلام أو للإستسلام؟!»[٨]

(٣) إذا كان وزير الخـارجية الأمـريكي بيكـر قد قال في أحـد لقـاءاتـه مع الفلسـطينيين قبل انعقاد مؤتمر مدريد: «**إن أمام الفلسطينيين خيار المشاركة في العملية السلمية حسب الشروط المطروحة، كما أن في استطاعتهم رفض ذلك. إذا رفضـوا سيخسرون حتماً، وإذا قبلوا ربما ربحوا وربما خسروا.**» فإن هذا الكلام الآن، لا ينطبق على الفلسطينيين فقط، وإنما ينطبق على البلاد العربية ـ سوريا والأردن ولبنان ـ أيضاً.

(٤) إذا كانت اعتـداءات اليهـود في المـاضي على البـلاد العـربية ومخيمـات الفلسـطينيين لبث الرعب في قلوب أبناء البلاد والشعوب العربية المجاورة؛ فإن الاعتداءات المستمرة على جنوب لبنان ـ والتي لازمت مؤتمر مدريد من بدايته ـ تحت سمع العالم وبصره، وبموافقة دولية ـ وخاصة من قبل أمريكا والبلاد التي لها مقعد دائم في «مجلس الأمن الدولي» ـ، ليؤكد على أن عملية «مفاوضات السلام» تجري في مناخ حرب حقيقية تتصاعد فيها عمليات استعراض قوة الكيان الصهيوني العسكرية، دون وجود رادع، ومثل هذا المناخ يجعل الاحتمال الأكبر ـ في ظل الواقع العربي الراهن هو ـ الاستسلام لمطالب «الكيان الصهيوني» والخضوع له..!!!

٢ ـ طبيعة المؤتمر الاقليمي

يعتبر هذا المؤتمر مرحلة من مراحل إتمام الترتيبات الأمريكية ـ الصهيونية لوضع اليد على ثروات المنطقة، والهيمنة على البلاد والعباد، والتمكين للكيان الصهيوني في أرضنا المباركة فلسطين، والذي يتابع الاجراءات التي يقوم بها وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية خلال زياراته «المكوكية» للمنطقة يمكنه أن يدرك مدى الهوان الذي وصلنا إليه نحن العرب والمسلمين؟!! ويدلك على ذلك ما نشرته الشرق الأوسط في صفحتها الأولى بتاريخ ١٩٩١/٩/٢٢م بعنوان «واشنطن تحذر من عدم االلحاق بالقطار»، وما نشرته نفس الجريدة بتاريخ ١٩٩١/١٠/١٣م تحت عنوان: «الملك حسين: الأردن يشارك لضمان بقائه»!!.

ومما يؤكد أن وسائل الإعلام ورجاله في بلادنا يدركون أن المفاوضات المباشرة تحت الظروف القائمة لا توصل إلى نتيجة مقبولة، ما كتبه صلاح منتصر رئيس تحرير «اكتوبر» في رده على الملك حسين عندما اقترح الحسين حل أزمة الخليج عن طريق المفاوضات بين العراقيين والكويتيين، يقول صلاح منتصر:

«كيف يا صاحب الجلالة؟ كيف يمكن لدولة محتلة بالكامل أن تجلس أمام من يحتلها، وتتصور أن ما يجري سوف يكون مفاوضات؟ إن التفاوض كما تعرف يا صاحب الجلالة ليس مجرد طرفين يجلسان على مائدة واحدة، وإنما توازن قوى يستند إليها الطرفان، فأي قوى يستند إليها الكويت الذي اقترحت أن يتفاوض مع العراق الذي يحتله، وتسمى ذلك حلاً عربياً؟ الشرعية خارج الكويت وتريد تفاوضاً؟ والجيش العراقي بدباباته ومصفحاته وانتهاكاته يسود الكويت وتريد تفاوضاً!.»[٩]

ولا أدري كيف يرفض ذلك ـ بسبب الشروط المشار إليها ـ إذا كانت المفاوضات بين عرب من الطرفين، ويقبل ـ تحت شروط أفظع ـ عندما تكون المفاوضات بين عرب وغير عرب؟! وخاصة المفاوضات بين العرب والكيان الصهيوني!!

ويلاحظ على طبيعة المؤتمر ما يلي:

أ ـ مراحل المؤتمر هي :

(١) جلسات افتتاحية تحت إشراف أمريكا وروسيا .

(٢) المفاوضات الثنائية تبدأ بعد المرحلة الأولى بفترة .

(٣) المفاوضات المتعددة الأطراف وتبدأ بعد المرحلة الأولى بفترة زمنية أخرى، وغير مرتبطة بالمفاوضات التنائية .

ب ـ الإجراءات الإدارية الهامة ما يل :

(١) الفصل بين قضية «الفلسطينيين» والبلاد العربية المجاورة .

(٢) التفاوض المباشر لا علاقة له بالمؤسسات الدولية ويتم مع كل بلد أو مندوبين بعينهم على حده . ويكفي أن نعلم أن مندوب «الأمم المتحدة» يحضر الجلسة الافتتاحية صامتاء لا رأي له!!!

(٣) إذا تم التوصل إلى اتفاقات معينة مع دولة أو جهة تعلن دون انتظار حتى تتم باقي الاتفاقات الأخرى . وعليه يمكن التوصل إلى اتفاقات مع البلاد العربية دون الاتفاق على القضية الفلسطينية .

(٤) لا يكون ضمن الوفد الفلسطيني من يمثل الفلسطينيين في الخارج، ولا يضم أحداً من مدينة القدس .

(٥) الوفد الفلسطيني ضمن الوفد الأردني ورئيس الوفد أردني ولا يشكل الفلسطينيون أغلبية الوفد!!!

٣ ـ ماذا يمكن أن يسفر عنه هذا المؤتمر؟

قبل الاجابة على السؤال المطروح، أود أن ألفت النظر إلى أن اغتصاب فلسطين لم يتم في مؤتمر دولي أو إقليمي، وإنما تم بالقوة على أرض فلسطين، والمنطق يقول بأن تحرير الأرض السليبة يقتضي التحرك على عين هذه الأرض، بكل وسيلة مشروعة لرد الحق إلى أهله، ولا يغني عن هذا التحرك أي عمل في ميدان آخر مهما كان مسماه . ولقد عبر عن ذلك وزير خارجية «الكيان الصهيوني» في مقابلة مع مجلة Der Spiegel «المرآة الألمانية» التي نشرت تحت عنوان Wer Schwach "

" ist, verschwindet أي من كان ضعيفاً فليختف[١٠] والذي يتابع الجهود العربية الجبارة التي تبذل في هذه الأيام، يجد أنها تبذل لجمع كلمة البلاد العربية، لا لمواجهة التحدي الذي يفرضه «الكيان الصهيوني» على البلاد العربية، والشروط التي يطالب بها من وقت لآخر، واتخاذ الأسباب اللازمة لرد العدوان الظالم، وإنما تبذل الجهود للخضوع والاستسلام للهيمنة الأمريكية والصهيونية، والقبول بالمطالب التي تتزايد يوماً بعد يوم!!

لم تجتمع كلمة الحكام العرب ـ على اختلاف أنظمتهم وما بين بعضها من بغضاء وشحناء ـ يوماً على شيء مثل اجتماعها هذه الأيام على الاستعداد للصلح مع «الكيان الصهيوني» والتسليم له بما أراد اغتصابه من الأرض، والتعايش معه وتناسي الغدر المتكرر والمذابح المتكررة.. ومما ساعد على ذلك التطورات العالمية والمحلية التي حدثت في الفترة الأخيرة، من انهيار الكتلة الشرقية وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بالقوة العالمية، وما حدث للبلاد العربية من ضعف بسبب حرب الخليج، وما يقدم من أسباب البقاء والتوسع لـ «الكيان الصهيوني»، فتهجير اليهود يتم على قدم وساق، من كل مكان، وخاصة الاتحاد السوفييتي، وفق المخطط المرسوم، والمساعدات الماديه تقدم بالمليارات، والماء سيأتي للأرض المحتلة من تركيا عبر أنبوب «السلام» ومن لبنان..

إنني أعتقد أن هذا المؤتمر لن يسفر إلا عن تطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني، وتقديم الأسباب والوسائل المساعدة على خروجه من ضائقته الحالية، وتيسير الأمر أمامه لاغتصاب المزيد من الأرض مستقبلاً، وهذا سيكون له نتائجه المروعة على أبناء فلسطين في الأرض المحتلة وخارجها، بل وستكون له نتائجه الوخيمة على البلاد العربية والإسلامية جميعاً.

ونظرة واحدة على رسالة التطمينات الأمريكيةالتي قدمها بيكر إلى حكومة الكيان الصهيوني في ١٨/١٠/١٩٩١ تبين موقف أمريكا «الصديقة للبلاد العربية» من قضية العرب والمسلمين الأولى!!

«إن قرار إسرائيل الاشتراك في مؤتمر السلام للشرق الأوسط، لبدء محادثات مباشرة وثنائية إلى مفاوضات سلام متعددة الأطراف، هي خطوة مهمة توصل إسرائيل بصورة أقرب، كثيراً إلى السلام والأمن اللذين تتوق إليهما الآن، هذا أوان التقرير من جانب كل الأطراف، لكي نتمكن من التحرك بسرعة نحو مؤتمر ومفاوضات، والحقيقة أنه بواسطة مفاوضات مباشرة فقط يمكن تحقيق سلام حقيقي وأمن.

«في سياق المسار الذي نبدأ به، نرغب في الرد على طلبكم لتطمينات معينة تتعلق بهذا المسار، هذه التطمينات تشكل مفاهيم الولايات المتحدة ومقاصدها المتعلقة بالمؤتمر والمفاوضات.

«لقد، وضحنا من البداية أن الولايات المتحدة ستكون مستعدة لإعطاء تطمينات تتلاءم مع سياستنا والتي لا تضعف أو تناقض الإطار الذي أوجدناه لعقد مؤتمر السلام، قلنا أيضاً، إنه لن تكون هناك تطمينات لأحد الأطراف لا تعرفها الأطراف الأخرى.

«هذا المسار من المفاوضات، مبنى على **العلاقات الفريدة بين دولتينا، التي تستند على قيم ومصالح مشتركة وعلى احترام الديمقراطية. منذ إنشاء دولة إسرائيل**، أدركت الولايات المتحدة أن التحديات التي تواجه إسرائيل تتعلق بجوهر وجودها. وعلى امتداد فترة طويلة للغاية، عاشت إسرائيل في منطقة رفض فيها جيرانها الاعتراف بوجودها وحاولوا تدميرها، لهذا السبب، كان مفتاح التقدم نحو السلام دائماً، اعترافاً بحاجات أمن إسرائيل وبضرورة التعاون الوثيق بين دولتينا لتلبية هذه الحاجات.

«إننا نؤكد لكم، أن التزاماتنا بأمن إسرائيل باقية على ما هي عليه، كل من يحاول أن يدس بيننا ساعياً للمس بهذه الالتزامات ـ لا ينجح في فهم الروابط العميقة بين دولتينا وطبيعة التزاماتنا بأمن إسرائيل، بما في ذلك الالتزام بتثبيت تفوقها النوعي، نريد أن نعود ونؤكد موقفنا، بأن إسرائيل تستحق حدوداً آمنة وقابلة

للدفاع، والتي يجب أن يتفق عليها في مفاوضات مباشرة بحيث تكون مقبولة من جيرانها، إن الولايات المتحدة تؤمن بأن الهدف من هذا المسار، هو سلام عادل ودائم، يتحقق عبر محادثات تستند إلى قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨، بما في ذلك عقد اتفاقات سلام مع علاقات دبلوماسية كاملة بين إسرائيل وجارتها العربيات.

«لقد أبلغتمونا أنتم وبقية الأطراف، بوجود تفسيرات مختلفة لقرار مجلس الأمن ٢٤٢ وبأن هذه «التفسيرات» ستعرض أثناء المفاوضات. ووفقاً للسياسة التقليدية للولايات المتحدة، لا نؤيد إنشاء دولة فلسطينية مستقلة. كما أننا لا نؤيد أيضاً استمرار أو الضم للمناطق التي تحتلها إسرائيل.

«لن تكون للمؤتمر قوة فرض حلول على الأطراف أو استخدام حق النقض «الفيتو» للاتفاقات التي ستتحقق بواسطته. لن تكون له صلاحية اتخاذ قرارات ولا حق التصويت على مسائل أو نتائج، يمكن أن يتجدد انعقاد المؤتمر فقط بموافقة كل الأطراف.

«ستبدأ المفاوضات الثنائية المباشرة بعد أربعة أيام من افتتاح المؤتمر، إن الأطراف التي سيطلب منها الانضمام إلى المحادثات المتعددة الأطراف، ستجتمع بعد أسبوعين من افتتاح المؤتمر لكي تنظم هذه المفاوضات، تدعم الولايات المتحدة المشاركة وتنظيم هذه المفاوضات المتعددة الأطراف، إننا نعتقد أن هذه الأبحاث يجب أن تتمحور حول موضوعات إقليمية عامة، مثل المياه، البيئة، الرقابة على الأسلحة والأمن الإقليمي، التطوير الاقتصادي، مسألة اللاجئين وموضوعات أخرى.

«إن الولايات المتحدة ملتزمة بتحقيق تسوية سلمية شاملة للنزاع الإسرائيلي العربي، وستبذل كل ما في وسعها لضمان تقدم هذا المسار في السبيلين، حتى نهايته، تأمل الولايات المتحدة بتوسيع حجم السلام بحيث يشمل دولاً أخرى في المنطقة.

«لا تؤيد الولايات المتحدة خلق ارتباط بين المفاوضات المختلفة لتحقيق تسوية شاملة.

«تؤمن الولايات المتحدة أنه لن يجبر أي طرف في هذه العملية على الجلوس مع من لا يرغب في الجلوس معه. لا يجوز أن تكون هناك مفاجآت بخصوص نوعية التمثيل في المؤتمر أو في المفاوضات، تؤمن الولايات المتحدة بأن الفلسطينيين سيكونون ممثلين في وفد أردني فلسطيني مشترك في المؤتمر. الفلسطينيون الذين هم سكان الضفة الغربية وغزة والذين يقبلون بالنهج الثنائي السبيل والمفاوضات على مراحل ويريدون العيش بسلام مع إسرائيل سيساهمون في الوفد وفي المفاوضات بشأن تسويات مرحلية.

أكثر من ذلك ـ لا تهدف الولايات المتحدة إلى الوصول بـ م. ت. ف. إلى داخل المسار أو إلى حمل إسرائيل على الدخول في حوار أو مفاوضات مع م. ت. ف. ستعمل الولايات المتحدة كوسيط مناسب لحل النزاع الإسرائيلي ـ العربي.

«تعتقد الولايات المتحدة أن من الضروري «قيام» فترة انتقالية لإسقاط أسوار الشكوك وعدم الثقة ولوضع أساس لمفاوضات مستمرة بشأن المكانة الدائمة.

«فيما يتعلق بالمفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين ستجري الأبحاث على مراحل، أولاً في محادثات بشأن تسوية مرحلية لحكم ذاتي سيستمر خمس سنوات ستجري هذه المحادثات بهدف تحقيق اتفاق خلال سنة ابتداء من السنة الثالثة من فترة الترتيبات المرحلية. ستبدأ المفاوضات على التربيبات الدائمة في ضوء علاقاتنا الفريدة مع إسرائيل، توافق الولايات المتحدة على التشاور مع إسرائيل وعلى أخذ مواقفها في الحسبان في مسائل مسار السلام. وفي الوقت نفسه تحتفظ الولايات لنفسها بالحق في إعلان مواقفها التقليدية عند الحاجة.

«لقد عبرتم عن قلق خاص بالنسبة إلى هضبة الجولان فيما يتعلق بذلك، تواصل الولايات المتحدة دعم تعهد الرئيس فورد لرئيس الحكومة رابين في ١ أيلول ١٩٧٥، بأن الولايات المتحدة ستؤيد الموقف بأي تسوية شاملة مع سوريا في

سياق اتفاق سلام يجب أن تضمن أمن إسرائيل في وجه هجوم من هضبة الجولان.

«تواصل الولايات المتحدة تأييد موقفها بأن سلاماً عادلاً ودائماً يجب أن يكون مقبولاً من الطرفين. لم تبلور الولايات المتحدة حتى الآن موقفاً نهائياً من مسألة الحدود. وعندما ستضطر إلى عمل ذلك، فإنها ستولي وزناً كبيراً لموقف إسرائيل بأن كل تسوية سلمية مع سوريا يجب أن تقوم على بقاء إسرائيل في هضبة الجولان. فيما يتعلق بذلك. فإن الولايات المتحدة على استعداد لاقتراح ضمانات أميركية للترتيبات الأمنية في الحد الذي سيكون متفقاً عليه بين إسرائيل وسوريا، طبقاً لعمليتنا التشريعية.

«وفيما يتعلق بلبنان وطبقاً للسياسة التقليدية للولايات المتحدة، فإننا نؤمن بأن لإسرائيل الحق في الأمن على امتداد كل الحدود الشمالية، أكثر من ذلك ـ ستبقى الولايات المتحدة ملتزمة بانسحاب كل القوات الأجنبية من لبنان وبتجريد كل الميليشيات من أسلحتها.

«إننا نستمر في النظر إلى معاهدة السلام بين إسرائيل ومصر والروابط بينهما، كحجر الزاوية لسياستنا في المنطقة وتأييد إتمام معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل وإكمال الاتفاقات الملحقة بها.

«هذه هي التطمينات التي تقدمها الولايات المتحدة في سياق تقدم المبادرة التي تحدثنا فيها. بعمل مشترك على أساس الثقة المتبادلة التي ميزت العلاقات بيننا دائماً. يمكن لإسرائيل والولايات المتحدة التقدم نحو السلام الذي منع عن إسرائيل على امتداد فترة طويلة». المصدر: صحيفة معاريف عدد ٢١/١٠/١٩٩١م

ولا أريد الحديث هنا عن التقييدات التي وردت في مذكرة التفاهم التي قدمها وزير خارجية أمريكا للفلسطينيين، والصورة الممسوخة التي تفرض على تمثيل الفلسطينيين حتى في مؤتمر الاستسلام!!!

وأخيراً لك أيها القاريء أن تتصور كيف تستعد حكومة الكيان الصهيوني للدفاع

عما اغتصبته من الأرض، كيف تستعد للتوسع على طريق تحقيق حلم «صهيون» بإقامة «إسرائيل الكبرى»؟! في الوقت الذي أصبح فيه العرب جميعاً غير قادرين على المطالبة بحقوقهم الثابتة بالمواثيق والتاريخ.. نعم إنه مؤتمر الخضوع والاستسلام.. وليس من ورائه إلا الوبال والويل للعرب والمسلمين مستقبلاً إذا استمرت حالهم على ما هي عليه الآن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٤ ـ أسباب نجاح المفاوض الصهيوني وفشل العربي

أ ـ أسباب نجاح المفاوض الصهيوني: ترجع إلى:

ـ **الإيمان الثابت بالقضية** التي يتحرك من أجلها المفاوض الصهيوني، وبالتالي لم تتغير مواقفه ـ حتى لو تغيرت أحزاب الحكم ـ وذلك منذ أن كانت القضية مجرد فكرة وقبل أن توجد الدولة، وحتى قبل أن يكون معه قوى كبرى ولا حتى صغرى..

ـ **التخطيط المحكم**: «ولعل ما أوردته بعض الصحف عن فريق الظل الذي يمثل فيه اليهود أربعة أخماس الوفد الأمريكي في مباحثات «السلام» المرسومة في «الشرق الأوسط»، لمتابعة لقاءات مدريد، والعمل على بلورة المواقف وتحديد مسارها وأولوياتها، خلال سير المفاوضات، يعتبر الصورة الأحدث لما نحن بصدده.. وهم من اليهود المتخصصين في قضايا المنطقة..»[١١]

ـ فإذا أضفنا إلى ذلك أن **قدرة الصهاينة** «على الإفادة من سنن التدافع الحضاري، واعتلاء المنابر الفاعلة، والوصول إلى التخصصات النادرة، مكنهم من عملية التحكم إلى حد بعيد، وجعل الثقافة اليهودية، والرؤية التوراتية ـ رغم تحريفها، هي الموجه والضابط للمسيرة العلمية عندهم»[١٢]

ب ـ أسباب فشل المفاوض العربي ترجع إلى:

ـ **في مجال المواجهة مع العدو ـ العسكرية والسياسية ـ** لم يكن هناك وضوح رؤية وثبات على الموقف الذي يطالبنا به إسلامنا، بل وجدنا المخالفات الواضحة لنصوص القرآن والتي أذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

● قال تعالى: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به**

عدو الله وعدوكم﴾ (الأنفال: ٦٠) ولفظ القوة هنا عام، ولكننا لم نعد ضروب القوة المختلفة!!

● وقال سبحانه: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾** (آل عمران: ١١٨) ومع وضوح هذا النص نجد الإصرار على المخالفة، ونضحك على أنفسنا ونتصور أن بيكر وبوش يحرصان على مصالح العرب والفلسطينيين، ولا نستحي من أنفسنا حتى بعد قراءة رسالة التطمينات التي قدمت للكيان الصهيوني!!! إن الإصرار في السير على هذا الطريق قد يخرج المؤمن عن إيمانه مصداق قول الله تباركت أسماؤه: **﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾** (آل عمران: ١٠٠)

● قال عز من قائل: **﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾** (الأنفال: ٤٦) والذي ينظر في واقع العرب يجد أنهم على عكس ما أمر الله تعالى، وها هي النتيجة: الفشل وذهاب الريح..

ـ **أما مخططات العرب فلا توجد**، والتحرك دائماً من منطلق ردة الفعل، فمنذ بدأ الصراع مع الصهيونية والسياسة العربية تصدر عن ردة فعل لخطوات العدو، فكان الإصرار بغباء على تفيذ مخططات العدو، فهو الذي كان يختار توقيت الحرب ويحدد مكانها وميدانها، وهو الذي كان بمساعدة أمريكا والقوى الأمبريالية يختار توقيت الهدنة وشروطها، وقد مكن ذلك العدو من حساب الخطوات المقبلة واتخاذ القرارات على أساسها، كما لو كان التحرك على رقعة الشطرنج!!

ـ **الكذب والخداع والتضليل**، وسأكتفي هنا بنقلين لإثنين من وزراء الخارجية في مصر أحدهما هو السيد/اسماعيل فهمي الذي استقال بسبب تصرفات رئيس الجمهورية ولم يتابع في محادثات «السلام» مع الكيان الصهيوني، والثاني هو السيد/كمال حسن علي الذي تابع في محادثات «السلام»:

* يقول اسماعيل فهمي: «وسوف تتناقض رواية الأحداث هنا مع أقوال صدرت

عن السادات، ولا ينبغي أن يدهش هذا القارىء لأنني متأكد أنه قد ثبت الآن بين دوائر المثقفين والسياسيين **أن أقوال السادات المنغيرة** تثير دائماً شكوكاً حقيقية حول صحة ما قاله. فكانت لدى السادات **ودون أن يدري خاصة مميزة، وهي أنه يقول سواء عن قصد أو غير قصد أشياء متناقضة بشأن كل حدث من الأحداث** ـ وبغض النظر عن أنه بالنسبة إلى كل مشكلة عالمية هناك دائماً أكثر من طرف، **فإن السادات تعود أن يخترع قصصاً، وأما أن يمطها حتى تصبح بعيدة كثيراً عن الحقيقة**؛ فإن ما كان يقـوله كان يعتمد على المناسبة أو على المستمعين. وينطبق هذا بصورة خاصة على ما يخص رحلته إلى القدس، وذلك بسبب خشيته من أن يقول لرؤساء الدول في العالم العربي ولمواطنيه في مصر حقيقة ما حدث بالفعل والتنازلات التي قدمها. **والمشكلة هي أن السادات لم يدرك أن الحقائق حقائق، ولا يمكن حفظها سراً إلى الأبد**؛ فالنظم السياسية لكل الدول المعنية والمسؤولة تتطلب التسجيل الكامل والدقيق لكل الأحداث السياسية، وأن يقدم هذا إلى المؤسسات السياسية، ولا ريب في أن يكون السادات مدركاً لهذا **إلا أنه أظهر تجاهلاً رهيباً لما ستتركه الحقيقة عند كشفها من تأثيرات سيئة على الثقة فيما قال. لقد تحول السادات إلى سجين لأسـاليبـه الخاصة، ولشخصيته المزدوجة، إلا أنه في النهاية كان يسعى لمجرد إرضاء ذاته»**[١٣]

أما السيد/كمال حسن علي فيقول في معرض رواية قصة سفره إلى المغرب بناء على طلب الرئيس السادات: «وفي صباح اليوم التالي قابلنا «جلالة الملك الحسن» الـذي توجـه معنا صاعداً إلى داخل القصر، وفي أثناء صعودنا سلم القصر سأل الملك الأخ حسن التهـامي، إذا كان يود أن يكـون اللقـاء ثنائياً، أو كما أسماه «تيتاتيت» أو أن يكون لقاء عاماً، وعقب أنه يرى أن يكون لقاء منفرداً.

دخلنا قاعة كبيرة لم يكن فيها غير شخصين، يوحي منظرهما بأنهما من دول أوروبية أو فرنسا بالذات، ولكن وجه أحدهما أحسست بأنه مألوف لدي، أو على الأقـل سبق أن شاهدت صورته، وتصافحنا، ثم أخذني الملك إلى الخارج معه

تاركين حسن التهامي مع الضيفين، وبمجرد أن غادرت القصر إلى قصر الضيافة، قفزت إلى ذهني صورة فوتوغرافية شاهدتها لأحد هؤلاء الأشخاص، ورجحت أنه إحدى الشخصيات «الإسرائيلية» التي احتفظ لها بملف في المخابرات العامة، ولكن ذاكرتي لم تسعفني بالإسم، وبعد انتهاء لقاء التهامي وحضوره إلى قصر الضيافة، سألته عن الموضوع، وكنت أتوقع ما حدث، فقد قال: أنه موضوع يتعلق بصفقة سلاح فرنسية، **واستغربت أن يكون هناك تعتيم على المهمة إلى هذه الدرجة، ولكنني لمعرفتي بشخصية التهامي لم استبعد مثل هذا التصرف، ولم أشأ أن أفرض نفسي على الموضوع**، وآثرت أن استفسر عن التفاصيل من الرئيس السادات، وعندما عدنا للاسكندرية مرة أخرى، توجهت لمقابلة الرئيس السادات، وقصصت عليه قصة التهامي واستنتاجاتي، فما كان منه إلا أن انفجر كعادته ضاحكاً حتى كاد أن يستلقي على ظهره، وبالفعل حدد لي اسم الشخص، وكان «كمحي» سكرتير عام «وزارة الخارجية الإسرائيلية»، وكانت الزيارة محاولة لجس النبض «الإسرائيلي» في محاولة الوصول إلى التفاهم على «السلام»(١٤)

وقد لفت الأستاذ عصام العطار النظر إلى هذا الأمر من سنوات قائلاً: «كذب الحكام، وكذب أجهزة الاعلام، وكذب المنافقين والمنتفعين، ما يزال كما كان.

يكذبون على الشعب، ويخدعونه، ويضللونه عن الحقائق، ويتكلمون بكلامين ولسانين، واحد للاستهلاك المحلي، وآخر لما وراء الحدود.. بدل أن يصارحوا الشعب بالحقائق التي يعرفها كل من في العالم ما عداه، وبدل أن يتعاونوا معه، ويصدقوا العمل والجهاد، لتغيير الواقع المؤذي، لا لستره عن العيون، أو إظهاره بغير صورته الحقيقية.

وعزل الشعب عن قضية عقيدته ووجوده، بل عزله عن كل قضية من قضاياه، وحكمه بالحديد والنار، وإخضاعه بالترغيب والترهيب لما يريده الحكام الذين يملكون القوة: «قوة السلاح» كل ذلك ما يزال كما كان.. يستوى فيه الحكم الملكي والجمهوري، واليميني واليساري، والرجعي والثوري.. لا فرق إلا في

المظاهر أو الظروف أو الدرجات..

كل الأشكال الشورية في بلادنا أشكال صورية وواجهات ـ مهما اختلفت التسميات ـ ولا وجود لحقيقة الشورى.. والحرية الحقيقية مفقودة في بلادنا.. ليس في بلادنا في الغالب إلا استبداد واستعباد من جهة، وخنوع وعبودية من الجهة الأخرى.

ولا ندري كيف يمكن أن نربح معركة التحرير بلا أحرار؟

وكيف نحرر الأرض بتعبيد النفوس؟!»[١٥]

ـ التذبذب في الفتاوى الشرعية، ففي ١٤ شعبان سنة ١٣٦٦هـ صدرت فتوى من لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الشريف برئاسة صاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية بـ «بتحريم بيع أراضي فلسطين لليهود، ووجوب مقاطعتهم وعدم التعامل معهم، وأن كل من يستبيح بيع الأراضي بفلسطين لليهود، أو التعامل معهم بالشراء من متاجرهم، أو ترويج بضائعهم ومنتوجاتهم، يكون مرتداً عن الدين، خارجاً من زمرة المسلمين» وكان رئيس لجنة الفتوى آنذاك هو الشيخ عبد المجيد سليم ـ رحمه الله تعالى ـ، ثم تطالعنا جريدة مايو ـ جريدة حزب السادات ـ في **١٩٨٢/٣/٢٢م** في الصفحة الخامسة منها بفتوى شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق التي تبيح «السلام» مع «إسرائيل»، وجاء في رأس الصفحة بالخط العريض: «**تأييد الأزهر لـ «السلام» مع «إسرائيل» نابع من القرآن والسنة!!**.

٤ ـ كيف يتعامل المسلم مع هذه القضية؟

الأصل أن لا يحدد المسلم موقفه من قضية فلسطين ـ ومن أي قضية أخرى ـ إلا على أساس الإسلام، فإذا صدر عن الإسلام الحق فإنه لا يفصل بين «الكيان الصهيوني في الأرض المحتلة» و«الولايات المتحدة الأمريكية»، خاصة بعد أن انكشفت التحالفات العسكرية والاقتصادية.. بينهما، فقد تطور الأمر تطوراً لا يمكن معه حفظ ماء وجه الذين يتغنون بالصداقة الأمريكية. ولم يعد بإمكان وسائل الإعلام الموجهة إقناع الشعوب الإسلامية بأن الولايات المتحدة الأمريكية تقف

إلى جوار الحق الفلسطيني، وستساعد الفلسطينيين في الحصول على حقوقهم المغتصبة!!!

ونظرة سريعة إلى تاريخ مأساة فلسطين توضح أن التنازلات في الحقوق الثابتة كانت متتابعة، وساعد على إتمام ذلك الصراعات القائمة في البلاد العربية ـ والتي تمكنت من نقل هذه الصراعات إلى المنظمات الفلسطينية المرتبطة بالأنظمة العربية ـ بحيث تأصلت أوضاع التفرقة والتجزئة، وسياسات المحاور، ثم أتم النظام الأمريكي بقيادة بوش المهمة بنجاح، فقد كان من نتائج حرب الخليج محاصرة الانتفاضة الفلسطينية في الأرض المحتلة فضلاً عن القضاء على المقاومة الفلسطينية الموجودة خارج الأرض المحتلة، والسير بالعرب على طريق الاعتراف الكامل بـ «الكيان الصهيوني» في فلسطين، والتفاوض المباشر المفضي إلى تطبيع العلاقات، والتسليم لـ «الكيان الصهيوني» بما يريد.

ولقد بين الأستاذ عصام العطار قبل سنوات الموقف الإسلامي من قضية فلسطين فقال: «**إننا نرفض بمقياس الإسلام رفضاً قاطعاً كل استسلام للعدو المغتصب، وكل تنازل له عن حقنا وأرضنا المحتلة بعد عام ١٩٦٧م وقبل عام ١٩٦٧م ـ مهما كانت الظروف.**

وإذا كان عدونا المغتصب لا يستحي أن يدعي لنفسه على المنابر المحلية والدولية، أرضاً غير أرضه، وحقاً غير حقه، متحدياً بذلك الشرائع الالهية، الحقائق التاريخية، والقوانين الدولية، والقيم الخلقية، فيتحدث بكل جرأة ووقاحة وإصرار عن أرضنا على أنها أرضه هو، وعن قدسنا على أنها «عاصمة إسرائيل الخالدة»..

إذا كان عدونا الصهيوني المجرم يفعل ذلك كله وما هو أكثر منه بكثير، فلماذا يجبن حكامنا، ويستغرب عقلاؤنا؟! أن نتحدث عن حقنا البين، وأرضنا العتيدة المقدسة، وأن ننادي بالتحرير الكامل واسترجاع الوطن السليب؟!»[١٦]

(١) Friedemann Büttner, Frieden für Land oder Frieden für Frieden, DGVN, Vereinte Nationen 4/1991, S. 139

(٢) راجع في ذلك الكتاب المختصر بعنوان «مشاريع الحلول السلمية على الساحة الفلسطينية ـ في الفترة ١٩٤٨ ـ ١٩٨٤، إصدار: الرابطة الإسلامية لطلبة فلسطين، مطبعة الفيصل الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م.

(٣) كانت روسيا تطلق على «الكيان الصهيوني» بعد اعترافها بقيامه اسم «ثورة التحرير الوطني اليهودي»، وربما كان ذلك السبب في أن أطلقت منظمة «فتح» على نفسها اسم «حركة التحرير الوطني الفلسطين».

(٤) صلاح منتصر، الطريق إلى السلام.. مدريد سنة ١٩٩١م، دار المعارف مصر، ص ٩ و١٠.

(٥) راجع نص الاتفاقية في كتاب «العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري» فتحي يكن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، ص ١٢٩ ـ ١٤١.

(٦) صلاح بسيوني، التراجع الإسرائيلي المنظم في عملية السلام، الأهرام الدولي بتاريخ ١٩/ ٢/ ١٩٩٢ ص ١١.

(٧) المرجع رقم ٢، ص ٤٦ ـ ٥٦.

(٨) راجع المرجع رقم (٤)، ص ١٦.

(٩) مجلة اكتوبر العدد ٧٧٦ بتاريخ ٨/ ٩/ ١٩٩١م، ص٩.

(١٠) Der Spiegel Nr. 38/45. Jahrgang, 16 September 1991

(١١) عمر عبيد حسنة في تقديم كتاب اليهود والتحالف مع الأقوياء، الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي، كتاب الأمة رقم ٣٢، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٢، ص ٣٠ و٣١.

(١٢) المرجع السابق، ص ٣١.

(١٣) اسماعيل فهمي، التفاوض من أجل السلام في الشرق الأوسط، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى باللغة العربية، القاهرة، سنة ١٩٨٥م، ص ٦و٧

(١٤) كما حسن علي، محاربون ومفاوضون، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، سنة ١٩٨٦م، ص ٥٩و٦٠

(١٥) عصام العطار، في قضية فلسطين آراء ومواقف، مرجع سابق، ص ٢٨ و٢٩.

(١٦) عصام العطار في تقديم كتاب تقييم سياسي لمقررات مؤتمر كامب دافيد، نبيل شبيب، المركز الإسلامي في آخن وحلقة الدراسات الإسلامية والعالمية، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٨م، ص ٦ و٧.

البحث الخامس

مبدأ تهجير يهود الشتات وتشتيت الفلسطينيين

انقطع وجود اليهود في فلسطين مذ ٢٥٠٠ سنة تقريباً، ويقول أحد اليهود من طليطلة ذهب حاجاً إلى القدس، أنه عندما ذهب إلى فلسطين سنة ١١٧٠م لم يجد إلا ١٤٤٠ يهودي في فلسطين كلها، وفي عام ١٢٥٧م لم يجد ناحوم جروندي في القدس غير عائلتين يهوديتين.

ومن ذهب إلى فلسطين من اليهود على إثر الاضطهادات التي حلت بهم في بلاد أوروبا، لم يذهب مدفوعاً بالحنين إلى وطن الآباء والأجداد، ففي القرن الخامس عشر الميلادي كان أول من هاجر إلى فلسطين هم يهود أسبانيا الذين لم يسبق لهم أن شعروا بأية رغبة في الهجرة خلال ثمانية قرون قضوها في الأندلس جنباً إلى جنب مع العرب المسلمين، ولكنهم فروا من ظلم محاكم التفتيش ومن عسف الملوك «الكاثوليكيين المتزمتين»، وجاءت أقلية منهم إلى فلسطين، أما الأغلبية العظمى فقد لجأت إلى فرنسا وهولندا وإيطاليا ومصر وقبرص أو بلاد البلقان. وفي سنة ١٨٤٥م لم يكن في فلسطين كلها غير ١٢٠٠٠ يهودي من بين السكان البالغ

عددهم ٣٥٠ ٠٠٠ نسمة. وأتت الاضطهادات الروسية في سنة ١٨٨٢م بموجة جديدة من المهاجرين تبعتهم موجات أخرى من بولندة ورومانيا[١]

ولا شك أن تهجير يهود الشتات إلى فلسطين وتوطينهم فيها، من أهم دعامات قيام الدولة وتوسعها، فوصول اليهود إلى فلسطين هو الذي يمد «الكيان الصهيوني» بالعنصر البشري الضروري لقيام الدولة وبقائها واستمرار توسعها وضمان تقدمها..

وقد اجتهدت المنظمات الصهيونية منذ نشأة الحركة الصهيونية في تنظيم عمليات التهجير، وتشجيع يهود الشتات في الذهاب لفلسطين، مع توفير الظروف والأسباب اللازمة لتحقيق ذلك بحيث أصبحت عملية التهجير والاستيطان هما الشغل الشاغل للحركة الصهيونية خلال النصف قرن الذي سبق قيام دولة «الكيان الصهيوني» وكان هدف المخطط الصهيوني في هذه المرحلة، إحداث خلل شديد بين الشعب العربي واليهود في فلسطين، بحيث يصبح الوطن العنصري اليهودي في النهاية أمراً واقعاً، وبالفعل حدثت زيادة واضحة في الهجرة اليهودية خلال فترة الانتداب البريطاني، فقد ارتفعت نسبة اليهود عندما صدر قرار التقسيم في ١٩٤٧/١١/٢٩م إلى ٣١,٤٨٪ بمقابل ٦٨,٥٢٪ من العرب الفلسطينيين أهل البلاد الأصليين.

أولاً: مبدأ تهجير يهود الشتات إلى فلسطين

اعتقد قادة الحركة الصهيونية بأن تهجير يهود الشتات إلى أرض فلسطين ضرورة من ضرورات النجاح، يكفي أن نذكّر هنا بقول «بن جوريون»: «إن انتصار «إسرائيل» سيتحقق عن طريق الهجرة المكثفة»، وحتى سنة ١٩٢٠ كان عدد الذين هاجروا إلى فلسطين لا يذكر، ولكنه بدأ يتزايد في الثلاثينات، ولم يهاجر أحد من البلاد التي لا يصادف فيها اليهود تضييقات مثل أمريكا وكندا إلى فلسطين، بالرغم من الجهود التي بذلتها الحركة الصهيونية لحث اليهود على الهجرة، ويقدر عدد الذين استجابوا لنداء الهجرة إلى فلسطين في الفترة من سنة ١٨٩٢م إلى سنة ١٩٢٠م بعدد ٦١,٨٥٦ نسمة، أي ما يعادل ٠,٤٥٪ من عدد يهود العالم آنذاك،

في الوقت الذي بلغ فيه عدد الذين هاجروا إلى أمريكا وكندا خلال نفس المدة بـ «٢» مليون نسمة، ويُظهر الجدول التالي حركة هجرة اليهود إلى البلاد المختلفة خلال المدة من سنة ١٨٨٠م إلى سنة ١٩٢٩م[٢]

البلد التي تمت الهجرة إليها	عدد المهاجرين	البلد التي تمت الهجرة إليها	عدد المهاجرين
أمريكا الشمالية	٢,٨٨٥,٠٠٠	فرنسا	١٠٠,٠٠٠
كندا	١٢٥,٠٠٠	بلجيكا	٥٠,٠٠٠
الأرجنتين	١٨٠,٠٠٠	باقي بلاد أوروبا	٣٠,٠٠٠
البرازيل	٣٠,٠٠٠	جنوب أفريقيا	٦٠,٠٠٠
أمريكا الجنوبية	٣٠,٠٠٠	مصر	٣٥,٠٠٠
انجلترا	٢١٠,٠٠٠	استراليا ونيوزيلندا	٢٠,٠٠٠
ألمانيا	١٠٠,٠٠٠	فلسطين	١٢٠,٠٠٠

هذا وقد أظهر تقرير الوكالة اليهودية لعام ١٩٨٩م أن إجمالي عدد اليهود في العالم ١٥,١١٣,٥٠٨ نسمة، وهم موزعون على حوالي ١٠٠ بلد، يمكن إجمالها جزئياً على النحو التالي:

البلد	العدد	النسبة المئوية
الاتحاد السوفييتي وشرق أوروبا	٣,٣٤٢,٠٥٠	٢٢,١٪
الولايات المتحدة الأمريكية	٥,٩٤٠,٠٠٠	٣٩,٣٪
دول غرب أوروبا	١,٣٧٥,٦٣٨	٩,١٪
الأرض المحتلة بفلسطين	٣,٥٤٢,٨٨٠	٢٣,٤٪
أمريكا اللاتينية	٧١٢,٩٤٠	٤,٧٪
بلاد عربية	٤٢,٠٠٠	٠,٣٪
بلاد أفريقيا غير العربية	١٥٨,٠٠٠	١,١٪

ويلاحظ أن ١٩٪ من اليهود خارج الأرض الفلسطينية أعمارهم تزيد على ٦٥ سنة، يوجد منهم وفي الولايات المتحدة الأمريكية وفي البلاد التي كانت تشكل الاتحاد السوفييتي سابقاً وحدهما أكثر من ٧٠٪ من اليهود في العالم، يتزوج حوالي الثلث منهم من غير اليهوديات.

١ ـ كيف كانت الهجرة؟

ولتحقيق مبدأ تهجير يهود الشتات كان لابد من التخطيط المحكم والتنفيذ الدقيق، وفيما يلي إشارة إلى ألوان من التخطيط وسبل التنفيذ:

أ ـ اقناع العالم بوجود شتات يهودي لابد من تهجيره: سعت الحركة الصهيونية من زمن طويل لإقناع العالم بوجود شتات يهودي في بلاد العالم المختلفة، منذ قام الأشوريون قبل أكثر من ٢٧٠٠ سنة بالقضاء على التكتل اليهودي وفرقوا من بقي منهم في الأرض..

ولذلك تصدر من وقت لآخر الأبحاث ـ التي لها الصبغة العلمية ـ والدراسات التي تثبت وجود قبائل ترجع إلى أصل يهودي في مكان ما، أو تدعي أن القبيلة التي تعيش في مكان كذا في أسلوب معيشتها وعاداتها تشبه عادات ونظام حياة اليهود.. فقبل عدد من السنوات اكتشف العالم أن قبائل «الفلاشا» في أثيوبيا أصلها يهودي، وقبل عدد من الشهور نشرت صحيفة «جيروزاليم بوست» بحثاً عن القبائل «اليهودية» أو التي ترجع إلى «أصل يهودي»، ومن هذه القبائل التي أثبت البحث الصهيوني أنها ترجع إلى أصل يهودي قبائل «ليمبا» وهي تعيش في جنوب ووسط أفريقيا منها حوالي ٨٠ ألف في جنوب أفريقيا وحوالي ٢٠٠ ألف في «زيمبابوي ومالاوي»، **وزعم البحث أن هؤلاء البشر تتشابه ملامحهم مع الملامح السامية، ولهم عادات وطقوس تتشابه مع عادات وطقوس اليهود. !!!**

كما نشرت قبل شهور أيضاً أبحاث أخرى تفيد أن عدداً من القبائل التي تعيش في شمال شرقي الهند، وفي المناطق المتاخمة لبورما وبنجلادش، تنحدر من سلالة قبيلة «منشا» اليهودية، ويبلغ تعداد أفراد هذه القبائل أكثر من ٢ مليون نسمة،

وهكذا كلما واتت الظروف ستنشر الأبحاث التي تفيد أن قبائل أخرى اكتشف أنها ترجع إلى أصل يهودي.. وبالتالي ملايين من الاشتات، تهجر إلى أرض فلسطين بزعم أنهم يهود أو بزعم جمع الشمل!!!

ب ـ توليد إرادة الهجرة عند اليهود: بشرت الحركة الصهيونية بين اليهود بالعودة إلى «أرض الميعاد» ـ ارتس إسرائيل ـ، فالهجرة في مصطلح «صهيون» هي الصعود إلى «ارتس بسرائيل»، وعلى كل يهودي يعيش في العالم أن يتطلع لهذا الحلم الديني العظيم، ثم ترجم ذلك في «القانون» الذي جعل العودة الدينية هي الأساس الأول في الهجرة إلى فلسطين التي أطلق عليها«إسرائيل»، وكثير من عمليات الهجرة التي تتم تعطى لها مسميات دينية أو يطلق عليها أسماء أنبياء، كما هو الحال في تهجير يهود «الفلاشا» من أثيوبيا، حيث أطلق على العمليات التي تمت في سنتي ٨٤ و ١٩٨٥م «عملية موسى» والعملية الأخيرة التي تمت في شهر مايو سنة ١٩٩١م أطلق عليها «عملية سليمان».

جـ ـ الاستفادة من الظروف وتهيئة الامكانات المادية اللازمة للتهجير إلى الأرض المحتلة؛ فكل يهودي في العالم يعمل لتحقيق ذلك منفرداً أو مع سواه، ولذلك عملت الحركة الصهيونية على إيجاد ما سمي «اللوبى اليهودي»، الذي سخر الإعلام والمال ورجال السياسة في الأماكن الحساسة في العالم لتحقيق مصالح اليهود ومن الحقائق الهامه التي تبين لنا دور هذا «اللوبي» على سبيل المثال لا الحصرأنه في:

(١) تشرين الثاني ـ نوفمبر سنة ١٩١٧ صدر تصريح بريطاني بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

(٢) نيسان ـ ابريل سنة ١٩٢٠م عقد مؤتمر «سان ريمو» الذي ثبت الانتداب البريطاني في فلسطين.

(٣) حزيران ـ يونيو سنة ١٩٢٢م تم إصدار الكتاب الأبيض من قبل تشرشل باستثناء شرق الأردن من الوطن القومي اليهودي، وإقامة إمارة شرق الأردن بزعامة

الملك «عبد الله بن الحسين الهاشمي» يشكل العرب الفلسطينيون نسبة كبيرة من أبنائها.

(٤) نفس العام ١٩٢٢م وفي شهر تموز - يوليو صادقت «عصبة الأمم» على الانتداب البريطاني في فلسطين، واعترفت بالعلاقة التاريخية بين الشعب اليهودي وأرض فلسطين وطلبت من الدولة المنتدبة العمل على إقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين

(٥) نفس العام أيضاً أي سنة ١٩٢٢م وفي شهر أيلول - سبتمبر قامت «عصبة الأمم» بالمصادقة على ما طالب به تشرشل بقطع شرق الأردن من أرض الانتداب، وطالب البريطانيون بأن يكون المندوب السامي هو المسؤول عن السلطة الذاتية وضمان الحقوق المدنية والدينية لكل سكان فلسطين.. ومن ذلك التاريخ بدأت تتصاعد عمليات تهجير اليهود إلى «أرض الميعاد» في فلسطين..

وأما عمليات التهجير فإنها تتم وفق مخطط مدروس يأخذ في الاعتبار الظروف الدولية السياسية والاقتصادية، مع الاستفادة البالغة من التوجيه الاعلامي، بإظهار العمليات بأنها إنسانية، واستخدام كافة السبل «المشروعة وغير المشروعة»، النظيفة وغير النظيفة، حتى أنه أذيع أخيراً أن الكنيس اليهودي في موسكو يبيع الهوية اليهودية بمبلغ مئتي روبل - ما أرخص الثمن!!-، وقد علق اليهودي «يديديه سغل» على ذلك في مقال نشر في «يديعوت» بتاريخ ١٩٩١/٥/٢٨ بعنوان «ما قيمة الهجرة حين تباع الهوية اليهودية في موسكو بمئتي روبل؟».

وأخيراً تم توفير الجسور الجوية لنقل من توفرت أسباب تهجيرهم ولو تطلب الأمر إتمام عملية النقل خلال عدد محدود من الساعات كما حدث في عملية نقل يهود «الفلاشا» من أثيوبيا يومي ٢٤ و ١٩٩١/٥/٢٥ والتي تم فيها نقل أكثر من ١٤ ألف إنسان خلال وقت قياسي تراوح تقديره ما بين ١٨ و ٣٦ ساعة!!!

٢ ـ قضايا هامة تلفت انتباه الإنسان

يلفت النظر في التخطيط والتنفيذ لعمليات تهجير اليهود ما يلي:

(١) تنظر الحركة الصهيونية إلى الإنسان اليهودي أن له قيمة كبيرة، فهي تحرص على حريته وسلامته وتأمين نقله إلى أرض فلسطين، فحرية الإنسان اليهودي وحقه في الاستيطان من الثوابت التي تجتهد الحركة الصهيونية و «الكيان الصهيوني» من بعد على تحقيقها، ولذلك فحق اليهودي في الحياة والتعليم والعمل والانتقال إلى «أرض الميعاد» مكفول..

أما في البلاد العربية والإسلامية فالعكس هو الصحيح، حيث لا يفكر في هذه الحقوق، ولا تحتل مكاناً متقدماً في سلم الأولويات، ومن أسهل ما يمكن أن يقتل الإنسان العربي والمسلم في أي مكان من العالم، بل من أسهل ما يمكن أن يقتل الإنسان العربي والمسلم في بلده بأيدي حكومته، أو في بلد مجاور بأيدي إخوانه وبني جلدته!!!

(٢) يتم خداع وتضليل العالم بادعاءات باطلة مثل القول: بأن عملية تهجير اليهود إنما تتم من منطلق إنساني كما هو الحال مع يهود أثيوبيا، أو أنها تتم لانقاذ اليهود الذين يضطهدون كما هو الحال مع يهود الاتحاد السوفييتي سابقاً وشرق أوروبا، ونحن نقول: بأن هذه ادعاءات كاذبة، إذ أن يهود «الفلاشا» تم تهجير دفعات منهم من قبل في وقت لم تكن هناك مخاطر على السكان اليهود في أثيوبيا ـ هذا بفرض أنهم يهود أصلاً ـ وأما اليهود «السوفييت» فإنهم يهاجرون الآن في وقت حدث فيه انفراج وإعطاء الحريات، ويتم فيه التحول السريع إلى الاقتصاد الحر، ووقع التقارب مع أمريكا وغرب أوروبا، أما عمليات التهجير فهي سياسة خطط لها من قبل ويتم تنفيذها على مراحل..

(٣) قامت دولة «الكيان الصهيوني» على الأساس الديني، كما أنها تحاول استخدام الرموز الدينية في عملياتها ـ رغم أن المجتمع ليس مجتمعاً دينياً ـ، كما أن الحركة الصهيونية تحاول دائماً ايقاظ المشاعر الدينية والاستفادة من التاريخ في

شحذ الهمم وتقوية العزائم، وتسلك لذلك كل السبل بما فيها الحفر تحت المسجد الأقصى حتى لو أدى إلى هدم المسجد. . الخ. والذي يقلق المسلم في كل مكان أنه: في الوقت الذي تقوم فيه الحركة الصهيونية وحكومة «الكيان الصهيوني» بكل ذلك، تقوم حكومات متعددة في بلاد المسلمين وخاصة في البلاد العربية بالوقوف ضد حركة البعث الإسلامي وتحاول القضاء عليها، والاشاعة بأن الدين مسألة شخصية بين الإنسان وخالقه، ويقال: «من أراد الدين فليذهب للمسجد ومن أراد السياسة فليذهب إلى البرلمان أو مجلس الشعب ـ إن وجد ـ»، ولا يجوز أن تقوم أحزاب سياسية في بلاد المسلمين على أساس الدين، ومعنى ذلك أنه يراد للعرب والمسلمين أن يقفوا أمام عدو مسلح بالعقيدة الدينية، وهم مجردون من هذه العقيدة. . والنتيجة معروفة منذ سنة ١٩٤٨ وحتى الآن متمثلة في الهزائم المتتالية أمام «الكيان الصهيوني»

(٤) قامت دولة «الكيان الصهيوني» على أساس الدين، فأي يهودي في العالم هو «إسرائيلي»، وعليه فلا يقبل ذوبانه في وطنية أو قومية أخرى، سواء كانت أمريكية أو أوروبية أو غير ذلك، ومن أراد منهم أن ينتقل إلى فلسطين المحتلة فمرحباً به، رغم أن «دولة الكيان الصهيوني» محدودة المساحة، فقيرة في إمكاناتها الذاتية، فهي تعيش على الهبات، إلا أنها تعتبر نفسها مسؤولة عن جميع اليهود في العالم، أما البلاد الإسلامية وخاصة العربية منها، فلا يمكن التنقل فيها إلا بالحصول على تصريح دخول، فأصبحت الجنسيات هي الأسوار التي تفصل بين الناس، والتي تحدد لهم أماكن الحياة، وتصنف فئات الناس بحسب جنسيتهم ونوع الحكومة التي تحكم في بلادهم، وهناك فواصل بين البلاد الغنية والبلاد الفقيرة. الخ، وكم سببت هذه العصبيات من مصائب ونكبات في طول البلاد وعرضها والتي كان آخرها حرب الخليج وما وقع في العراق بعد حرب الخليج بين النظام والأكراد من ناحية، وبين النظام وطائفة الشيعة من ناحية أخرى. . الخ.

(٥) كشفت عملية سليمان، في نقل يهود «الفلاشا» من أثيوبيا عن كفاءة

«الكيان الصهيوني» رغم قلة الامكانات، وعجز كثير من البلاد الإسلامية والعربية العريقة مثل باكستان ومصر وغيرهما، فلم تتمكن هذه البلاد من نقل رعاياها الذين خرجوا من الكويت والعراق أثناء أزمة الخليج خلال الوقت الملائم في الوقت الذي نقل فيه «الكيان الصهيوني» هذه الآلاف خلال ساعات!!

٣ ـ التطورات الدولية وما نتج عنها:

حدثت في السنوات الأخيرة تطورات سريعة وكبيرة على مستوى العالم انتهت بالوفاق الدولي، وبرزت من خلالها كيانات سياسية جديدة، وكيانات اقتصادية متطورة، كما وقع خلل فيما يعرف بعلاقات التوازن الدولي، بسبب انحسار دور الاتحاد السوفييت سابقاً على الساحة الدولية ـ والذي يرجع إلى المشكلات الاقتصادية والنزاعات الدينية والقومية داخلياً، وفشل المبدأ الشيوعي عالمياً ـ، فانفردت الولايات المتحدة الأمريكية ـ كما هو ظاهر واقعياً ـ بوصفها قادرة على تقديم مساعدات اقتصادية للأنظمة التي تقبل بشروطها، فضلاً عن تمثيلها لدور الحارس على تطبيق ما سمي بـ «حقوق الإنسان»، وربما يستمر هذا الوضع لفترة من الزمن، حتى تظهر فعالية الكيانات السياسية والاقتصادية، التي تنمو على الساحة الدولية متمثلة في اليابان وأوروبا الموحده، وألمانيا الكبرى..

أ ـ ولا شك أن هذه التطورات تركت آثارها على القضية الفلسطينية بحيث يمكن الإشارة إلى بعض هذه الآثار فيما يلي:

(١) ـ باختفاء الأنظمة الشيوعية من دول شرق أوروبا، اختفت أنظمة كانت تظهر عدم الولاء المباشر لليهود، وتقف إلى جانب القضية الفلسطينية ظاهرياً، وقامت أنظمة جديدة أعادت العلاقات «الدبلوماسية» مع «الكيان الصهيوني»، وتقاربت مع اليهود والأنظمة الغربية الرأسمالية، عن طريق رفع شعار الحرية والديمقراطية والمناداة بـ «حقوق الإنسان»، وظهور الوفاق الدولي القابل للاستمرار والتطور. وهذه الأنظمة بطبيعتها الجديدة تقف وراء مصالح «الكيان الصهيوني» ولا يمكنها تبني القضية الفلسطينية إلا في حدود ضيقة جداً.

(٢) ـ تحقيقاً لما يعرف بـ «حقوق الإنسان» وخوفاً من ظهور حركات معاداة «السامية» في الاتحاد السوفييتي سابقاً تم فتح الباب أمام الهجرة لليهود الروس إلى الأرض المحتلة، وتحت ضغط من الدول العربية الصديقة أوقفت «وقتياً» الرحلات المباشرة بين موسكو وتل أبيب، ولكنه لم يسلم الأمر من ضغط الولايات المتحدة لإعادة هذه الرحلات، وطالب «الكيان الصهيوني» بضرورة تنفيذ الاتفاقات، التي تقضي بنقل اليهود مباشرة من موسكو إلى تل أبيب؛ وتم ذلك فعلاً وجاري توطين مئات من المهاجرين فعلاً في مستعمرة قرب نابلس.. وما زالت أمريكا تمارس ضغوطها لتكثيف الرحلات.

٣ ـ بعد كل من المجر وتشيكوسلوفاكيا، أعادت بولندا وباقي بلاد شرق أوروبا العلاقات مع «الكيان الصهيوني»، والتي كانت قد قطعت بعد حرب ١٩٦٧م، وذلك في إطار التحول الجاري في السياسات الداخلية والخارجية في شرق أوروبا، وينظر «الكيان الصهيوني» لبلاد شرق أوروبا على أنها أسواق خام للبضائع الصهيونية، في الوقت الذي أصبحت فيه المنافسة من قبل أعضاء السوق الأوروبية المشتركة لبضائع «الكيان الصهيوني» داخل السوق المشتركة ـ قوية، ولقد بدأت الاستفادة من إعادة العلاقات مباشرة، وذلك عن طريق استخدام بعض بلاد الشرقية كمحطات انتقال لليهود الذين يغادرون البلاد التي كانت تشكل «الاتحاد السوفييتي» في طريقهم إلى الأرض المحتلة في فلسطين، وهكذا بعد «بوخارست» وافقت بولندا على اعتبار «وارسو» محطة ثانية لانتقال المهاجرين اليهود، بعد تسيير خط طيران مباشر بين «وارسو» و«تل أبيب».

الهجرة تحد فماذا صنعناه؟

إن هجرة اليهود الروس إلى الأرض المحتلة في فلسطين في هذه الأيام، وفي هذه الظروف العالمية، تعتبر من أكبر التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية عامة، والعرب منهم خاصة، فالهجرة بالنسبة «للكيان الصهيوني» إنعاش للاقتصاد،

وإمداد بالعمال والفلاحين فضلاً عن الجهود، وذلك خطر يهدد الحاضر والمستقبل على حد سواء، ولقد بدأت التهديدات المباشرة للأردن، كما صرح «شامير» «للتلفزيون الألماني» في شهر ٣/ ١٩٩٠ قائلاً: سترون أن «السلامة وفق شروطنا سيأتي، وعلى صر أن تقنع الآخرين بضرورة التفاوض مع «إسرائيل» لعدد من الأسباب، أهمها: حتى لا تبقى مصر وحدها هي التي وقعت «اتفاقية سلام» مع «إسرائيل»؛ وهذا ما وقع بالفعل في «مؤتمر الإقليمي للسلام»!.

وفي مواجهة هذه الأحداث المتطورة، ماذا نجد عند العرب والمسلمين؟ لا نجد إلا الاستجداء والطلب والرجاء، وفي أفضل الحالات عناوين في الصحف بالخط العريض «إسرائيل على مرمى حجر من المقاتلات الليبية»[٣]، (أمريكا تؤيد الأرض بالسلام لحل النزاع العربي «الإسرائيلي»، «**خطة إعلامية لمواجهة خطر هجرة اليهود السوفييت**»)[٤]..

اليهود الذين يهاجرون وتجمع لهم التبرعات من يهود العالم وتبنى لهم المستوطنات، ونحن نواجه كل ذلك بحملة إعلامية.. أليس هذا مضحكاً، «وشر البلية ما يضحك» كما يقولون؟..

أيها العرب والمسلمون إننا على أبواب مرحلة حاسمة ودقيقة من تاريخنا، وعلينا أن نواجه السؤال بصراحة وعزم: هل نعطي الدنية من نفوسنا ونقول: إن بلادنا متخلفة فقيرة، تنتمي إلى بلاد الجنوب، ولا نملك إلا استرضاء الدائنين، ونقنع بالتبعية والعيش عل هامش الدنيا؟! أم أننا نشعر بأننا أصحاب عقيدة ولنا ارتباطنا برب العالمين ونحن عازمون على التخلص من حياة الذل والبؤس والتخلف والتبعية التي نعيش، وعندنا طموح للحاق بركب دول الشمال، والتعامل معها معاملة الأقوياء أصحاب الحق فنأخذ بالأسباب، وننحرك من عقيدة راسخة نستمدها من قول الله تعالى: ﴿**بل نقذفُ بالحق على الباطل فيدمغُه فإذا هو زاهقٌ ولكم الويل مما تصفون**﴾ (الأنبياء: ١٨).

ب ـ كما أن عمليات تهجير اليهود من أثيوبيا ومن اليمن[٥] ومن الاتحاد

السوفييتي ـ سابقاً ـ تكشف عدداً من الحقائق:

(١) ـ يرغب اليهود السوفييت في الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ولما علمت حكومة «بوش» بذلك صدر قانون في شهر أكتوبر سنة ١٩٨٩م يمنع هجرة اليهود السوفييت إلى الولايات المتحدة الأمريكية إلا بأعداد محدودة وبشروط معينة. وهذا يظهر لنا مدى حرص الولايات المتحدة الأمريكية على المطالبة بحقوق اليهود والسماح لهم بالهجرة من «الاتحاد السوفييتي»، وباسم «حقوق الإنسان»، ومدى استعدادها لقبول من يرغب منهم في الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية عندما سمحت «البريسترويكا والكجلاسنوست» بتحقيق ما طالبت به أمريكا، كما يكشف لنا عن مدى التناقض العجيب في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، والتي تمثل الصديق لليهود والعرب على حد سواء!!!

(٢) ـ التغيرات التي حدثت في الكتلة الشرقية والاتحاد السوفييت، كان من نتائجها البعد عن البلاد العربية والإسلامية والتقارب مع أوروبا الرأسمالية و«إسرائيل»، وكذلك انخفاض أو توقف المساعدات الاقتصادية والحربية التي كانت تقدم من «الاتحاد السوفييت» لبعض البلاد العربية، وبعبارة مختصرة يمكن القول أنه قد حدث خلل كبير في التوازن العسكري والسوقي «الاستراتيجي» في المنطقة.

ومما يستلفت النظر في قضية الهجرة الأخيرة، أن «الاتحاد السوفييتي» هو الذي قدم الطلب بدعوة مجلس الأمن لمناقشة قضية هجرة اليهود السوفييت إلى الأرض المحتلة في فلسطين وآثار ذلك على مسيرة السلام في المنطقة!!!

(٣) ـ عدد اليهود في «الاتحاد السوفييتي» سابقاً قرابة المليونين، تقدم منهم في الوقت الحالي للحصول على إذن بالخروج «تأشيرة الخروج» نصف مليون، ومن المقدر أن يخرج منهم ٧٥٠,٠٠٠ يهودي، وهؤلاء لا يسمح لهم بالذهاب إلى أمريكا كما لا يسمح لهم بالهجرة إلى أوروبا الرأسمالية، فليس أمامهم إلا الذهاب إلى الأرض المحتلة في فلسطين، وهذه الأعداد الضخمة لا يمكن للأرض المحتلة

سنة ١٩٦٧م أن تستوعبها، وهذا الذي جعل «شامير» يتحدث أثناء استقباله للفوج الأول في مطار «تل أبيب» عن «إسرائيل الكبرى» وعن جدوى وأهمية المستعمرات التي تم بناؤها من قبل لاستقبال هذه الأعداد، فضلاً عن ضرورة بناء مستعمرات جديدة في الضفة الغربية وقطاع غزة لاستقبال المهاجرين الجدد!!!

(٤) ـ لقد استطاع قادة الحركة الصهيونية أن يجعلوا دراسة الصهيونية شيئاً يدخل في نطاق الحروب الدينية، كما قال روجيه جارودي: «لقد استطاعوا ذلك بطرق ملتوية ويتحريف للمعاني وباستبدال كلمات بأخرى، وخير شاهد على هذا ما قاله بيجن: «لا يمكننا أن نضع حداً فاصلاً بين: العداء لإسرائيل والصهيونية.. وبين اللاسامية». وقد تلقف زعماء المنظمة الصهيونية العالمية هذا الشعار وراحوا يرددونه في كل مكان»[٦] وفي المجلس القومي للرابطة الدولية المناهضة للعنصرية واللاسامية، كرر السيد أندريه مونتيل شعار بيجن بعبارات أخرى، فقال: «معاداة الصهيونية هي صورة أخرى من اللاسامية» وقال أيضاً: «لقد اتخذت اللاسامية في أيامنا شكلاً آخر، واختارت لفظاً أدعى للاحترام هو: اللاصهيونية مع أنهما في الواقع شيء واحد»[٧]

ولقد تحول هذا الشعار عند اليهود إلى حقيقة يرددونها في كل مكان، عندما سئل المهاجرون «السوفييت» من اليهود، عن سبب خروجهم من «الاتحاد السوفييتي» والحرص على ذلك، كانت الإجابات ظهور اللاسامية Antisemitismus من جديد في «الاتحاد السوفييتي»، ويشيرون إلى الدور الكبير الذي تقوم به «حركة تاميت» Tamjet - Bewegung، وما تضمره من عداء لليهود، وخاصة ما يعلنه قائد هذه الحركة دمتري واسيليف Dimitri Wassiliev، من ضرورة تحذير العالم من خطر اليهود الذين يسعون إلى السيطرة على العالم.

ومن العجب العجاب أن ينتشر ذلك الهراء في وسائل الإعلام العالمية ويجد له من يصدقه، وأما ما يفعله اليهود في الأرض المحتلة في الفلسطينيين وبخاصة في السنوات الأخيرة، فهو ليس من العنصرية في شيء، وليس من اللاسامية في

شيء!!!

(٥) ـ وماذا نجد في مقابل ذلك في البلاد العربية؟ إننا نجد البلاد العربية والإسلامية عاجزة، فقد كشف هذا الموقف عن هوانها وضعفها إلى أقصى حد، فهي عديمة القوة، عديمة الفاعلية، وليس لها أي قدرة على مواجهة هذا الموقف، وليس لها وزن عند القوى الكبرى في العالم بميزان المصالح، كما أنها ضعيفة الوزن كذلك عند البلاد الأوروبية، وليس لها قوة يخشاها اليهود في الأرض المحتلة أو خارجها، ولم يعودوا يملكون إلا الاحتجاجات والنداءات بالاستغاثة، بالرغم من أن بأسهم بينهم شديد، وبأس الحكومات على شعوبها شديد.

ثانياً: سياسات تشتيت الفلسطينيين:

تغيير المعادلة السكانية في أرض فلسطين يستلزم العمل على محورين:

١ ـ محور تهجير اليهود إلى فلسطين، وتكثيف عملية التهجير، وهذا المبدأ تحدثنا عنه من قبل، ولكن من المفيد هنا الإشارة إلى عملية التكثيف هذه، والتي عبر عنها «شموئيل شينتسر» في تصريح لـ «معاريف» بتاريخ ١٩٩١/٥/٢٨ قال فيه وهو يعقب على «عملية تهجير يهود الفلاشا»: «وقبل ثلاث أو أربع سنوات كان حجم الهجرة أقل مما تم في العملية الأخيرة، فقد كان يصل إلى «إسرائيل» عشرة آلاف قادم على مدار عام كامل، وكان حلماً أن يصل في يوم واحد ١٤ ألف قادم.

أما الآن فنحن نكتشف أن الصهيونية قائمة وأن «لإسرائيل» مهمات، وأن هناك ما يجمعنا رغم كل الخلافات، وعلينا أن نحافظ على هذا الاكتشاف، وأن لا ندعه يعود إلى السبات».

«إن فيضان المشاعر الذي ملأ القلوب عندما عرفنا حجم العملية الجريئة لانقاذ يهود أثيوبيا والتضامن والفخر والرضا، كلها تستحق اسماً معروفاً وهو: «صهيونية». ويستمر قائلاً: «وها هي تبعث من جديد وتجرفنا بالمشاعر. وفجأة تعود إلينا المعاني القديمة التي عرفناها ولكنا اعتقدنا أنها انتهت. لقد عرفنا أن دولة «إسرائيل» هي التعبير الأسمى للمسؤولية اليهودية العالمية ولوحدة المصير في ساعة الضيق، وأنها

المكان الوحيد في العالم القاسي الذي يعطي لليهودي أفضلية» .

وتحت عنـوان «إسرائيل تعد لاستقبال مليون مهاجر قبل نهاية العام الحالي ـ ميزانية استيعـاب المهـاجـرين تفـوق ميزانية الدفاع» نشر الأهرام الدولي بتاريخ ٢٠/٣/١٩٩١ خبراً نقله عن وكالات الأنباء جاء فيه: «أكد المسؤولون في الوكالة اليهودية آن «إسرائيل» تتطلع إلى استقبال مليون مهاجر يهودي جديد قبل نهاية عام ١٩٩١م!!.

وذكر متحدث باسم الوكالة اليهودية أن تدفق المهاجرين الجدد كان قد تراجع في شهري يناير وفبراير الماضيين، إلا أنه بدأ يعود تدريجياً إلى معدله الذي كان عليه قبل حرب الخليج، وأنه من المنتظر أن يصل معدل تدفق المهاجرين إلى ألف مهاجر يومياً..

وأشار المتحدث أنه لأول مرة في «إسرائيل» ستكون ميزانية استيعاب المهاجرين الجدد أعلى من ميزانية الحرب، وستمثل حوالي ٢٠٪ من مجموع الميزانية في العام القادم..

٢ ـ محور طرد الفلسطينيين من أراضيهم على يد الصهاينة، أو القضاء على أعـداد كبيـرة منهم خلال الحروب والمذابح، فقد ذهب الحاخامات كما يقول جارودي: «إلى حد اعتبار المذابح مشروعة دينياً من أجل متطلبات القضية، فتدمير مدينتي صور وصيدا، ودك بيروت بالقنـابل، ومجازر صبرا وشاتيلا لم تكن فقط امتـداداً لمـذابـح دير ياسين التي ارتكبتهـا عصـابات السيد بيجن عام ١٩٤٨م (المعـروفة باسم «إرجون») ومذابح قبية وكفر قاسم، والمذابح التي قام بها قتلة «الـوحدة ١٠١» بقيادة شارون، وإنما كانت باسم الرسالة التواراتية «لإسرائيل»، وحكومة «إسرائيل» الحالية تكرر نفس العمل «المقدس» الذي قامت به «إسرائيل» القـديمة من إبادة للكنعانيين، وهي تتصرف اليوم مع العرب كما فعل الأسلاف بالأمس مع الكنعانيين، ومع من سبقهم ممن احتلوا هذه الأرض. (إن مدن هذه الشعوب، المورثة إليك من مولاك الرب، هي الوحيدة التي لن تدع مخلوقاً حياً

يعيش فيها . . بل ستجعلها محظورة على الحيثيين والعموريين والفريزيين، كما أمرك الرب مولاك). أو كما جاء في الآية (لا تترك له شيئاً، اقتل الكل، الرجال والنساء والأطفال والرضع، والأبقار والخراف والجمال والحمير)»[٨].

تستخدم الحركة الصهيونية هذا النص التوراتي ـ بزعمها ـ لتسوغ أعمال القتل والتشريد، فلا غرابة أن نعرف أن الحركات الإرهابية الصهيونية قد قضت على أعداد كبيرة من الفلسطينيين خلال الحروب والمذابح ومن ذلك على سبيل المثال:

أ ـ طرد ٤/٣ مليون فلسطيني من بيوتهم وارغامهم على الخروج من البلاد سنة ١٩٤٨، وإخراج ربع مليون آخرين بعد حرب سنة ١٩٦٧م، واستمرت عمليات الطرد والاخراج من الأراضي المحتلة بمعدل ٢٢,١ ألف فلسطيني كل سنة خلال الفترة من ١٩٦٧م حتى سنة ١٩٨٦م، ومن المفارقات العجيبة أن يصدر «مجلس الأمن الدولي» قراراً يشجب فيه طرد «الكيان الصهيوني» للفلسطينيين من أرضهم، في نفس الوقت الذي تعلن فيه حكومة «الكيان الصهيوني» عن إتمام «عملية سليمان» بنقل يهود «الفلاشا» إلى فلسطين المحتلة!!

ب ـ وقد قامت المنظمات الإرهابية بدور بارز في تنفيذ المخطط الصهيوني، وخاصة إرهاب العرب، فقد قامت بمذابح وحشية لإثارة الرعب في قلوب الفلسطينيين، بقصد إجبارهم على الفرار وترك ديارهم للعدو المغتصب!!!

وعلى سبيل المثال: في ١٩٤٨/٤/٩ تم ذبح أكثر من ٢٥٠ فلسطيني في قرية دير ياسين بطريقة بالغة الوحشية والهمجية. . وبعد هذه المذبحة بثلاثة أيام نفذت مذبحة قرية ناصر الدين، حيث تم قتل جميع من في القرية من الرجال والنساء والأطفال، باستثناء ٤٠ مواطناً، تركوهم لينقلوا ما حدث إلى القرى الأخرى، بهدف إرهاب المواطنين وإجبارهم على الهرب. . وفي الشهر الخامس من سنة ١٩٤٨م جمع الصهاينة جميع سكان قرية الزيتونة في المسجد وتم نسفه بمن فيه!!!

وقد ذكر مناحم بيجين في كتابه «التمرد» قصة «الأرجون» قائلاً: (إنه لولا انتصار دير ياسين لما أمكن لدولة «إسرائيل» أن توجد) ويقول في موضع آخر من نفس

الكتـاب: «كـانت الهاجاناه تقوم بهجمات مظفرة على جبهات أخرى.. وانتاب العرب الفزع فأخذوا يصيحون: دير ياسين.. دير ياسين.. !!!»

جـ ـ نشـرت وسائل الإعلام المقربة من اليهود دراسات وثائقية تعري العنف الصهيوني ضد الأطفال الفلسطينيين، نثبت منها هنا ما جاء في المقال الذي نشرته مجلة «الشبيجـل» Der Spiegel الألمـانية في عددها الأسبوعي رقم ٢٦ بتاريخ ٢٥/٦/١٩٩٠م، وعنوانه الرئيسي هو: «إطلاق النار وفق التعليمات» وسبب اختيار المقال أهمية المعلومات الواردة فيه..

كانت مؤسسة غوث الأطفال الأمريكية قد كلفت الخبيرة الاجتماعية «آن اليزابث نيكسون Anne Elizabeth Nixon » بوضع الأسس لسلسلة من مشاريع المساعدات العلمية، إلا أنها عندما اطلعت على جرائم اليهود الفظيعة ضد أطفال الانتفاضة الفلسطينية المباركة، قررت وضع دراسة مفصلة مستندة إلى الوثائق تكشف العنف «الاسـرائيلي» ضد الأطفال، ولاتمام هذا البحث فقد تكفلت «مؤسسة فورد في نيويورك New Yorker Ford Foundation » بتحمل النفقات، كما قررت «جمعية غوث الأطفال السويدية رايدابارنين Das Schwedische Kinderhilfswerk Redda Barnen تحمل تكاليف نشر هذا البحث الذي احتوى ١٠٠٠ صفحة، كما ساهم في إعداد الدراسة أكثر من «٢٠» مساعدا انجليزياً وأمريكيا وفلسطينيا، إلى جانب الأطباء والممرضات، وكان من بينهم موظفون في وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينين أونروا U N R W A .

ونسب الخبـر المنشور إلى الأمين العام للجمعية الانسانية السويدية «توماس هماربرج Thomas Hammarberg »الذي تولى رئاسة منظمة العفو الدولية من سنة ١٩٨٠م إلى سنـة ١٩٨٦م قولـه: «إننـا سنكـون شركـاء في الذنب إذا صمتنا، فالانتهـاكـات التي تتضمنهـا الـدراسة لا يمكن التغاضي عنها، واعتبارها بضعة حوادث ارتكبها جنود متعسفون، بل إنها ارتكبت عمداً وبصورة مكثفة وهي تجسد سياسة الحكومة «الاسرائيلية».

كما أثبتت الدراسة زيف وسائل «وزارة العدل» التي أرسلت إلى جميع السفارات في العالم بأن العناصر المتطرفة الإسلامية يجندون الأطفال من مختلف الأعمار للمشاركة في عمليات العنف كإنشاء التحصينات من الحجارة والاطارات المحترقة وإلقاء الحجارة وغيرها «من الأشياء الخطيرة» على الجنود والمدنيين اليهود.

وبرهنت الدارسة على أنه لم يكن بوسع سلطات القضاء أو التحقيق التي تدعي النظر في وفاة أي طفل، لم يكن بوسعها أن تقدم البينة على صحة ادعاءاتها بتاتاً، كما بينت أن وفاة الأطفال ترجع إلى الضرب العشوائي أو إلقاء القنابل المسيلة للدموع، أو إصابتهم برصاص الجنود اليهود داخل البيوت أو في المدارس، أو أثناء الذهاب إلى السوق لشراء المواد الغذائية..

أما أسباب قيام الجنود بارتكاب هذه الجرائم المروعة فكانت غالباً بسيطة، منها: «رفع الأصبعين بعلامة النصر أو إنشاد أغنية وطنية، أو شتم العساكر، أو حمل العلم الفلسطيني داخل حقيبة الكتب المدرسية».

وقد كشفت دراسة السيدة «نيكسون» النقاب عن تعرض الأطفال والشباب الفلسطينيين لوحشية لم تعرف حتى الآن، «فقد أدت الممارسات الصهيونية ضد الفلسطينيين إلى موت ١٥٩ طفلاً تحت سن ١٦ سنة خلال السنتين الأوليتين من الانتفاضة، اختنق ربعهم بالغاز ومعظمهم رُضَّع في الفراش، وذلك نتيجة للقنابل المسيلة للدموع التي أطلقها الجنود اليهود داخل البيوت أو أمامها. كما توفي آخرون متأثرين بجروح أصيبوا بها من المتفجرات أو من الهراوات الخشبية أو المطاطية المغطاة بالمسامير أو قطع أمواس الحلاقة»، وأضاف كاتب المقال الألماني: «إن الحقائق في تقرير السيدة «نيكسون» تؤكد انحطاط سياسة الاحتلال اليهودي وتدنيها..»

وبينت الدارسة عن طريق متابعة الحقائق في الملفات والمكاتب أن نتائج التحريات برهنت على أن البيانات الرسمية التي تكررها «حكومة الكيان الصهيوني» و «جيشها» لا أساس لها من الصحة بل كاذبة.

والحقيقة أن مجرد: «خرق نظام منع التجول أو المشاركة في مظاهرة سواء كانت مقرونة بإلقاء الحجارة أم لا، ذلك فقط كاف لقتل الطفل، وقد أثبتت الدراسة حالات من هذا النوع مدعومة بالأسماء والصور».

وقد بلغ عدد الأطفال الذين قتلوا رميا بالرصاص في السنتين الأوليين من الانتفاضة ـ كما تثبت الدراسة ـ هو ١٠٦، وظهر من التحقيقات في ٦٦ حالة قتل أن ٣٣٪ من الأطفال الضحايا لم يكونوا قرب أي عملية احتجاج، وقتل ٤٠٪ منهم عندما حاولوا مساعدة متظاهرين جرحى، أو ممن هربوا أمام الجنود، أو مروا قرب مظاهرة أو خرجوا منها، أو شاركوا في مسيرة سلمية أو حاولوا منع اعتقال أحد الجيران.

ولم يكن القتلى سوى جزء بسيط من ضحايا الانتفاضة من الأطفال والناشئة والرضع، إذ بلغ عدد الذين احتاجوا للعلاج خلال العامين الأولين من الانتفاضة حوالي ٦٠ ألف طفل، منهم حوالي ٨ آلاف مصابون بجروح من جراء إطلاق الرصاص وقرابة ١٢ ألف مصاب بالغازات المسيلة للدموع.

وأظهرت الدراسة أن حالتين فقط من أصل ٩٣ حالة وافق فيهما «الجيش» على طلب العلاج الطبي، ومما يشيب له الرأس أن الجيش منع وصول الأطباء أو أعاقهم في ٤٠٪ من حالات وفيات الأطفال المصابين والجرحى، كما أن ٨٠٪ من حالات قتل الأطفال كانت بالرصاص..

وقد أيدت دراسة السيدة «نيكسون» ما سبق أن توصلت إليه منظمة «أطباء حقوق الانسان» والتي ضمت عدداً من الأطباء وعلماء النفس الأمريكان من جامعتي «سيتي أوف نيويورك وهارفارد»، إذ وصفوا ممارسات جنود الاحتلال والشرطة وما يفعلونه بالأطفال بأنه «**عنف طائش**».

ونسبت «دير شبيجل» إلى أحد الأطباء قوله: «**لو كانت هذه حرب لوجب الحكم على الكثير مما شاهدناه بأنه جرائم حرب**». و«مما يزيد الطين بلة» كما يقال، إن الدراسة التي قامت بها السيدة «نيكسون» كشفت أنه لا يعاقب عادة أي من الجناة.

كمـا استشهـدت «دير شبيجل» بتصريح أدلى به أحد الجنود اليهود لصحيفة «هارتس» عبر فيه عن استيائه بقوله: «إن الوحيدين الذين يعاقبون هم أولئك الذين تشاهد صورهم صدفة في التقارير المصورة عن طريق الارسال «التليفزيوني».

أما ساسة اليهود فإنهم ينكرون مثل هذه الأعمال وتساعدهم الولايات المتحدة الأمـريكية على ذلـك، وليس أدل على هذا من استخـدام الـولايات المتحـدة الأمريكية ـ الحريصة على حقوق الانسان والحامية لتطبيقها في العالم ـ «الفيتو أي حق النقض» ضد قرار لـ «مجلس الأمن الدولي» بإرسال لجنة مكونة من ثلاثة أفراد لترى مايقع في الأرض المحتلة وتقدم تقريرها بذلك لـ «مجلس الأمن»!!!، أما رئيس «الكيان الصهيوني» حاييم هيرتسوج فقد رفض الاطلاع على تقرير السيدة «نيكسـون» أثناء زيارته لـ «استوكهولم» في شهر مايو سنة ١٩٩٠م واشتكى أثناء وجوده مع اليهود في المعبد، من تحيز الكتاب ضد اليهود!!!

ولقد أشارت مجلة «دير شبيجل» إلى أن بعض الجنود اليهود يخجلون من هذا الواقع، وقد رفضت الصحف اليهودية الواسعة الانتشار نشر أقوال هؤلاء الجنود، وكانت الحجة في ذلك هي: «أن القراء قد ملوا قصص الرعب».. بينما سمحت صحيفة «عل همشمار» اليسارية بنشر أقوال أحد الجنود وهو يصف كيف انهال أفراد دورية في نهاية شهر مارس «آذار» سنة ١٩٨٨م في إحدى القرى على صبي عمره عشر سنوات بالضرب المبرح بهراواتهم وعصيهم كي يعترف بأسماء مجموعة من الشبـان رشقوا اليهود بالحجارة وهربوا؟، كما اعتدى الجنود بالضرب على والدة الصبي التي حاولت تخليصه من أيديهم ولم يتركوه إلا جثة هامدة، وعندما شرح أهل القرية للدورية أن الطفل معوق وأصم قال الضابط للجنود: هيا انطلقوا وأكملوا فليس لدينا وقت للعب.. !!!

إن مثل هذه الأخبار التي تقدَّم للعالم «الحر» في بحث التزم العلمية والموضوعية والمنهجية، وإن الصور التي نقلتها محطات الارسال «التليفزيوني» في جميع بلاد العـالم وغير ذلـك لم تحـرك في الولايات المتحدة الأمريكية التي تحرك قطعها

البحرية وطائراتها الحربية عبر القارات بحجة حماية «حقوق الانسان» لم تحرك فيها إلا استخدام حق «الفيتو» المشار إليه بدل أن تطالب بعقاب المعتدي!!!

لقد مر بخاطري وأنا أقرأ هذا المقال في المجلة الألمانية أن هذه المقالات تكتب لمن لا يقرأ، ثم تذكرت أنه لو قرأ أهل الغرب عن يهودي منع من السفر إلى الأرض المحتلة لقامت قيامتهم يطالبون بالسماح له بالسفر ولاستخدام كل وسائل الضغط حتى يتحقق له ما أراد. نعم إنها مواقف تجعل الحليم حيرانا.. ولا يملك الانسان إزاء ذلك إلا أن يقول: إن العالم الذي نعيش فيه لا يعترف بالحق إلا لمن يملك القوة ولا بد لنا معشر المسلمين من الأخذ بالأسباب وإعداد العدة مع الصبر والاستعانة بالله تعالى ونحن على يقين بأن العاقبة للمتقين..

د ـ كتبت اليهودية المحامية «فيليتسيا لانغر» كتاباً عن جرائم اليهود ضد الانتفاضة، ترجم إلى العربية بعنوان «أبطال الحجارة»، قدمت فيه تجلية لمؤامرة متعددة الأطراف، تحكمها عناصر التاريخ والجغرافيا والصراع الاجتماعي.. أنقل منه فقرة واحدة لدلالتها حيث تقول: «ليس للفلسطينيين إلا أن يقولوا ما قاله من قبل زعيم هندي أحمر طرده الأمريكان من أرضه فقال: «لقد أغدقوا علينا الوعود في كثير من الأحيان أكثر مما أستطيع أن أتذكر، لكن لم يفوا بها أبداً، إلا وعداً واحداً، وعدوا بأن يأخذوا أرضنا وأخذوها»[٩]

٣ ـ تعاضدت جهود الصهاينة ـ بمساعدة أمريكا والغرب ـ مع جهود بعض الأنظمة العربية في تشتيت الفلسطينيين وضرب العمل الفدائي، ومن ذلك على سبيل المثال:

أ ـ أعمال العنف ضد الفلسطينيين لم تقتصر على الصهيونيين واليهود فقط، وإنما مورست أعمال عنف ضد الفلسطينيين ـ لأسباب متعددة ليس هنا مجال ذكرها ـ من قبل أنظمة أو منظمات فلسطينية، فقد حرصت سوريا مثلاً على أن يكون الفلسطينيون في لبنان تحت إشرافها وفي قبضتها، وفي خريف سنة ١٩٨٣ أوعز النظام السوري للمنشقين عن منظمة التحرير «أبو موسى وأحمد جبريل» لضرب

قوات منظمة التحرير الموالية لياسر عرفات في طرابلس وطردها، وفي صيف سنة ١٩٨٥ تمت المرحلة النهائية لتصفية الوجود الفلسطيني في لبنان على يد منظمه أمل بالاشتراك مع اللواء السادس الشيعي واللواء الثامن المسيحي فيما عرف بحرب المخيمات وكان عدد القوات الفلسطينية التي تم إجلاؤها عن بيروت وحدها نحو «١٣» ألف رجل تم توزيعهم على عدد من الدول العربية كالجزائر واليمن والعراق والسودان والأردن، كما تعرضت المخيمات للقصف العربي في تل الزعتر وحرب المخيمات في بيروت، ومذابح صبرا وشاتيلا..

ب ـ الفلسطينيون وموجة الهروب الثالثة:

جاء هذا العنوان في فهرس العدد ٢٤ من مجلة «دير شبيجل» "Der Spiegel" **بتاريخ ٨/ ٦/ ١٩٩٢م، وأما العنوان في داخل المجلة ص ١٦٨ فهو «الفلسطينيون: السير على الرمال، أخرجت الكويت آخر الفلسطينيين؛ والأردن تعاني من عبء اللاجئين» وقد احتوى المقال على فظائع ما كنت أظن أن تنشر في صحيفة ألمانية ـ حيث عُرفت ألمانيا منذ قيام «الكيان الصهيوني» بتعاطفها مع المغتصبين الصهاينة، وقيامها بمساعدة دولة «الكيان الصهيوني» بكل ما يعمل على تمكينها وتثبيت وجودها..**

والذي يقرأ المقال يخرج بانطباع أن ترحيل الفلسطينيين بهذه الأعداد الضخمة إلى الأردن، إنما يتم وفق خطة مرسومة بحيث يتم الضغط على الأردن من ناحية، وقطع الأمل مستقبلاً في قيام دولة فلسطينية من ناحية أخرى؛ والذي أثارني ودفعني لترجمة الموضوع ليس المعلومات الوارادة في المقال على فظاعتها فقط، وإنما تلك الصور التي عرضت في المجلة، فمنها صورة لأحد الجنود الكويتيين وهو يدوس بقدميه على بطن شاب فلسطيني، ومكتوب عليها بالعربية قول الأخير للكويتي: «خاف الله» ويجيبه الجندي الكويتي: «الله خارج الكويت»، وأما الصورة الأخرى ففيها جندي كويتي يطلق النيران على شاب فلسطيني وهو يقول له: «فعل البندقية أبلغ من كل كلام»!!!

أما ترجمة المقال فقد بدأ بالقول على لسان أحد الفلسطينيين: «نحن علمنا هؤلاء الأميين القراءة والكتابة، والآن يخرجوننا كالحشرات الضارة»، وهذا الكلام منسوب للسيد محمد العبيدي الذي عمل حتى العام الماضي كإخصائي اجتماعي في وزارة التخطيط الكويتية. وهو أحد المرحلين ترحيلاً مفاجئاً، ولكنه يعلق على ما وقع مستغرباً بقوله: «ولم يتحرك أحد التلاميذ الذين تعلموا على يدي لمساعدتي، ولا حتى وجد من يظهر أنه يعرفني».!!! وعلى الحدود قام الكويتيون بإهانة هذا الفلسطيني، وأخذوا منه كل المستندات والأوراق التي كانت معه وتثبت إقامته لمدة ٢٣ سنة في الكويت، لتنتهي بذلك حياة استمرت ٢٣ سنة في الإمارة. وصادروا كل ما كان معه من متاع، وأهانوا أسرته، حتى القميص الذي كان يلبسه ولده نزعوه منه لأنه مكتوب عليه عبارة «مكتشف طريق الكويت».

لقد قطعوا كل الأوراق والمستندات قطعاً صغيرة داسوا عليها في الرمل. والعبيدي الذي يبلغ من العمر ٤١ سنة ينظر متحسراً على هذا الفعل، حتى رخصة قيادة السيارة مزقوها!!

وما حدث للعبيدي وأسرته حدث لمئات الآلاف من أقرانه الفلسطينيين، حيث أجبروا جميعاً على الخروج جماعياً من الكويت، **ومن بين هؤلاء من يواجه الترحيل للمرة الثالثة في حياته، مرتان على أيدي «الإسرائيليين» في سنتي ١٩٤٧ و١٩٦٧ من أرضهم فلسطين فارين إلى بلد آمن يرتاحون فيه من هول التعذيب والقتل، والثالثة على أيدي الكويتيين من الكويت - احدى البلاد التي سبق لها وأن آوتهم وقبلتهم لاجئين -**؛ وكان عدد الفلسطينيين في بلدان الخليج يقارب نصف مليون نسمة قبل بدء أزمة الخليج، وغالبيتهم من المؤهلين لإدارة مختلف المرافق الحيوية في هذه البلدان، وحولوا الصحراء إلى عمران، وعملوا إداريين وأساتذة حتى خرجوا جيلاً كاملاً، قاموا ببناء المنازل والمصانع، ومؤسسات المياه، وخبزوا لهم الخبز للطعام، قال ذلك أبو أيمن المدرس البالغ من العمر ٤٩ سنة، ويتابع قائلاً: «بدوننا كانت هذه البلاد على ما كانت عليه صحراء» فأول مدرسة تم بناؤها سنة ١٩٣٦م،

قامت على اكتـاف مدرسين أخرجوا من مدينة حيفا في فلسطين، والآن لا يلقى أصحـاب هذا الفضـل من «إخوانهم» الكويتيين إلا نفس المعاملة القاسية التي مارسها «الصهاينة» معهم.

منذ نهاية حرب الخليج رحلت الكويت المحررة تسعة أعشار عدد الفلسطينيين، الذين كانوا يمثلون ربع السكان، ولم يستثن من ذلك إلا ٣٥ ألف، وهؤلاء أيضاً ينتظرون ترحيلهم جميعاً قبل نهاية هذا العام حتى تتطهر الكويت من الفلسطينيين، كما ذكر أحد المسؤولين من أسرة آل الصباح.

والعـالم و«الأمم المتحـدة» يرون ذلـك، ولم يتحـرك أحـد ليس فقط لمنـع الإجـراءات التعسفية التي تقع على الفلسطينيين في الكويت، وإنما ترك الأردن وحده لمواجهة هذه المشكلة، التي وضعته تحت ضغوط رهيبة لا قبل له بها، فقد واجه هذا البلد الصحراوي الصغير أمواجاً جماعية من الفلسطينيين وصل عددها إلى ٣٥٠,٠٠٠ خلال عام واحد، ويمكن للألماني أن يتصور هذا العبء، إذا قدرنا أن ثمانية ملايين نازح وصلوا إلى ألمانيا خلال عام واحد!!!

بوصول هؤلاء المرحلين إلى الأردن يعتقد أن نسبة عدد الفلسطينيين ارتفعت إلى ٧٠٪ من جميع سكان المملكة، وهذا لا يشكل خطراً فقط على عملية «السلام» - كما يقول العاهل الأردني - في «الشرق الأوسط»، وإنما يقدم خدمة كبيرة لصقور الحكـومـة «الإسـرائيلية»، الذين يزعمون بأن الفلسطينيين لا يحتاجون إلى دولة خاصة بهم، فلهم الأردن!!!

ونظراً لأن عدداً من بلدان الخليج ستنهج نهج الكويت، فسوف تتعاظم المشكلة وتزداد حدتها، إذ أن الأردن لا تقبل الفلسطينيين المرحلين من كل مكان، فقد وصل عشرة آلاف إلى شواطىء الأردن مرحلين من العراق، أما إذا كانوا من مصر أو سوريا فإن الأردن لا تقبلهم وكذلك لا تقبل كل من مصر وسوريا أي مرحلين فلسطينيين، فحدود البلدين مغلقة في وجه الفلسطينيين.

هؤلاء الفلسطينيون المرحلون الذين يعانون الآن الفقر والفاقة، هم من النخبة

أصحاب الدخول المرتفعة قبل أزمة الخليج، وكانوا يقدمون ٥٪ من رواتبهم لمنظمة التحرير الفلسطينية لحساب صندوق فلسطين، والأهم من ذلك أن كل فلسطيني كان يعمل في الكويت كان ينفق على عائلتين فلسطينيتين في الأردن أو في الأرض المحتلة، فقد كانت تحويلاتهم تصل إلى ما يعادل مليار دولار سنوياً، والآن فقد هؤلاء مصدر دخلهم الذي كانوا يعتمدون عليه.

أما الحجة التي يستند إليها الكويتيون فيما فعلوه بالفلسطينيين، هي أن السيد/ياسر عرفات دعم العراق في احتلاله للكويت، وأيد السيد/صدام حسين، كما قام الفلسطينيون في الكويت بمساعدة الجيش العراقي أثناء وجوده في الكويت، كل ذلك جعل الفلسطينيين بنظر أمير الكويت خونة، وهي الكلمة التي قالها لهم بعد عودته إلى الكويت.

والحقيقة أن شيوخ النفط أرادوا السعي للتخلص من الفلسطينيين منذ مدة قبل الأزمة، ولم تكن أزمة الخليج إلا فرصة ذهبية سنحت لهم لتنفيذ مخططات قديمة، كما صرح بذلك أحد مندوبي منظمة التحرير الفلسطينية، ففي الثمانينات بدأت المدارس الكويتية التي يسود التعليم المجاني فيها، بوقف قبول الطلبة الفلسطينيين، وفي سن ٢١ تنتهي إقامة الفلسطيني المولود في الكويت ونشأ فيها حتى هذه السن، أي عليه أن يرحل، وتم البدء بسياسة «تكويت» المؤسسات، وإن كانت عملية صعبة نظراً لتكاسل الكويتيين في العمل، وحتى سنة ١٩٩٠م تم ترحيل حوالي ١٠٠,٠٠٠ فلسطيني من الكويت «إمارة الزيت».

من بين ٣٠٠,٠٠٠ فلسطيني الذين كانوا في الكويت قبل الاجتياح العراقي كان عشرات الآلاف منهم يمضون إجازة الصيف خارج الكويت حين وقع الاجتياح، وهناك من غادر خلال الفترة التي سبقت اندلاع الحرب؛ ومن الفلسطينيين من ظل يتذكر بمرارة كيف استجاب لطلب أمير الكويت، ـ أثناء وجوده في المنفى في العربية السعودية ـ بالعودة إلى أماكنهم في العمل، فبدأ بعضهم بالعمل في مرافق الحياة لإعادة الإعمار وتأمين وصول الماء والكهرباء إلى الكويتيين بأسرع وقت

ممكن؟!

قال الفلسطيني المبعد من الكويت السيد/هاني الخالدي: «بدون قيامنا بأعمالنا ما تمكن من بقي في الكويت أثناء الاحتلال من البقاء على قيد الحياة، وبعد أن تمكنت قوى التحالف من تحرير الكويت ـ وكانت فرحة الفلسطينيين بذلك تماماً مثل فرحة الكويتيين ـ اعتبر الشيوخ كل فلسطيني استمر في عمله أثناء فترة الاحتلال عميلاً غير مرغوب في بقائه بالكويت».

في الفترة من نهاية فبراير «شباط» حتى نهاية مايو «أيار» سنة **١٩٩٢م** قامت مجموعات من المسلحين الكويتيين ومن وصل من قوات التحالف إلى الكويت بمطاردة الفلسطينيين، وذلك بناء على طلب من صغار أسرة آل الصباح، كما قام بعضهم بتشجيع هذه الأعمال والتحريض عليها، ووقع الفلسطينيون ضحايا انتقام من أطلقوا على أنفسهم لقب «رجال مقاومة الفلسطينيين»، كما جرت متابعة الفلسطينيين في الكويت كما لو كانوا وباء «الايدز»!!!

ونتيجة هذه الأعمال اختفى عدد ٢٠٠٠ فلسطيني، تعتقد مصادر في منظمة التحرير الفلسطينية أن ثمانمائة ضحية منهم تم دفنهم في مقابر جماعية..

ويتحدث بعض الذين نجوا من هذه الممارسات عن أساليب فظيعة تم تعذيبهم بها داخل السجون الكويتية، وقد أكدت هذه الأخبار منظمة العفو الدولية، وثبت لديها مصداقيتها.

وقد عرض الطبيب الفلسطيني محمد خيري البلبدي ـ الذي عمل في الكويت حتى سنة **١٩٩١م** ـ في كتابه الذي صدر حديثاً بعنوان «هكذا تم تعذيبنا في الكويت»، عرض وصفاً حياً لحالات التعذيب المجنونة، وذكر أنه غالباً ما كان المرء الضحية يصل إلى مكان التعذيب وهو معصوب العينين، ويجبر على وضع أصبعه السبابة على واحدة من **٢٢** نقطة ضمن «كتالوج» لاختيار نوع العذاب بطريقة عمياء، وانتهت معظم أعمال التعذيب بقتل الضحية، فمنهم من صب الوقود «البنزين» عليه وأحرق حياً، ومنهم من تم قطع عضوه التناسلي، ومنهم من ضربت

أطـرافـه بالفؤوس . . وترك ينزف، أو يقوم رجال المقاومة الكويتيون بصب الماء الساخن على الجراح المفتوحة . .

ويذكر اللبدي أن بعض المعذبين كانت تقطع أجزاء لحمية من أجسامهم بآلات حادة، ثم يجبرون على أكلها، أماالنساء فكن يجبرن على السير عاريات فضلاً عن الاعتداء عليهن، وكانوا يزعجون المسجونين بألوان العذاب مرة بعد أخرى، حتى الرجال الكبار في السن كانوا يؤمرون بوضع الزجاجات المكسورة في «أدبارهم»، وكان بعض زبانية التعذيب يقومون بتنفيذ ما يخطر على بالهم من صنوف العذاب المبتكرة، فيضعون مثلاً قطع الحديد في الآذان واحدة بعد الأخرى، أو يثقبون عظام الجمجمة بآلة الثقب الكهربائية . . . الخ .

ودخـل سجـون آل الصبـاح نحو ستة آلاف فلسطيني بتهم تافهة معظمها في الغالب إما لأنهم قدموا الشاي لأفراد الجيش العراقي، أو لأنهم أعضاء في فصائل فلسطينية، أو حتى لأن لهم علاقة مع الصليب الأحمر، والقليل من هؤلاء مثلوا أمام محاكم هزلية، وكانت أحكام الإعدام تصدر دون تحقيق، أو منح المتهم فرصة الدفاع عن نفسه، ولم تنفع الاستنكارات الدولية إلى الآن في وضع حد للانتقام!!!

وصورة المستقبل لا تبدوا جيدة للذين وصلوا الأردن، فليست هناك إمكانات في بلد يبلغ عدد سكـانه ٣,٥ مليون نسمة لمئات الآلاف من النازحين وجلهم من أصحـاب المؤهـلات العليا: مهندسون وأطباء وأساتذة . . الخ، حيث تقدر نسبة أصحـاب المؤهـلات العالية من مجموع النازحين بـ ٧٠٪ وهم جميعاً في حالة بطالة، أما الأموال التي حرمهم النظام الكويتي من الحصول عليها فتقدر بـ ١٠ مليارات دولار علماً بأن نسبة البطالة في الأردن ارتفعت إلى ٥٠٪ ومعدل التضخم «بسبب ارتفاع الأسعار» وصل إلى ١٥٪؛ وما زال كثير من النازحين يعيش على ما سبق أن ادخره من أموال، بينما آخرون يقومون من الآن ببيع مجوهراتهم لأن ما لديهم من مدخرات قد نفد!!

قال مدير سابق عمل في مدرسة كويتية يبلغ من العمر ٦٠ عاماً «لا تهمني نفسي

فقد كبرت في السن، ولكنني أفكر بأولادي، ما هو مصيرهم وماذا سيحدث معهم؟!»

ونشرت «دير شبيجل» صورة لشاب من الذين رحلوا يبلغ من العمر ١٨ سنة، وقد سكن في غرفة على سطح أحد البيوت في الأردن، ليس فيها أي شيء من الأثاث، وذكرت أن أمل هذا الشاب في المستقبل هو ما نعبر عنه العبارة الإنجلزية "Think Big" المطبوعة على صدر القميص الذي يرتديه.. !!!»[١٠]

خلاصـــة ونـــداء

إن الذي تابع القضية الفلسطينية يجد أن الفلسطينيين لم يتعرضوا للمذابح فقط على أيدي الأعداء، بل إن مسلسل التعذيب والمذابح الذي بدأ في دير ياسين وغيرها من القرى والمدن في فلسطين، قد تواصل في مخيم تل الزعتر.. ثم تتابع في حرب المخيمات في لبنان بإخراج المقاتلين وتشتيتهم في عدد من البلاد، ويتواصل في الكويت و«الحبل على الجرار» كما يقال. وكل ذلك كان المنطق في حدوثه ردود الأفعال والمصالح الشخصية أو العائلية أو الحزبية الزائلة، ولو كان المسلمون يصدرون عن الإسلام الحق كما أنزله الله تعالى، لتعاملوا مع القضية الفلسطينية، وكل القضايا، على أساس مرضاة الله تعالى وتحقيق مصلحة الإسلام والمسلمين، ولذلك أتوجه بالنداء التالي إلى كل من يشعر بالمسؤولية:

(١) إن الإسلام لا يقبل الخطأ ولا يقر مرتكبه على ذلك خاصة إذا صدر بدافع من الهوى أو تحقيق المصالح والمنافع الدنيوية دون مراعاة لحرمات الله تعالى، ولا يقبل أيضاً عادة الثأر وأعمال الانتقام الوحشي ـ من مثل ما وردت الإشارة إليه في المقال المترجم ـ، ويطالب الإسلام بتحقيق العدل ورد المظالم ورفع الضرر، قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون**﴾ (المائدة: ٨)، والعقاب يكون بالمثل لمن وقع منه الخطأ أو **العفو عنه ابتغاء الأجر**

من الله تعالى القائل: ﴿**وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين**﴾ (النحل: ١٢٦).

(٢) أين أنتم أيها المسلمون، حكاماً وشعوباً؟! إن إسلامكم يطالبكم بالتدخل للإصلاح وتفويت الفرصة على العدو، فما فعل بالفلسطينيين إنما يحقق مصلحة العدو، إلا إذا كانت مصالح بعض الأنظمة تلتقي مع مصالح العدو في تحقيق مخططاته للتخلص من الفلسطينيين وتشريدهم وحرمانهم من حقهم المشروع في أرضهم التي باركها الله تعالى فلسطين!!!

(٣) ولنا أيضاً أن نتساءل: أين «لجان العفو الدولية»، و«لجان حقوق الإنسان» التي تقيم الدنيا ولا تقعدها إذا أصيب يهودي أو رجل غربي في أي مكان من العالم بأعمال التعذيب؟! وإن كنا نعرف من زمن طويل أن هذا هو شأن هذه المنظمات، وهذه طريقتها في التعامل مع المسلمين، فإننا نطالب المؤسسات الإسلامية والمنظمات الشعبية في البلاد العربية والإسلامية أن تقوم بدورها، ونذكر الجميع بقول الله عز وجل: ﴿**من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً**﴾ (المائدة: ٣٢)

وأخيراً إذا علمنا أن عدد الفلسطينيين سنة ١٩٨٨م كان يقدر بـ ٥,٧٥٨,٠٠٠ نسمة، منهم في الأرض المغتصبة سنة ١٩٤٨م حوالي ٨٠٠,٠٠٠ نسمة، وفي الضفة الغربية حوالي ١,٢٠٠,٠٠٠ نسمة، وفي قطاع غزة ٦٣٠,٠٠٠ نسمة، فيكون أكثر من ثلاثة ملايين فلسطيني قد شردوا وتشتتوا في البلاد العربية وأوروبا و«الأمريكيتين»..

ومع ازدياد عدد اليهود المهجرين إلى فلسطين، وقلة المياه في الضفة والقطاع، وضيق الأرض باليهود والفلسطينيين.. كل هذه الأسباب تسوغ الضغط على أصحاب الأرض وترحيلهم جماعياً إلى خارجها!!!

(١) جارودي، مرجع سبق، ص ٤١.

(٢) مرجع سابق، ص ٤٣ ,Walter Hollstein

(٣) عنوان بالخط العريض في الصفحة الأولى لجريدة «الشرق الأوسط» بتاريخ ١٤ شعبان سنة ١٤١٠هـ الموافق ١١/ ٣/ ١٩٩٠م.

(٤) عناوين في صفحة شؤون عربية ـ أحداث الوطن العربي، من جريدة الأهرام الدولي بتاريخ ٤ شعبان سنة ١٤١٠هـ الموافق ١/ ٣/ ١٩٩٠م.

(٥) نقل الأهرام الدولي بتاريخ ٢٤/ ٢/ ١٩٩٢م خبراً بعنوان «البساط السحري..» ينقل ١٥٠٠ يهودي من اليمن إلى «إسرائيل».

(٦) روجيه جارودي، مرجع سبق، ص ٦.

(٧) جريدة لوموند، ١٦ نوفمبر سنة ١٩٨٢م.

(٨) جارودي، مرجع سبق، ص ٢١.

(٩) فيليتسيا لانفر، تقديم إبراهيم الدقاق، أبطال الحجارة، عيون المقالات، الدار البيضاء، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٨م ص ٢٨.

(١٠) Der Spiegel, Nr. 24/46 Jahrgang, 8. Juni 1992 S. 168 - 172

البحث السادس

مبدأ توفير المال اللازم لقيام «الدولة» واستمرارها

المال عصب الحياة كما يقال، وهو لإنشاء كيان من العدم وقيام «دولة» واستمرارها أساس، وقد تنبه المجتمعون في المؤتمر الصهيوني الأول في بازل سنة ١٨٩٧م لهذه الحقيقة، فكان أحد القرارات الهامة الثلاثة التي أصدرها المؤتمر هو. إنشاء صندوق جباية لتيسير عملية تهجير اليهود.

ولتحقيق هذا الهدف الهام نجح «حاييم وايزمان» في ١٩٢٩/٨/٢١م في تأسيس «الوكالة اليهودية» فكان هذا اليوم يمثل منعطفاً أساسياً في تاريخ الحركة الصهيونية، إذ أن هذه الوكالة اعتبرت «حكومة صهيونية» منذ وجودها، واتخذت عمليات توفير المال السبل التالية:

أولاً: ما قدمه اليهود وقدمته البلاد الصديقة:

بعد أن تأسست «الوكالة اليهودية» وتشكل جهازها، قامت «الوكالة» بوضع خطط للجباية المالية والاتصالات المتنوعة، ووضعت هذه الخطط موضع التنفيذ منذ اللحظة التي وافق فيها المؤتمر الصهيوني السادس عشر على المخططات..

وما زالت الوكالة منذ ذلك الحين تواصل نشاطها في الجباية المالية خاصة،

ولكنها تساهم في تسيير شؤون الهجرة إلى فلسطين، وفي العمل السياسي أيضاً، وما تزال حتى اليوم تقوم مقام الحكومة في كثير مما يتعلق بالشؤون الخارجيه.

١ ـ جمع التبرعات من اليهود الأثرياء

أ ـ يقدم اليهود الأثرياء في العالم حوالي مليار دولار سنوياً بصفة منتظمة وإذا كانت هناك ضرورة، تنظم حملات تبرعات إضافية، فمثلاً بالنسبة لعمليات استيعاب المهجرين السوفييت بهذه الكثافة احتاج الأمر إلى مساعدات إضافية، فأدلى مادفين لندار ـ رئيس جمعية النداء اليهودي الموحد في الولايات المتحدة، ورئيس اللجنة الدولية اليهودية لمساعدة المهاجرين السوفييت بتصريح قال فيه:

«إن في إمكانهم جمع ٣ بلايين دولار خلال السنوات الخمس القادمة لصالح «عملية الخروج»، وتوقع أن تجمع في الولايات المتحدة تبرعات تقارب نصف بليون دولار خلال السنة الأولى. وقال: إن «اسراتيجيتنا» ستكون ذات ثلاثة أجزاء: التركيز على الأثرياء اليهود «البليونيرات» ليقدموا تبرعات أكثر مما قدموا في الماضي، وجمع التبرعات من بقية اليهود، والبحث عن الذين لم يتبرعوا من قبل.. وأضاف: «**سنقول للجميع إن هجرة اليهود السوفييت إلى «إسرائيل» لا تقل أهمية عن تأسيس «إسرائيل» نفسها قبل أكثر من ٤٠ سنة**» ولا شك أن هذه الروح، مع الظروف المصاحبة ستجعل اليهود في أوروبا أقدر على جمع التبرعات، وأقدر على الحصول على معونات أكبر.

ورغم أن قادة حملة التبرعات ذكروا بأنهم سيحرصون على ألا تذهب التبرعات لتوطين اليهود السوفييت في الضفة الغربية وقطاع غزة، إلا أن أحداً لا يتوقع مراقبة تفاصيل صرف هذه التبرعات، وقد أعلنت الخارجية الأمريكية أنه بإمكانها مراجعة طريقة صرف المساعدات إلى «إسرائيل» للتأكد من أنها لا تذهب إلى الضفة الغربية لبناء المستوطنات؟!»

نعم قدم اليهود وسيقدمون رغم أنهم البخلاء؛ تمكن البخل من نفوسهم، وانعكس على جوارحهم، وترك لمساته على حياتهم وتاريخهم وصلاتهم

بالآخرين ـ وصفهم القرآن في قول الله تعالى: ﴿**أم لهم نصيب من الملك، فإذا لا يؤتون الناس نقيرا**﴾ (النساء: ٥٣)[١] وأنهم مولعون بجمع المال؛ «فلا تراهم مشغولين إلا بنهب أموال العالم يقولون إنها تعلقهم، ولهم الحق في استردادها بأي طريقة كانت، ولو بالنهب والسرقة وارتكاب المنكر»[٢]، وأنهم قلة في العدد، رغم كل ذلك عندهم القدرة على جمع هذه الأموال الهائلة، فأين هذا الموقف والتصرف من موقف وتصرف أثرياء المسلمين في العالم؟!

ب ـ **ما يقدمه اليهود الذين هُجروا** إلى فلسطين واستوطنوا فيها على شكل ضرائب، فمعلوم أن أعلى نسبة ضرائب هي التي تفرضها حكومة «الكيان الصهيوني»، فهذا الأمر لم يثير اليهود لأنهم يقدرون حاجة «الدولة» للمال.

٢ ـ جمع التبرعات من الدول الاستعمارية ذات المصالح

بدأت بريطانيا في تقديم المساعدات لليهود المهجرين من زمن بعيد، إلا أن «الوكالة اليهودية» تقدمت للحكومة الريطانية في **١٩٤٥/٥/٢٢** بمطالب منها: توفير القروض الدولية التي تمكن من تهجير المليون الأول من يهود الشتات، ويمكن مراجعة كتاب (Walter Hollstein) [٣] فقد استعرض أعمال «الوكالة اليهودية» لمدة طويلة، وسوف أكتفي هنا بإشارات لنماذج لإلقاء الضوء على هذا الباب:

أ ـ بريطانيا:

كانت بريطانيا ترعى شؤون قسم من اليهود في فلسطين قبل وعد بلفور، ففي الثمانينات من القرن التاسع عشر الميلادي، وعندما عين وليام يونغ نائب قنصل في القنصلية البريطانية في فلسطين، كان من مهامه: حماية اليهود القاطنين فيها، وقد قدر عدد اليهود المقيمين بـ ٩٦٩٠ نسمة يعيشون بشكل شبه كامل على المعونات الخيرية التي تصلهم من الخارج[٤].

وكان من أهداف «مونيفيون» ـ ثري يهودي بريطاني ـ الحفاظ على الوجود اليهودي في فلسطين، والحصول على مساكن وأراضي زراعية لمن يعيش منهم

فيها، فقدم وجمع تبرعات لمساعدة الآلاف القليله من يهود فلسطين، كما تحرك لمقابلة محمد علي «حاكم مصر» سنة ١٨٣٩م حيث عرض عليه في ٢٤ آيار «مايو» شراء ١٠٠ إلى ٢٠٠ قرية في فلسطين بإيجار يزيد عن المعتاد ١٠ إلى ٢٠ في المائة لمدة خمسين سنة، ورغم أن سيرة حياة «مونتيفيور» تشير إلى أن محمد علي وعده بأن يعطيه أية أرض معروضة للبيع في سوريا، إلا أن المصادر الخاصة بحياة الأخير لا تؤكد ذلك[٥]

كما نشر «صموئيل برادشو "Rev. Somael Bradshaw"» في كتابه: «مسير الزمن» نداء من أجل اليهود اقترح فيه: (أن يخصص البرلمان البريطاني ٤ ملايين جنيه من أجل إعادة اليهود إلى «إسرائيل»)[٦]

ب ـ أوروبا الغربية

أعلنت المفوضية الأوروبية في شهر تشرين الثاني «نوفمبر» سنة ١٩٩١م موافقتها على تقديم مساعدة «خاصة» لـ «الكيان الصهيوني» في شكل تسهيلات تخفف من فوائد قروض ستحصل عليها حكومة «الكيان الصهيوني». وقيمتها ١٦٠ مليون وحدة نقد أوروبية «نحو ١٩٢ مليون دولار» بائتمانات مصرفية أوروبية.

وأوضح جواو مال دي المايدا الناطق الرسمي بإسم المفوضية أن المجموعة تقترض من الأسواق المالية، ثم تقدم القروض إلى «الكيان الصهيوني» ما يساعده في الحصول على القروض بنسبة فوائد غير مرتفعة، وتدفع المجموعة من موازنتها المساعدة الخاصة «٣٣ مليون دولار» لتعويض جزء من الفوائد.

وكان وزراء خارجية دول المجموعة قرروا في آذار «مارس» سنة ١٩٩١م تقديم الإئتمانات المصرفية لـ «الكيان الصهيوني» **ونحو ٧٢ مليار «بليون» دولار في شكل هبة**، وأعلنت المفوضية في ١٩/١١/١٩٩١ قرارها بتمويل مشاريع إسكان، وأخرى اقتصادية واجتماعية في الأراضي المحتلة، وخصصت لذلك ٤٨ مليون دولار.

جـ ـ أمريكا

تعتبر أمريكا من زمن طويل هي الممول الرئيسي لجزء كبير من احتياجات «الكيان الصهيوني»، ولا توجد أرقام دقيقة يمكن الاعتماد عليها، فضلاً عن أن الأرقام المنشورة تتفاوت كثيراً فعلى سبيل المثال: نشرت مجلة «فلسطين المسلمة ـ بعدد تشرين ثاني «نوفمبر» سنة ١٩٩١ خبراً يفيد أن المساعدات الأمريكية «للكيان الصهيوني» بلغت ٧٧ مليار «بليون» دولار في الفترة من ١٩٦٧ إلى ١٩٩١م؛ بينما نشرت جريدة الحياة بتاريخ ١٩٩١/٣/٣١ خبراً بعنوان «٤٠ بليون «مليار» دولار مساعدات أمريكا لـ «إسرائيل» ومعونات العام الماضي فقط ارتفعت إلى أربعة بلايين «مليارات» دولار.

ـ **ونظراً لأهمية المعلومات الواردة في الخبر الأخير** نقتطف منه ما يلي:

«وكانت المساعدات الحكومية الأمريكية إلى إسرائيل بلغت في مجملها حوالي ٤٠ بليون دولار منذ إنشاء الدولة اليهودية عام ١٩٤٨. ومنذ مطلع الثمانينات بلغت قيمة المساعدات الاقتصادية والعسكرية مجتمعة حوالي ثلاثة بلايين دولار في العام وكانت هذه المساعدات «هبات» مما خفف أعباء ديون إسرائيل الخارجية وسمح لها الابقاء على مستوى رفيع من الانفاق العسكري الذي كان أحياناً أكثر من ٢٠ في المئة من ناتجها المحلي الإجمالي.

وكان جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكية قال على نحو لاذع في شهادة أدلى بها أمام «الكونجرس» الأمريكي أن السبب في «نظافة» سجل إسرائيل في تسديد ديونها هو أن الولايات المتحدة وفرت الدولارات التي مكنت إسرائيل من تسديد هذه الديون.

وفي عام ١٩٩١ ارتفع مستوى المساعدات الأمريكية المقدمة إلى إسرائيل فبلغت قيمتها حوالي أربعة بلايين دولار بسبب الإنفاق الطارىء الذي نجم عن حرب الخليج، وكانت هذه المساعدة تعادل حوالي ثمانية في المئة من الناتج المحلي الإجمالي، وبالمقارنة مع ذلك كان صافي الاستثمارات الأجنبية سلبياً في

كل من السنتين الماضيتين.

ـ وجاء في دراسة أجريت أخيراً لحساب مركز «جافي للدراسات الاستراتيجية» التابع لجامعة تل أبيب أن مقدرة إسرائيل على تمويل مقتنياتها العسكرية تعتمد على المساعدات الأمنية الأمريكية التي تشكل ما يصل إلى ١,٨ بليون دولار من المساعدات السنوية التي تقدمها الولايات المتحدة، ويشكل هذا المبلغ في المتوسط أكثر من ٣٠ في المئة من الموازنة العسكرية الإسرائيلية وقد تكون هذه الأرقام بلغت نصف الموازنة العسكرية الإسرائيلية عام ١٩٩١.

وسارع الخبراء العسكريون إلى الإشارة إلى أن أي تخفض للمساعدات العسكرية أو أي حجب للتكنولوجيا العسكرية سيكون بالغ الضرر بالنسبة إلى إسرائيل، فمنذ أوقفت فرنسا تصدير السلاح إلى إسرائيل عام ١٩٦٧، صارت الولايات المتحدة توفره أو تمول أنظمة الأسلحة الإسرائيلية الرئيسية أو صارت توفر الأنظمة وتمولها معاً. وكان حصول إسرائيل على التكنولوجيا الأمريكية عاملاً مهماً حيوياً في احتفاظ إسرائيل بـ «تفوقها العسكري النوعي» على أعدائها العرب»

ـ أما ما ذكره السيد/ ابراهيم نافع في زاويته بهدوء في الأهرام الدولي بتاريخ ١٩٩١/١١/٨ فهو يفوق ماسبق ذكره بكثير حيث يقول: «إن ما تتكلفه الولايات المتحدة الأمريكية لتأمين وجود «إسرائيل» وإعاشتها أصبح فوق طاقة الولايات المتحدة الأمريكية، ويمثل عبئاً كبيراً فوق أكتافها، والأرقام والإحصائيات الأخيرة تقول هنا أن ما **تدفعه الولايات المتحدة الأمريكية إلى إسرائيل يتجاوز الأثنى عشر مليار دلار سنوياً ولدرجة أن بوش نفسه قال أن الولايات المتحدة تدفع للمواطن في إسرائيل ما يوازي ألف دولار سنوياً في الوقت الذي تتزايد فيه الأزمة الاقتصادية في أمريكا وفي الوقت الذي يوجد فيه ثلاثة ملايين أمريكي يعيشون تحت حزام الفقر وبدون مأوى.**

إن إسرائيل تكلف أمريكا ما فوق احتمالها فما بالنا وهذه التكلفة تتزايد نتيجة الهجرة اليهودية السوفيتية إلى إسرائيل والتي يقدر الخبراء الإسرائيليون أنفسهم أن

إعـاشتهم وإيجـاد فرص عمـل لهم تتكلف ما بين ٣٥ و٤٥ مليـار دولار ومن المستحيل أن توفر الولايات المتحدة كل هذه الأموال حتى على عشر سنوات. لأنها تعمل جاهدة على خفض العجز في ميزانيتها باعتبارها أكبر مدينة في العالم وهي النقطة الأساسية السلبية التي يهاجم الشعب الأمريكي من أجلها الرئيس بوش».

وكان آخر ما قدمته الولايات المتحدة الأمريكية موافقة الرئيس بوش على طلب «الكيان الصهيوني» الحصول على ضمانات قروض قيمتها ١٠ بلايين «مليارات» دولار يوم الأربعاء ١٢ آب «أغسطس» سنة ١٩٩٢م، وذلك لإسكان المهجرين اليهود السوفييت.

د ـ استفادة «الكيان الصهيوني» من التطورات العالمية

تعتبر بلاد شرق أوروبا التي أعادت علاقاتها مع «الكيان الصهيوني» بعد الوفاق الـدولي سوقاً لتصريف المنتجات الصناعية لـ «الكيان الصهيوني» والأنظار تتجه بصـورة خاصة إلى بلاد آسيا الوسطى التي كانت تحت الاحتلال الروسي، وقد نشرت الحياة يوم ١٠/٨/١٩٧٢ تحليلاً عن شراكة أمريكا مع الكيان الصهيوني في آسيا الوسطى جاء به:

«تدور بين الإدارة الأمريكية والحكومة الإسرائيلة مشاورات مستمرة حول أوضاع جمهوريات آسيا الوسطى وعلاقاتها الخارجية، وطريقة التعامل معها. وفي مطلع هذا الشهر، أفضت المشاورات إلى اتخاذ قرار بتقديم مساعدات مشتركة إلى هذه الجمهوريات، وإلى إرسال وفد أمريكي إسرائيلي، على مستوى عال لزيارة هذه المنـطقة والاطّلاع على أوضاعها وحاجاتها عن كثب، وتحديد مجالات التعاون المشترك معها. إن اهتمام كلاً من البلدين بهذه المنطقة أمر مفهوم وطبيعي، وهو ينبع من اعتبارات عديدة تدخل في حيزي الاقتصاد والسياسة.

الأمريكيون من جهتهم يستطيعون مساعدة هذه الدول عن طريق تقديم خبراتهم الإدارية وتوجيه المؤسسات الدولية والحكومات الصناعية الغنية لتقديم المساعدات

المالية التي تحتاجها آسيا الوسطى أي أنهم يستطيعون أن يكرروا هنا ما فعلوه مع «دول الأسرة المستقلة» عندما أمنوا لها مبلغ ٢٤ بليوناً من الدولارات مقابل المساعدات التي يقدمها الأمريكيون والإسرائيليون، فإنهم يتوقعون بداهة، تسهيلات اقتصادية مجزية. . . تتلخص في فتح أبواب آسيا الوسطى أمام البضائع الإسرائيلية والأمريكية والحصول على المعادن المتوفرة في هذه الدول بأسعار زهيدة. ومن بين هذه المعادن ينظر الأمريكيون والإسرائيليون باهتمام خاص إلى النفط ذلك أن حاجة الولايات المتحدة إلى النفط تزداد باضطراد، وهي تحرص على أن تكون ذات موقع ونفوذ في كل بلد منتج له بحيث تتمكن من الحصول عليه دون انقطاع وبأفضل الشروط التي تناسب المستهلكين الأمريكين، وما ينطبق على الولايات المتحدة، يسري هنا على إسرائيل التي لا تسطيع ابتياع النفط من الأقطار العربية القريبة، فيناسبها أن تشتريه، بالسعر الزهيد من دول آسيا الوسطى.

وللولايات المتحدة وإسرائيل أيضاً مصلحة سياسية في تطوير العلاقات مع الجمهوريات الآسيوية الإسلامية، لواشنطن مصلحة في بناء الصلات الوطيدة مع هذه الدول تأميناً لمصالحها الحيوية، ووقاية من كل معطل لها، أن الولايات المتحدة اليوم قوة عظمى وحيدة في العالم، ولكن ذلك لا يعني أنها تخلصت من التحديات التي يمكن أن تؤثر على مصالحها في المستقبل المنظور. إنها تواجه في أوروبا ألمانيا التي أصبحت القوة القارية الأولى بلا منازع والتي تتسلق سلم النظام الدولي بسرعة لكي تصبح في موقع مساو على الأقل، للولايات المتحدة.

ولإسرائيل، مثل أي بلد في العالم، مصلحة في تطوير علاقته مع الآخرين ولإسرائيل حاجة إلى توثيق علاقاتها الدولية في نطاق صراعها مع العرب وتنافسها معهم على الأصدقاء والحلفاء أن هذا الاستقطاب قد لا يبدو هَمّاً مقيماً لدى الجانب العربي حالياً، بسبب انخفاض حرارة المجابهة مع إسرائيل. ولكن الصورة ليست كذلك عند الإسرائيليين الذين يجدون أن التراجع العربي الراهن هو فرصتهم التاريخية للخلاص من عزلتهم عن دول العالم الثالث، ومن الحصار الجزئي

الدبلوماسي الذي ضربه العرب حولهم في السابق».

ولكل مسلم أن يتساءل لماذا اختارت الولايات المتحدة الكيان الصهيوني للقيام معها بهذه الشراكة؟! ألا توجد بلاد إسلامية على سبيل المثال لها علاقة طيبة مع الولايات المتحدة ويمكن أن تستفيد من هذه الأعمال الاقتصادية؟! أليست تركيا مثلاً ذات حق أكبر في هذه العلاقة من الكيان الصهيوني وهي لم تقصر مع أمريكا؟

إنني اتفق مع الرأي القائل:

«الأرجح أن الإدارة الأمريكية لم تعرض هذه الشراكة لا على باكستان ولا على تركيا وإلا لكانا قبلاها. إن هذه الشراكة تعزز إمكاناتهما المادية للإضطلاع بدور نشيط في المنطقة، وهي تنسجم مع سلوك الحكومتين اللتين لم ترفضا شراكة من هذا النوع في السابق إذاً لماذا الشريك الإسرائيلي؟ هل لأن الشريك يملك حاجة يطلبها الآسيويون وهي غير متوفرة في تركيا أو باكستان أو في الولايات المتحدة نفسها؟ الأرجح لا، إذ أن إسرائيل هي نفسها تطلب المال والتقنية من الولايات المتحدة وتعتمد عليهما.

إن التفسير الأقرب إلى الذهن لهذه الشراكة الأمريكية ـ الإسرائيلية في وسط آسيا هو أن واشنطن تريد أن تعزز دور إسرائيل بين هذه الدول ـ إنها تقول لزعماء وشعوب هذه الدول أن طريقكم إلى الولايات المتحدة يمر عبر إسرائيل، فإذا شئتم الدعم والمساندة عليكم أن تتفاهموا مع الإسرائيليين لا مع العرب. وواشنطن تقول للعرب عبر هذه الشراكة. إذا كنتم تتصورون أن هذه الجمهوريات سوف تكون عضداً وعوناً لكم في صراعكم مع إسرائيل فأنتم مخطئون، فها أنذا ألقي بثقلي إلى الجانب الإسرائيلي حتى تكون هذه الجمهوريات في صفهم لا في صفكم، أو على الحياد بينكم وبينهم في أفضل الحسابات»[٧]

ولا شك أن دعم الولايات المتحدة لـ «الكيان الصهيوني» بهذه الصورة ستكون لها آثارها في التخطيط الاقتصادي المستقبلي، بما يؤثر على الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي..

وقد نشرت جريدة الحياة في عددها ١٠٧٣٧ بتاريخ ١٩٩٢/٧/٣م نقلاً عن صحيفة «إيكونوميست» تقريراً بعنوان «إسرائيل عام ٢٠٠٠ ننقل منه هنا ما يلي لفائدته وأهمية ما جاء فيه:

«هل يساعد وصول المهاجرين على النمو؟ أن إسرائيل ستشهد نمواً اقتصادياً متواصلاً خلال التسعينات بفعل السيل الكبير من المهاجرين اليهود ذوي الكفاءات العالية من بلاد الاتحاد السوفييتي القديم.

ويتوقع التقرير أن تستمر الهجرة السوفياتية إلى إسرائيل على نطاق واسع منتصف هذا العقد، وأن تغير نوعية هؤلاء المهاجرين وعددهم طبيعه الاقتصاد والمجتمع الإسرائيليين خلال السنوات المقبلة.

ويشير التقرير إلى أن عملية الامتصاص الناجحة للهجرات الجماعية الكبيرة إلى إسرائيل ستعتمد كثيراً على التطورات في إسرائيل والخارج ومنها التطبيق السريع للاصلاحات الاقتصادية التي بدأت في السنوات الأخيرة خصوصاً ما يتعلق منها بعملية تحرير العملة والتجارة والتخصيص.

ويقول التقرير: إن هذ الاصلاحات ستحفز على الاستثمارات الضرورية لإيجاد فرص عمل للمهاجرين والجيل الجديد في إسرائيل. ويقول إن أهم شيء في هذا المجال هو إيجاد ٥٠ بليون دولار لتمويل عملية الاستثمار في الصناعة والمعدات ومشاريع البنية التحتية.

ويتوقع التقرير أن يتم استقراض معظم هذا المبلغ من الخارج وعدم حصول ذلك إلا إذا دعمت الولايات المتحدة والحكومات الغربية عملية امتصاص الهجرة اليهودية بمنح إسرائيل ضمانات قروض أو دعم آلية مماثلة.

ويركز التقرير على الافتراض بأن عملية السلام في الشرق الأوسط حتى لو تمت تدريجاً خلال سنوات عدة ستساعد على تخفيف حدة التوتر في المنطقة وعلى جذب الاستثمارات المباشرة إلى إسرائيل من جانب المؤسسات الأجنبية والشركات المتعددة الجنسية.

ويبدو أن هذه الافتراضات ترتكز إلى أساس هو نتائج الانتخابات الإسرائيلية العامة التي جرت في ٢٣ حزيران «يونيو» الماضي، علماً أن تحالف اليسار الوسط المتوقع أن يتسلم الرئاسة التزم مبدأ تحسين العلاقة مع الولايات المتحدة وأوروبا وبذل جهد جدي في المفاوضات مع الدول العربية والفلسطينيين

وتبدو حكومة إسحاق رابين الجديدة قادرة على إدارة الاقتصاد بأسلوب أكثر فعالية من حزب ليكود، وربما كانت أكثر قدرة على فهم الأولويات المتعلقة بالاصلاحات الداخلية.

ويتنبأ التقرير أنه إذا سارت عملية السلام كما يجب، وتحسنت علاقة إسرائيل مع أوروبا والولايات المتحدة، سينمو الناتج القومي الإجمالي في قطاع الأعمال في ١٩٩٢ ـ ١٩٩٦ بمعدل مقداره ٨ ,٧٪ في السنة وسيصل إلى ستة في المئة في الجزء الأخير من العقد الحالي.

كما يشير إلى أن أغلب النمو سيتحقق بالاستثمارات والصادرات التي يتوقع أن تحقق معدل نمو سنوياً مقداره عشرة في المئة في ١٩٩٢ ـ ١٩٩٦.

ويمكن لإسرائيل استناداً إلى المعطيات الواردة في تقرير وحدة الأبحاث الاقتصادية، رسم سياسة للاقتراض من الخارج تحت مظلة الضمانات التي ستحصل عليها من الولايات المتحدة، سيمكنها من مواصلة تحقيق نمو في معدل صادراتها.

ويتوقع التقرير أن تمهد الاستثمارات التي تمت منتصف التسعينات الطريق لاستثمارات الصادرات التي سيتحقق أغلبها بالنمو الذي سيحصل بين عامي ١٩٩٧ و٢٠٠٠ مما سيساعد على تخفيف العجز الحالي في الحساب التجاري وتسهيل عمليات تسديد القروض».

ونخلص مما سبق إلى:

١ ـ البلاد الاستعمارية لها مصالح اقتصادية مع «الكيان الصهيوني» ولذلك دعمته حتى أصبح الآن بلداً صناعياً متطوراً.

٢ ـ كان «الكيان الصهيوني» ينطلق من أنه في حالة حرب مع جيرانه فكان يصرف ٢٠٪ من ميزانيته على صناعة وشراء الأسلحة، فإذا وقّع مع جيرانه اتفاقيات سلام فسيكون أقدر على التطور في مجال الصناعة والتجارة وهذا له مخاطرة المستقبلية على المنطقة.

٣ ـ إذا كان «الكيان الصهيوني» الآن ينافس بلاداً صناعية عريقة في الوصول إلى وسط آسيا، فكيف لو انفتحت الأسواق العربية المحاورة لبضائعه وتجارته؟!

ثانياً: ماأخذ ويؤخذ بالضغط أو القوة:

درجت حكومات «الكيان الصهيوني» على البحث عن مصادر لتحصيل المال حتى ولو كان بالظلم الواضح البين، ويعجب الإنسان لما يتم بشأن فلسطين من زمن وعد بلفور إلى اليوم، حيث قام طرف بإعطاء وعد لطرف ثان أن يعطيه أرض طرف ثالث، وعندما صدر قرار التقسيم حدث نفس الشيء فالجمعية العامة ـ لـ «الأمم المتحدة» بوصفها طرف قامت بتقسيم أرض فلسطين وأعطت للصهاينة بوصفهم طرف آخر أرض طرف ثالث، والآن تقوم الولايات المتحدة أصلاً ومعها روسيا «شرفياً» لتحقيق «الأمن والسلام» لطرف ثان «الكيان الصهيوني» بشرط أن يكون على حساب طرف ثالث هو الشعب الفلسطيني، وواصلت حكومات «الكيان الصهيوني» بأخذ الأموال بالضغط تارة أو القوة تارة أخرى.

١ ـ ما أخذته من الفلسطنيين:

أ ـ اغتصاب الأرض:

لقد كانت السياسة الصهيونية ـ المدعومة من الاستعمار ـ قائمة على الضغوط الاقتصادية الشديدة على العرب الفلسطينيين لارهاقهم اقتصادياً، بالاضافة إلى أعمال العنف والارهاب التي تبث الرعب في القلوب.. كل ذلك ساعد على إجبار الفلسطينيين على ترك أراضيهم للمهاجرين اليهود.. وكانت حكومة الانتداب بتشريعاتها المختلفة خير عون للحركة الصهيونية في هذا السبيل..

لقد تعمد أول مندوب سامي بريطاني ـ وهو صهيوني ـ ارغام الفلاحين العرب

على بيع أراضيهم، حيث كان يمنع تصدير الحبوب والزيت ـ وهما أساس ثروة البلاد آنذاك ـ كي يزداد المعروض منها في الأسواق فتهبط أسعارها، ويعجز الفلاحون الفلسطينيون عن تسديد الضرائب والديون، ثم يقدموا على بيع الأرض في النهاية. . كما أمر بتصفية أعمال البنك الزراعي العثماني، وتحصيل قسم كبير من ديونه قسراً من صغار الفلاحين.

ورغم هذه الاجراءات التعسفية والأسعار الخيالية التي كان يعرضها اليهود ثمناً للأرض، فلم تنقطع مقاومة الشعب الفلسطيني لعمليات بيع الأراضي لليهود طوال مدة الانتداب. فقد بلغ جملة ما تملكه اليهود عند انتهاء الانتداب البريطاني في الشهر الخامس سنة ١٩٤٨م ٣٧٢,٩٢٩ فداناً أي ٥,٦٧٪ من مجموع أراضي فلسطين، حصل اليهود منها على ما مساحته ٢١٠,٤٢٥ فداناً بين عام ١٩١٨م وعام ١٩٤٨م بسبب غياب أصحاب الأرض من اللبنانيين والسوريين، الذين كانوا خارج فلسطين. .

ب ـ الاستيلاء على المرافق العامة:

لم تغتصب قوات «الكيان الصهيوني» الأرض فقط، وإنما استولت على المرافق العامة والمؤسسات التي فوق الأرض، البنوك وما فيها من أرصدة، أملاك الدولة وما هو موجود بها والموارد الطبيعية والأثار، وما تمت مصادرته من أملاك. . وثروات النازحين والمطرودين. .

جـ ـ استغلال اليد العاملة وفرض ضرائب باهظة:

تقوم الأجهزة الإدارية باستغلال الفلسطينيين في تكليفهم بالأعمال الشاقة وعدم تقديم الأجر العادل، ومن يعمل من العرب لدى الصهاينة يوفر بدلاً منه جندي للقتال في قوات العدو، أما بالنسبة للضرائب فالكيان الصهيوني يحتل المكان الأول بين دول العالم في نسبة الضرائب إلى الناتج القومي. قبل حرب سنة ١٩٧٣م كان يحتل المكان الخامس عشر. . هذا ما قاله «موشيه فويد دفر» المسؤول عن واردات الدولة، قفز بعد الحرب إلى المكان الرابع ثم قفز في السنة الماضية إلى المكان

الأول». ونسبة الضرائب إلى الناتج القومي دائماً في ارتفاع بعد حرب حزيران سنة ١٩٦٧م[٨]

٢ ـ ما أخذ على سبيل التعويضات

استغلت حكومات «الكيان الصهيوني» ما وقع مع اليهود في بلاد أوروبا من تعذيب وقتل، وضغطت على حكومات البلاد الأوروبية الغنية مثل ألمانيا، ضغطت عليها أدبياً باسم عقدة الذنب، وفي برنامج «تلفزيوني» بثته محطة الإرسال الأولى ARD يوم ١٩٩١/١١/١٢، أعلن مقدم البرنامج أن ألمانيا الاتحادية دفعت لحكومات «الكيان الصهيوني» ١٠٠ مليار «بليون» مارك على سبيل التعويض، ولكن الأولى طالبت بعد توحد الألمانيتين بمبلغ ١٠ مليارات «بليون» مارك أخرى إضافية.

ثالثاً: ما يمكن أن ينتج عن «اتفاقيات السلام» في مجال المال والتجارة؟

أ ـ الاستثمارات

أكدت وكالات الأنباء «أن الأمير بندر بن سلطان ـ سفير السعودية في واشنطن ـ عرض على اليهود الأمريكيين أموراً توحي باستعداد المملكة العربية السعودية، ومن ورائها دول الخليج، على القيام بدور نشط في إقناع الجانب العربي بضرورة المرونة، وكان أبرز ما طالب به الأمير السعودي: **لابد من القيام بخطوات تبدد المخاوف وتبني الثقة، فعلى الكيان الصهيوني أن يبدأ بأمرين:**

(١) ـ إيقاف بناء المستوطنات.

(٢) الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني.

ووعد الأمير بأن العرب سيقابلون ذلك بخطوات مماثلة!!، فإذا أوقف «الكيان الصهيوني» بناء المستوطنات سيقابلها العرب بإنهاء المقاطعة الاقتصادية، وإذا اتخذت خطوات في طريق الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني فإن العمل على إنهاء «الانتفاضة» هو الرد العربي، وإذا شعر العرب بحسن النوايا «الإسرائيلية»

فإن آلاف المليـارات من الدولارات ستنفق على نشاطات عربية ـ «إسرائيلية»، وستكون «إسرائيل» شريكاً لبقية دول المنطقة في التمتع بخيراتها وبناء مستقبلها»[٩]

ولكل عاقل أن يتفكر، إذا كانت جميع وسائل الإعلام العربية والإسلامية تعلم ما يصنعـه «اللوبي» اليهودي في أمريكا المتقدمة صناعياً واقتصادياً؟! فكيف إذا تمكن الصهاينة من بلادنا وإذا انفتح لهم سبل العمل؟ إنني لا أشك للحظة واحدة أن الهيمنة والسيطرة ستكون هي النتيجة السريعة لمثل هذا الصنيع.. ولا يفوتني هنا أن ألفت النظر إلى الامال والواقع، الامال التي عبر عنها الملك الحسن يوماً فقال: «لو وقع تحالف بين المال العربي والعبقرية اليهودية لاستطعنا أن نستعمر العـالم»، والـواقـع أننا معشر العرب سنصبح عمالاً في مصانع العدو من ناحية ومستهلكين لما ينتج العدو من ناحية أخرى.

ب ـ التطبيع

التطبيع مخطط صهيوني لإحكام الهيمنة الاقتصادية وإيجاد مشكلات بلاد في غنى عنهـا، وقد عالج الدكتور سفر الحوالي هذه القضية في رسالته التي نشرت بعنوان «كشف الغمة عن علماء الأمة» فبين في الفصل الأول: أن النفط هو السلعة الضرورية الحيوية للصناعة والحياة الغربيتين لذلك وضعت المخططات للسيطرة عليه من قبل الولايات المتحدة الأمريكية ويدها اليمنى «الكيان الصهيوني»[١٠] كما عالـج الأستـاذ/عـادل حسن قضية التـطبيع بوصفها المخطط الصهيوني للهيمنة الاقتصادية،[١١] إذ أن التطبيع يتم بين طرفين أحدهما قادر والثاني عاجز، أحدهما بصير والثاني لا يرى.. فكيف تكون العلاقة؟ كما أن عمليات التطبيع التي تمت مع مصر أظهرت لنا هذه الحقيقة، وقد قمت ببحث في هذا المجال قبل سنتين أوجزه هنا على النحو التالي:

(١) ـ السياحة:

منـذ فتـرة من الـزمن تعتمد مصر على «السياحة» كمصدر من مصادر الدخل

القومي، وبعد «معاهدة السلام» مع «الكيان الصهيوني» ظهرت مشكلات السياحة، فقد كانت ولا زالت محور الكثير من الأزمات، «فالكيان الصهيوني» يؤكد عليها ويطالب بها بوصفها وسيلة هامة من وسائل تحقيق ما سمي «تطبيع العلاقات»، وكان آخر الاتفاقات ما تم اعتماده بوجود وزير السياحة المصري ووزير سياحة «الكيان الصهيوني» سنة ١٩٨٦م، وتقضي هذه الاتفاقية أن تتولى الهيئات والوزارات والجمعيات في البلدين القيام برحلات سياحية لأفرادها على مدار السنة، وأصر اليهود على أن تدفع مصر رعاياها بالقوة لزيارة الأرض المحتلة في فلسطين.

والنتيجة كما صرحت جهات مسؤولة في إحصائيات رسمية هي تزايد عدد «السياح اليهود»، فقد زاد عددهم خلال العامين الأخيرين بنسبة ٥٠٪، وتفيد الإحصائية الأخيرة لمصلحة الجوازات والهجرة المصرية أنه قد وصل العدد الكلي لـ «السائحين اليهود» الذين زاروا مصر من الأرض المحتلة إلى ٧٠٠ ألف صهيوني، وكان عدد من وصل منهم خلال الشهرين الأخيرين عشرة آلاف، وهذا العدد الكبير يستلفت النظر، فهل جاء هؤلاء فعلاً «للسياحة» وليكونوا مصدراً للخير والنفع في مصر؟

اللهم لا، فقد ثبت أن هؤلاء الصهاينة قد جاؤوا إلى مصر «مهربين» و «جواسيس» و«تجار شنطة» كما يقال «بالمصرية»، فلا يكاد يمر أسبوع إلا وتعلن سلطات الأمن في القاهرة عن ضبط مجموعة من «السائحين الصهاينة» يقومون بتهريب وترويج العملة المزيفة إلى مصر، فقد سجلت ٨٠ قضية تهريب وترويج عملات مزيفة من فئة المئة دولار، نقلت من تل أبيب إلى القاهرة عن طريق «السائحين»، وينظر في هذه القضايا أمام القضاء المصري؛ أو يقبض عليهم متلبسين بتهريب المخدرات، وأخطر شبكة قامت بذلك حتى الآن تم ضبطها في منتصف العام الماضي، أثناء تهريب الهيروئين في معجون الأسنان، وشبكات التجسس التي قبض على آخرها في شهر يناير سنة ١٩٨٩م، وشبكات «الدعارة»

التي تم اكتشاف آخرها في شهر يوليو سنة ١٩٨٩م في الإسماعيلية، وفي مدينة المهندسين بالقاهرة.

أما أغرب هذه الشبكات فهي التي تعمل في تهريب الآثار، فقد ضبطت أجهزة الأمن المصرية مجموعة من الآثار الصغيرة والأحجار الكريمة، ضبطتها مع مجموعة من «الحاخامات اليهود» أتوا إلى مصر في أوائل سنة ١٩٨٩م لزيارة المعابد اليهودية في مصر!!!

«والبقية في الطريق» كما يقولون!

(٢) ـ مياه النيل

نشرت وسائل الإعلام أخباراً مزعجة بالنسبة لمياه النيل في الأيام الأخيرة ففي الوقت الذي تظهر فيه حاجة مصر إلى مياه النيل، بل للمزيد من المياه لتتمكن من زيادة رقعة الأرض الزراعية، وتحويل أكبر قدر ممكن من الصحاري إلى أرض زراعية خضراء، تساعد على سد جزء من الفجوة الغذائية القائمة، وتشغيل جزء من الأيدي العاطلة، تنتشر الأخبار التي تهدد مصر بالنسبة للماء وخاصة ما تحصل عليه من مياه نهر النيل، فنهاك تفكير في إقامة سدود عند منابع النيل، وبخاصة في أثيوبيا، وهناك تفكير في إعادة النظر في اتفاقيات الدول المحيطة بنهر النيل، لتحديد أفضل لحصص البلاد المختلفة وبصفة خاصة مصر.

وقد جاء في أحد أعداد مجلة «المجلة» الخبر التالي: «رفض الدكتور عاطف صدقي رئيس الوزراء المصري الكشف عن الإجراءات التي تدرس الحكومة المصرية اتخاذها حالياً بالتنسيق مع الأطراف الأخرى وخاصة السودان بشأن موضوع مياه النيل، وما يثار حول اعتزام أثيوبيا إقامة سدود ومشاريع جديدة تؤثر على حصة مصر. وأبلغ رئيس الوزراء نواب البرلمان أن الحكومة أبدت مخاوفها من إقامة مثل هذه المشاريع.

وعلمت «المجلة» أن كلا من أثيوبيا وأوغندا أبلغتا مصر والسودان، أن الاتفاقية الحالية لتنظيم مياه النيل الموقعة سنة ١٩٥٩م بين مصر والسودان فقط، ليست

ملزمة لهما، وأن الأمر يتطلب التوصل إلى اتفاقية دولية جديدة، توقع عليها دول حوض النيل التسع على ضوء المتغيرات التي جرت على مدار السنوات الماضية»[١٢]

ومرة أخرى نسأل من وراء هذه المشروعات؟ إنه «الكيان الصهيوني» الذي يقدم السلاح لأثيوبيا الآن لتقضي على المسلمين في ارتيريا، وهو الذي يشجع أثيوبيا على هذه المشروعات الجديدة التي تحتاج إلى إقامة السدود، وتحتاج إلى حصص جديدة من الماء!!!

(٣) بذور ومخصبات ومبيدات ضارة

نشرت مجلة «المصور» المصرية في عددها **٣٤١٢** بتاريخ **٢/٣/١٩٩٠م**، تحقيقاً مصوراً بعنوان «من المسؤول عن كارثة البذور المهربة من «إسرائيل»؟

ومما جاء في هذا التحقيق: «سجلت محاضر الضبط أرقاماً مذهلة عن تهريب تقاو وبذور ومخصبات ومبيدات «إسرائيلية» إلى مصر. إضافة إلى تداول كميات كبيرة من المبيدات والمخصبات بطريقة غير مشروعة.

كشفت الإحصائيات أنه في عام **١٩٨٩** وحده تم ضبط **٤٤٦** قضية تداول غير مشروع للمبيدات والمخصبات قدرت بحوالي **١٨٩,٨٨٣** طناً تبلغ قيمتها مليوني جنيه، كما كشفت إحصائيات الضبط عن ضبط **٤٧,٥** طن تقاو وبذور ومخصبات ومبيدات «إسرائيلية» مهربة إلى مصر.

لقد تسببت هذه التقاوي والبذور والمبيدات في خسائر زراعية فادحة، والذين استخدموا هذه التقاوي المهربة يصرخون بعد ما فقدوا كل ما يملكون نتيجة لإصابة محاصيلهم بأمراض مختلفة.

«يقول المهندس فتحي مرعي مدير الزراعة بالإسماعيلية، أنه لوحظ في الفترة الأخيرة أن هناك بذوراً وتقاوي تأتي مهربة من «إسرائيل». وهناك بالفعل إقبال من بعض المزارعين عليها، ومن خلال مشاهداتنا وملاحظتنا للمحاصيل التي استخدمت هذه التقاوي فيها، وتبين أنها قد أصابها أمراض معينة، لذلك رفعنا

تقـريراً بذلـك إلى وزارة الـزراعة، وأوضحنا في التقرير وجود مخاطر كبيرة لهذه التقـاوي على إنتاجية المحاصيل، وعلى الأرض، وعلى صحة الإنسان.. لأن بعض هذه التقـاوى والبذور بها نسبة كبيرة من الهرمونات، مما يؤدي إلى ظهور الأمراض، مثل الفشل الكلوي وغيره.

ومن الأمـراض التي بدأت تنتشـر في المحـاصيل بعـد استخدام هذه البذور والتقاوي، أمراض البياض الزغبي والندوة المتأخرة.. ومع ذلك فإنني أقول: إن الأمر في حاجة إلى الحذر، لاسيما أن الكثير من البذور ـ وأغلبها بذور طماطم وخيار وكنتـالـوب وفلفل وبطيخ ـ تكون ملوثة «بفيروسات» تسبب ضعف وتدهور إنتـاجية الـزراعية، وفي بعض الحالات القضاء على المحصول بأكمله، وتلوث الأرض الزراعية والتي يجب أن تترك بعد ذلك بورا ـ لا تزرع ـ لفترات طويلة قبل زراعتها مرة أخرى.[١٣]

ويقول المهندس محمد جلال مدير إدارة التقاوي بمديرية زراعة الإسماعيلية: «إن هذه الظاهرة بدأت منذ أواخر عام ١٩٨١م وليست من وقت قريب كما يقول البعض، وأذكـر أن هنـاك بعض المزارعين في قرى الإسماعيلية استخدموا هذه التقاوي والبذور منذ عام ١٩٨١م، وأحضر بعض المزارعين خبير زراعة «إسرائيلي» أشرف على زراعتهم لمدة طويلة، ثم عاد مرة أخرى إلى «إسرائيل».. وبعد عودة الخبير «الإسرائيلي» بدأت الأمراض تظهر على المحاصيل!!»[١٤]

وللمـرء أن يتسـاءل عشـرات الأسئلة: من الـذي قال للمـزارعين أن البـذور والمخصبات والتقاوي التي عند «الكيان الصهيوني» أفضل مما عندنا في مصر؟!. أليست وسـائل الإعلام المصرية التي تنشر الإعلانات والتي تخبر الشعب بهذه الأخبار الباطلة؟!

ومن الـذي يشيع بين المـزارعين أن «الخبير الصهيوني» أفضـل من الخبـراء المصريين؟! إن البلد التي لها هذه الحضارة التاريخية والتي ظلت تفتخر بأبنائها وخريجيها وخبرائها على مدى قرون، ثم تتمكن وسائل الإعلام من تضليلها خلال

عدد محدود من السنوات بحيث تفقد ثقتها بكل شيء على هذا المستوى لا تستحق إلا أن يحدث بها ما حدث.

ومرة ثالثة نتوجه إلى المسؤولين سائلين: من وراء كل هذه المشكلات؟ ألم نكن في غنى عن ذلك؟ إن القرآن الكريم يعلمنا أن عداوة اليهود للإسلام والمسلمين ظهرت منذ بعث الله تعالى محمداً ﷺ لقد كفروا عن علم بحقيقة الرسول ﷺ وعداؤهم دائم، قال تعالى: ﴿**لتجدنّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا**﴾ (المائدة: ٨٢).

بل يمكن القول بحق أن اليهود أعداء لأهل الأرض جميعاً، وإنما يتحركون وفق مصالحهم. فهل من مدكر قبل فوات الأوان؟، وأليس من الخير منع تطبيع العلاقات مع اليهود؟!

---

(١) د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، **الشخصية اليهودية من خلال القرآن**، دار القلم، دمشق، **الطبعة الأولى**، سنة ١٤٠٧/١٩٨٧م، ص ٢٣٧.

(٢) ترجمة د. يوسف نصر الله، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، دار القلم دمسق، ودار العلوم - بيروت، طبعة دار القلم الأولى، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص ٤٥.

(٣) مرجع سبق Walter Hollstein s. 71

(٤) مجلة الإنسان، العدد الثالث، مرجع سبق، ص ٩١، ٩٢. (٥) المرجع السابق، ص ٩١.

(٦) المرجع السابق، ص ٩١. (٧) جريدة الحياة ليوم ١٠/٨/١٩٩٢.

(٨) زهير الماردينى، أتظنون أنكم خير أمة أخرجت للناس، دار الكنوز الأدبية - بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

(٩) الرائد - مجلة تصدرها الدار الإسلامية للإعلام، بون - ألمانيا الاتحادية، العدد ١٣٩، ص ٦١و٦٢.

(١٠) د. سفر الحوالي، كشف الغمة عن علماء الأمة، بحث مكتوب على الآلة الكاتبة، وهو في الأصل رسالة من الشيخ إلى الشيخ عبد العزيز بن باز.

(١١) عادل حسن، التطبيع، المخطط الصهيوني للهيمنة الاقتصادية، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثانية ١٠/١٢/١٩٨٥.

(١٢) مجلة «المجلة» عدد رقم ٥٢٦ بتاريخ ١٦ شعبان سنة ١٤١٠هـ الموافق ١٣/٣/١٩٩٠م ص١١.

(١٣) مجلة «المصور» العدد ٣٤١٢ بتاريخ ٥ شعبان سنة ١٤١٠ هـ الموافق ٢ مارس سنة ١٩٩٠ ص ١و١٥.

(١٤) المرجع السابق، ص١٥.

البحث السابع

لا تيأسوا من المستقبل أيها المسلمون

عملية التسليم للعدو بما اغتصب من أرض فلسطين المباركة دخلت في فصلها الأخير منذ شهور، بعد أن مرت بمراحل عدة، وتحركت في أروقة المحافل الدولية والعربية والأفريقية ودول عدم الانحياز وأخيراً في عواصم عدد من دول أوروبا وأمريكا..

إن هذا المسلسل المرحلي الرهيب على طريق تصفية القضية ـ إن أحسنا الظن ـ انطلق في كل مرحلة من مراحله من واقع الهزيمة العسكرية والنفسية التي أنزلها «الكيان الصهيوني» ومن ورائه أمريكا والغرب في قلوب الملوك والرؤساء العرب البعيدين عن حقيقة إيمانهم، ولا يلتزمون بإسلامهم حقاً وصدقاً، ولكن ظاهره أيضاً أنه انطلق من اليأس من أنفسنا ومن المستقبل، وأخيراً كما يبدو أنه انطلق من الإحباط الذي خيم على العقول والنفوس..

إن القضية هي قضية أمة وبلاد، قضية عقيدة وإيمان بالله تعالى، قضية مصير البلاد والعباد إلى زمن بعيد، وليست قضية هؤلاء الملوك والرؤساء وتلك الحكومات والأنظمة، فكل ذلك له عمر موقوت تبقى القضية.. إنها ليست قضية أهواء ومنافع

ومصالح خاصة، فكل ذلك فان ويبقى الحق وما ينفع الناس..

إن الذي وقع في الماضي والذي يقع الآن، وما سوف ينتهي إليه ـ إن استمرت هذه المنطلقات ـ خلال زمن قصير، ما كان ولا يمكن أن يكون، إذا استيقظت الشعوب، واستشعرت مسؤوليتها، وتولد عندها الوعي البصير، وترك الإيمان الصادق أثره في القلوب والنفوس..

سيجلس خلال أيام ـ في الجولة السادسة ـ ممثلون عن حكومات متعددة في لقاءات متوازية مع عدوّهم المشترك الذي لم يقبل بالجلوس معهم مجتمعين، وقبلوا بالتباحث في موضوعات محددة وفق الإجراءات التي أملاها العدو وكما يريد.. سيجلس هؤلاء وأولئك وهم بعيدون عن أدنى درجات الإحساس بالخطر المحدق بهم، ودون تجاوب مع حاجات الأمة والبلاد. ومقتضيات المصالح الجوهرية في هذه الظروف.. سيجلسون ويتباحثون وقد استسلموا وكأنه ليس هناك وطن مسلوب.. وحق مغصوب.. ومع من سيجلسون؟ إنهم يجلسون مع عدو مسلح بالأسلحة النووية وغيرها من أسلحة الدمار الشامل في منطقة يراد فقط للعرب فيها أن يكونوا منزوعين السلاح.. إن العدو يتسلح للعدوان المستمر، ولاغتصاب مزيد من الأرض ـ عندما تتهيأ الظروف والأسباب ـ على طريق تحقيق «إسرائيل الكبرى»، ولذلك لم يقبل بحال من الأحوال بوجود مندوب «الأمم المتحدة» حتى ولو كان صامتاً!!!

أولاً: تحديد صورة الوضع الحالي

يتحدث كثير من القادة والسياسيين ورجال الإعلام على أن هذا المؤتمر يعتبر مكسباً، ويأتي في ظروف تقف فيها الولايات المتحدة الأمريكية موقف المحايد، الذي يريد أن يحقق «السلام العادل الشامل» في المنطقة.. فهل هذه المزاعم صحيحة؟

١ ـ «المؤتمر الإقليمي للسلام» ليس جديداً

تبين لنا من خلال الاستقراء التاريخي للقضية أن هذا المؤتمر ليس جديداً،

وإنما توفرت الظروف والأسباب لانعقاده فالوضع الذي وصلت إليه الأنظمة العربية من التفرقة والتنازع والضعف والتبعية لم يسبق لها أن وصلت إليه، فالجميع يقفون أمام العدو وقد أصبح موقف الولايات المتحدة وليس أوضح منه في مساندة العدو والضغط على العرب والمسلمين، ولسان الحال يقول: أقبلوا بما يعطى لكم ـ إن أعطي شيء ـ وإلا حرمتم، واتركوا جانباً الحديث عن الحقوق الضائعة والشرعية المهدرة، فليس هناك حقوق ولا شرعية إلا بما تقبل به الولايات المتحدة الأمريكية التي لا تقبل في هذه القضية إلا بما تقبل به حكومة «الكيان الصهيوني»..

ولقد سبق أن أشرت إلى ضرورة رفع مفهوم «السلام العادل الشامل» من قاموس هذه القضية، إلا إذا كنا نعتقد بأن التسليم للعدو وبما اغتصب من الأرض عدل!! وإذا كان هذا عدل فما هو الظلم إذن؟!

كتب السيد/ ابراهيم نافع ـ رئيس تحرير الأهرام ـ في الأهرام الدولي بتاريخ ١٩٩٢/٢/٢٤ في موضوع: من الذي يهدد السلام؟ فقال: «وأمريكا من الناحية «الاستراتيجية» العالمية، وكزعيمة منفردة للعالم في الوقت الحاضر، لا تريد أن يصبح الشرق الأوسط منطقة ساخنة من جديد، **مما يؤثر على مصالحها الحيوية وخاصة البترول، بعد أن تمكنت في الواقع من السيطرة على أهم مصادره في الخليج**، وبالتالي من الاحتفاظ بأهم ورقة اقتصادية فعالة ضد منافسيها في أوروبا وآسيا، يمكنها استخدامها في السنوات القادمة عندما يتبلور «النظام العالمي الجديد»، وتتضح صور التكتلات الاقتصادية الرهيبة في السنوات القليلة القادمة».

ومن ذلك يتبين أن أمريكا ليست محايدة ولم تتحرك لتحقيق مصالح العرب والمسلمين وإنما تحركت لمصالحها ومصالح «الكيان الصهيوني»

٢ ـ مواقف الأطراف المختلفة

يمكن إيجازها على النحو التالي:

أ ـ موقف أمريكا:

ذكر السيد/كمال حسن علي موقف أمريكا في مجال التسليح فقال: (وأود أن

أشير هنا إلى أن الاتجاه الذي تم استخلاصه من المفاوضات والحوار المصري ـ الأمريكي، هو أن واشنطن لا ترغب في أن ترقى مساعداتها العسكرية لمصر سواء في الكم أو الكيف إلى مستوى ما تمنحه لـ «إسرائيل»[1] وأما موقفها السياسي فقد أعلن في رسالة التطمينات الأمريكية إلى حكومة «إسرائيل» والتي أكدت على:

(١) والحقيقة أنه بواسطة **مفاوضات مباشرة فقط** يمكن تحقيق سلام حقيقي **وأمن**.

(٢) هذا المسار من المفاوضات، **مبنى على العلاقات الفريدة بين دولتينا، التي تستند على قيم ومصالح مشتركة وعلى احترام الديمقراطية**. «فأين موضع البلدان العربية؟!».

(٣) إن التزاماتنا بأمن «إسرائيل» باقية على ما هي عليه. . ، **بما في ذلك الالتزام بتثبيت تفوقها النوعي**. .

(٤) وفقاً للسياسة التقليدية للولايات المتحد، **لا نؤيد إنشاء دولة فلسطينية مستقلة**.

(٥) لن تكون للمؤتمر قوة فرض حلول على الأطراف.

(٦) لا تؤيد الولايات المتحدة خلق ارتباط بين المفاوضات المختلفة لتحقيق تسوية شاملة.

ب ـ موقف أحزاب «الكيان الصهيوني»

بعد فوز حزب العمل في الانتخابات وتكليف رابين بتشكيل حكومة «الكيان الصهيوني» هلل كثير من القادة ورجال السياسة والإعلام لهذا التغيير، وكأن وضعاً جديداً قد نشأ، والحق أن هذه القضية محسومة من زمن طويل، ونذكر هنا بما قاله كمال حسن علي بوصفه أحد محاور المفاوضات مع «الكيان الصهيوني» فيما سمي «اتفاقية السلام مع مصر» حيث قال: «إن كل التناقضات بين الأحزاب «الإسرائيلية» تختفي عندما يتعلق الأمر بالحل المنتظر للقضية الفلسطينية، إذ يتحد الجميع في ضرورة سيطرة «إسرائيل» على الأرض المحتلة، واستحالة الموافقة على قيام دولة

فلسطينية مستقلة أو التفريط في القدس.

فموضوع الأمن إذن تتساوى فيه كل الكتل والأحزاب «الإسرائيلية»، كما تتساوى جميعاً في فكرة عدم قبول إنشاء دولة فلسطينية مستقلة على حدود «إسرائيل» لما في ذلك من مخاطر تحولها إلى قوة يسارية تعود لتهديد الأمن في المنطقة، علاوة على أن الأمن «الإسرائيلي» **في نظر كل الأحزاب يجب أن يعتمد على توازن عسكري بين «إسرائيل» والدولة العربية مجتمعة لصالح «إسرائيل»**، وهو لا يستلزم فقط التفوق في السلاح، ولكن أيضاً في حدود لا يمكن اختراقها، وعمق يكفي للدفاع ضد أي أعمال معادية»[٢]

أما أمن المنطقة من وجهة نظر «الكيان الصهيوني»[٣] فقد تعرضت له في معالجة موضوع حرب الخليج ـ مقدمات ونتائج وأوجزه هنا فأقول: «يؤمن زعماء الحركة الصهيونية بأن: أمن «الكيان الصهيوني» ووجوده مرتبط بأمن المنطقة التي زُرِعَ فيها، ويعتمد هؤلاء على النظرية القائلة بأن الأمن يتحقق لأحد الطرفين فقط، ولذلك فهم يتخذون جميع الأسباب والسبل التي من شأنها تمزيق الأمة الإسلامية عامة والعربية منها خاصة، ويُذَكّون الصراعات بين البلاد العربية، ويشعلون الفتن التي تساعد على نشوء حروب بين شعوب المنطقة، حتى يضعف الاقتصاد من ناحية ويفقد العرب توازنهم في مواجهة عدوهم من ناحية أخرى..

ومن الأقوال التي تكشف النوايا الصهيونية تجاه العرب ما كتبه الكاتب ديفيد كاما في كتابه: «الصراع لماذا؟ وإلى متى؟ أقتبس منه قوله: «إن هناك وطناً واحداً للعرب عائداً لهم وليسوا غرباء فيه، ألا وهو الجزيرة العربية، أما بقية البلاد التي يقيمون الآن عليها فليسوا سوى محتلين لها مسيطرين عليها، ويقيمون امبراطورية مغتصبة، ويستنكرون وبكل وقاحة الحقوق الطبيعية للشعوب التي لها الحق الشرعي في هذه المنطقة قبل الاحتلال العربي، إلا أن هذه الشعوب، أصبحت الآن شعوباً وطوائف لاجئة في «الشرق الأوسط»، لها كل الحق في تقرير المصير والاستقلال السياسي، وهناك عبء في الحقوق أو الواجبات ملقى على كاهل

«الاسرائيليين» كي يقدموا يد العون إلى اولئك المتعفنين في عبوديتهم في السجن العربي، لذا يجب إيجاد لغة مشتركة وطريق عمل واحدة مع الأكراد في العراق، والدروز في سورية، والزنوج في السودان والموارنة في لبنان والاقباط في مصر، وسائر أبناء الشعوب والديانات التي تحارب سوية من أجل التحرير والاستقلال، إن من العدالة والنزاهة والحكمة السياسية أن تعمل «إسرائيل» على الفك التام للامبراطورية التي تعتبر آخر امبراطوريات الماضي التي انتهت في عصرنا».

أما هرتزل فقد كان واضحاً كل الوضوح حيث قال: «إن ما يلزمنا ليس الجزيرة العربية الموحدة، وإنما الجزيرة العربية الضعيفة المشتتة المقسمة إلى عديد من الإمارات الصغيرة الواقعة تحت سيادتنا والمحرومة من إمكان الاتحاد ضدنا».

ولعل هذا يكشف لنا السر في أن «الكيان الصهيوني» لا يقبل أن تكون للعرب قوة في بلد واحد من بلدانهم ـ كما ظهر في حالة العراق ـ يمكن أن تهدد أمنه مستقبلاً، فمن باب أولى لا يقبل لهم قوة اتحادية بحال من الأحوال..

حـ ـ موقف البلاد العربية

إن الذي يستقريء موقف البلاد العربية يتبين له، بالإضافة إلى تفرقها أنها جميعاً عاجزة متخاذلة مستسلمة إلى أبعد الحدود، وفي كثير من الأحيان موقفها موقف التواطؤ والخيانة، ولقد تعودت الشعوب أن تلقي اللوم مع الغرب والاستعمار والصهيونية على الحكومات، فالحكومات هي وحدها المسؤولة، والشعوب بخير حال!!! والحق أن الشعوب مع حكوماتها في خندق واحد، إن الله تعالى لما بين لنا ظلم الطغاة حدد أنه يرجع إلى فسادهم، فقال تعالى: ﴿**إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين**﴾ (القصص: ٤)؛ بين أن الطغاة لا يمكن أن يصنعوا ذلك بشعوبهم إلا إذا كان الملأ الفاسقاً وكانت الصفة الغالبة على الشعب هي الفسوق فقال عز من قائل: ﴿**فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملائه إنهم كانوا قوماً فاسقين**﴾ (القصص: ٣٢)، وقال تبارك وتعالى: ﴿**فاستخف قومه فأطاعوه إنهم**

كانوا قوماً فاسقين﴾ (الزخرف: ٥٤)

إننا معشر العرب والمسلمين، حكاماً ومحكومين، عَلّمنا ديننا الاستفادة من التجربة فقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين» (رواه البخاري) وما زلنا نلدغ مرة بعد مرة بعد مرة من نفس الجحر!!! نحن اليوم أشد ضعفاً وخزياً واستسلاماً مما كنا عليه سنة ١٩٤٨م عندما حدثت النكبة الأولى في فلسطين، يذبحنا العدو ونحن نمد رقابنا للعدو، يتآمر علينا الغرب والأمريكان لصالح الصهيونية والاستعمار، ونحن نمد أيدينا للمتآمرين علينا، ولم نستوعب حقيقة ما حدث حتى الآن!!! لم نُعْرَف أمة في التاريخ أشد فقداً للإحساس وتفريطاً في المسؤولية منا معشر المسلمين في هذه الأيام..

ثانياً: حقائق يجب أن تكون واضحة

هناك جملة من الحقائق التي تحتاج إلى بيان واستيعاب منها:

١ ـ ما يتم التفاوض عليه مع العدو الغاصب ليس هدنة مؤقتة دعت الضرورة إليها، وإنما هي مباحثات تهدف إلى إنهاء حالة العداوة بين المسلمين والصهيونيين، الذين اغتصبوا الأرض وهتكوا العرض وقتلوا النساء والرجال والشيوخ والأطفال.. وشردوا أبناء فلسطين، وهذه المفاوضات بهذا الهدف مرفوضة شرعاً وعقلاً ومصلحة.

٢ ـ الذين يجلسون للتسليم للعدو بما اغتصب على الأقل قبل سنة ١٩٦٧م ناس لم تفوضهم الأمة، وهم لا يمثلونها، ولا يؤتمنون على مصالحها، لأنهم يصدرون عن أنظمة حكم وعقائد مخالفة للإسلام.

٣ ـ سبق أن بينت في البحث السادس أن جهود المصالحة تنطلق من خطة لها أبعادها، وسوف تنتهي ـ لا قدر الله ـ إلى تطبيع العلاقات والتعامل التجاري وتبادل الخبرات والمعلومات والثقافة.. الخ مما سيشيع الفساد، وتقع البلاد تحت السيطرة والهيمنة الصهيونية والاستعمار والخضوع لمصالح الغرب والأمريكان..

٤ ـ لكل مسلم، بل لكل عاقل أن يسأل القادة والساسة العرب والفلسطينيين،

الذين يتفاوضون مع العدو تحت هذه الشروط والقيود: لماذ نسلم هذا التسليم، ونخضع هذا الخضوع؟! ولماذ يفرض علينا أن نصاع للقوة ويفرض علينا الأمر الواقع؟ ألا تعلموا أن طول مدة الظلم لا يخلق حقاً؟ ألم تسمعوا أن بولندا اختفت من خريطة أوروبا طيلة قرن ونصف «من سنة ١٧٦٤م إلى سنة ١٩١٤م،» ولم يعتبر ذلك البلد كأن لم يكن له وجود؟ وهل لكم أن تستوعبوا: أن نهوض بولندا من العدم مرة أخرى لم يتم إلا لأن شعبها رفض الظلم الأجنبي والقهر؟!

ألم تعلموا أن الاتحاد السوفييتي قد انهار وهو يُعَدّ القوة العظمى الثانية في العالم؟ وهل انهيار الولايات المتحدة الأمريكية أمر مستبعد الحدوث؟

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملو﴾(الحشر: ١٨)

٥ ـ إنني أعتقد أننا انهزمنا لا لأننا ما أعددنا وخططنا وأخذنا بالأسباب، وإنما لأننا خالفنا الأوامر الإلهية، فالغلبة في النهاية للحق، وإن انتصر الباطل في جولة فليس معناها أن النصر للباطل على الدوام، قال تعال﴿**يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخفون لومة لأئم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم، إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون * يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين**(المائدة: ٥٤ ـ ٥٧)

٦ ـ أخشى أن يجد بوش من أحد محبيه من يسوغ له الخطوة الأخيرة التي اتخذها قبل أيام عندما زار إسحاق رابين أمريكا، حيث وافق بوش على إعطاء (١٠) مليارات «بليون» دولار تسهيلات قروض فتراجع بذلك عن موقفه المعلن «وهو من قبل موقف صوري من قبيل ذر الرماد في العيون»؛ فأخشى أن يوجد من يقول ما

قاله السادات من قبل في أيام كارتر، حين سئل عن مواقفه المتنازلة فأجاب: وجدت كارتر في وضع صعب وشعبيته تدنت، ففلت علينا أن نساعده للنجاح في مسعاه لحل القضية، فَسلّفته موقف من أجل أن ينجح في الانتخابات، فيساعدنا في المستقبل»، وهكذا أخذ كارتر الموقف وأعطاه لبيجن، وذهب كارتر وهلك بيجن ومات السادات، وضاعت الأرض المقدسة؛ رغم أن السادات كان قد تعهد أمام مجلس الشعب المصري بعد عودته من القدس المحتلة، بعدم التفريط بأي حق تاريخي أو قانوني للأمة العربية، ولن يقبل تسوية لا تضمن عودة الأرض وإقامة دولة فلسطين. . . !!!

٧ ـ ما زال التضليل الإعلامي هو الغالب، بل أصبح فلسفة، وعلى سبيل المثال؛ انظر إلى التناقض في مقطع واحد من مقال طويل لرئيس تحرير جريدة الأهرام، المنشور بتاريخ ١٩٩١/١١/٨ في الأهرام الدولي:

«**لذلك يربط الرئيس الأمريكي بوش بين خفض العجز في الميزانية وبين أن تصبح «إسرائيل» دولة في المنطقة، قادرة على التعايش والتجارة والتبادل مع دولها وهذا يعني تصفية حالة العداء وهذا يعني الاستقرار، والاستقرار يعني السلام،** والسلام يعني أن تعود إسرائيل إلى حجمها الطبيعي وأن تتحرر الأرض العربية وأن **يقرر الفلسطينيون مصيرهم بأنفسهم وأن تصبح دولتهم** «الكونفيدرالية» مع أي بلد من البلاد حقيقة واقعة، ليس فقط مع الأردن حيث أن خطاب الضمان الأخير الذي قدمته الولايات المتحدة للفلسطينيين قد ذكر «الكونفيدرالية» دون أن يقيدها ببلد ما، وأن كان من الواضح أن الأردنيين والفلسطينيين يرغبون في إقامة هذا الكيان «الكونفيدرالي» معا.»

إذن لا سفر أمام الرئيس بوش إلا أن يدخل الانتخابات بوجهي العملة الواحدة وهما وجه الانتصار على المعتدي في حرب الخليج ووجه الانتصار للسلام والتعايش في منطقة الشرق الأوسط.

وإلا فسوف يواجه من الشعب الأمريكي على الأقل بسؤال كبير هو: كيف

تصرفت ولا تزال تتصرف بهذا الموقف الحاسم مع صدام العرب ولا تطبق نفس المعايير، وتتصرف التصرف نفسه مع صدام إسرائيل؟.

الأمر الواضح الآن وضوح شمس الظهيرة أن هناك اتفاقاً عربياً على الرهان على استمرار مؤتمر السلام، وعلى نجاحه بينما الرهان الإسرائيلي يقوم على ضرورة كسر المؤتمر وإحباطه.

والواضح الآن وضوح شمس الظهيرة، أنه إذا كانت مهمة إحباط المؤتمر هي مهمة إسرائيلية بحتة... فإن مهمة إنجاح المؤتمر هي مهمة عالمية تتعامل معها كل القوى الدولية.

إن أمام العالم الآن طريقين طريق السلامة وطريق الندامة ولقد دخل شامير مع كتلة الليكود في إسرائيل طريق الندامة الذي لايريد مبادلة الأرض بالسلام ولا يريد أن يوقف بناء المستوطنات ولا يريد أن يعترف بأن هناك أرضاً محتلة ويريد سلاماً دون أن يقدم مقابلاً له... ولكن هل سيتركه العالم وهل يتركه حتى شعبه يطفىء ضوء الشمس؟.

لقد اختار العرب طريق السلامة.. ومن خلفهم كل شعوب العالم وحكوماته فالسلام هو الحياة، والحياة بغير سلام هي والموت واحد.»

ثالثاً: لماذا هذا الاستسلام؟

أيها المسلمون: إعلموا أنه إذا تم لحكومة «الكيان الصهيوني» ما تخطط له أمريكا وتسعى إليه البلاد العربية، فإن «معاهدات السلام» ستفتح الحدود أمام الهيود، وبذلك يصبحون أقدر على تنفيذ مخططاتهم البعيدة المدى، وتنفتح السبل أمام تحقيق حلم إقامة «إسرائيل الكبرى» وسوف يجد «الكيان الصهيوني» مستقبلاً ألف سبيل وسبيل لتوسع جديد إذا لزم الأمر، حتى يبلغ الصهاينة بحدودهم وسلطانهم إلى أقصى ما يحتاجون، «إن لهم مطامع في الجيزة حيث توجد الأهرامات التي شيدها أجدادهم كما قال بيجن في خطبة في فندق «مينا هوس»، ولهم مطامع في المدينة المنورة حيث يوجد قبر الرسول ـ صلى الله تعالى عليه وآله

وسلم ـ، وإذا كنا قد ضيعنا الأقصى ومسجد قبة الصخرة فهل يصل بنا الحال أن ننتظر حتى يصلوا إلى المدينه؟!

يا أيها المسلمون: هل تعلمون أن اليهود الذين يُرحّلون إلى فلسطين ويزعمون أنهم يريدون التمسك بما في التوراة لا علاقة لهم بأسباط الهود الإثني عشر الوارد ذكرهم في التوراة؟ لقد كتب السيد/آرثر كستلر كتاباً بعنون «القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم» وترجمه إلى العربية أحمد نجيب هاشم، بين فيه أن يهود «الدولة الصهيونية» لا علاقة لهم بيهود التوراة، وأن القسم الأعظم منهم ينحدرون من «القبيلة الثالثة عشرة»، التي ما زال تاريخها يسوده الغموض حتى اليوم، وبذلك يسقط أحد أهم مرتكزات الدولة «الصهيونية» في ربط وجودها بروابط دينية تحت الدعوى العرقية القائلة بالحقوق الدينية والتاريخية لليهود في أرض فلسطين!!!

نعم أيها المسلمون، القبيلة الثالثة عشة التي وجدت في دولة الخزر التي قامت في القرن الثالث الميلادي لفترة من زمان، وجدت في منطقة القفقاز «القوقاز»، ونحن العرب والمسلمون لا نفكر بجد وإخلاص ونعيش ساعتنا الحاضرة، نحن سطحيون، جاهلون، نفتقر إلى الوعي، لا نستطيع أن نصل الماضي بالحاضي والمستقبل وإذا فهما الأحداث لا نعمل، ولا نستعد الاستعداد الكافي لمواجه أحداث المستقبل، ولنقوم بواجبنا على أفضل وجه، نحن عاطفيون، نتأثر وننفعل عاطفياً ووقتياً عند وقوع الحوادث والنوازل، ولكننا يصنع بنا ذلك وباستمرار من عشرات السنين، ونحن لا نستيقظ ولا ننتبه ولا نتعلم من التجارب، نذبح في تاريخياً منذ دير ياسين وحادثة قبية.. ومروراً بصبرا وشاتيلا.. وحتى الآن في البوسنة والهرسك..!!!، ارتكب الإرهابيون اليهود كل فظيع من الفظائع التي يعجز الكلام عن وصفها، ثم نجد من القادة العرب والساسة العرب من يجلس مع هؤلاء.. يجلسون مع بيجن وشامير.. نعم يجلسون مع أبطال المذابح.. مع القتلة المجرمين!!!

إن يهود الشتات لا علاقة لهم بالأسباط، وإنما هم يهود آخرون اعتنقوا اليهودية

في ظروف تاريخية وسياسية معينة.. يذكر كيستلر ـ وهو يهودي ولد في بودابست سنة ١٩٠٥م وكان عضوا في منظمة أحد مؤسسي الإرهاب الصهيوني هو جابوتنسكي ـ أمثلة عديدة تظهر كيف أبيد اليهود الذين أخرجوا من فلسطين في عهد الرومان؟ وكيف أهلك الطاعون المجتمات اليهودية في فرنسا وألمانيا في القرن الرابع عشر؟! مما جعل غرب أووربا خالياً من اليهود لفترة من الفترات ما عدا من كان منهم في أسبانيا!![٤]

أيها المسلمون: لماذا نجعل الحكام سقفاً لمطامحنا وآملنا ولا تكون لنا مثلنا العليا؟! إذا كان الحكام في حالة اضطرار ـ وأعتقد أنهم غير مضطرين ـ لأن يسلموا لعدوهم ويجلسوا معه.. لماذا لا تقف الشعوب الإسلامية المواقف التي يطلبها منها دينها وربها؟

إننا معشر المسلمين أصحاب الحق المشروع، إن العرب عاشوا بلا انقطاع في هذه الأرض ـ التي يزعم الصهيونيون أنها لهم أكثر من ٤٥٠٠ سنة، والعرب المسلمون استقروا في فلسطين منذ الفتح الإسلامي وحتى الآن أي قرابة ١٤٠٠ سنة، إننا نعدُّ في جامعة الدول العربية «٢٢ دولة»، وفي المؤتمر الإسلامي أكثر من خمسين دولة»، أرض العرب فقط تزيد مئات المرات على الأرض المحتلة في الوقت الحاضر، وعدد العرب فقط يزيد أربعين ضعفاً عن عدد اليهود المستوطنين في فلسطين، وعندنا من الثروات، ومن الإمكانات ما لا يقارن بما عند يهود العالم، ومع ذلك لا نجد لأنفسنا طريقاً إلا التسليم للصهاينة بأرضنا وحقنا!!

وهنا أجيب على سؤال: لماذا تصر حكومات «الكيان الصهيوني» على المفاوضات المباشرة رغم أن المؤسسات الدولية لم تكن يوماً ضدها؟ فأقول:

إن المفاوضات ـ بين المفاوض العربي والمفاوض الصهيوني ـ فلا تفرض شروط على الصهانية، وإنما الصهاينة هم الذين يفرضون شروطهم، فالعرب جميعاً بموقف الضعف أمام عدوهم، فكيف إذا كان كل طرف منهم على حده؟ «الكيان الصهيوني» بتفوقه العسكري إذا جلس مع الأنظمة العربية بمعزل عن المؤسسات

الدولية فهو قادر على أن يضطرهم إلى أن يقبلوا بشروطه، أو تبقى الأوضاع معلقة باستمرار، والزمن دائماً ـ ما بقيت الأوضاع على ما هي عليه ـ في صالح «الكيان الصهيوني» ومن هنا كان إصرار «الكيان الصهيوني» على المفاوضات المباشرة ومع كل نظام على انفراد..

أيها العرب والمسلمون: إذا كنا لا نريد أن نتعلم من التاريخ فلنتعلم من عدونا الذي يلقننا الدرس بعد الدرس؛ لقد تكلم بيجن عندما خطب السادات في «الكنيست» فرد عليه قائلاً: لقد تكلم الرئيس ـ يعني السادات ـ عن تصريح بلفور، كلا يا سيدي نحن لم نأخذ أي أرض أجنبية، لقد عدنا إلى وطننا، فالرابطة بين شعبنا وبين هذه الأرض هي رابطة أبدية، هذه الرابطة انعقدت في فجر التاريخ الإنساني، وما انقطعت أبداً، فوق هذه الأرض أبدعنا ثقافتنا وحضارتنا.. هنا نطق أنبياؤنا بكلامهم المقدس، الكلام الذي ما يزال يسمع هذا اليوم، والذي سمع من قبل في هذا المكان المحاط بالأسوار، هنا حكم ملوك يهوذا وإسرائيل. هنا أصبحنا شعباً.. هنا شيدنا مملكتنا..

وعندما أخذنا طريق المنفى مدفوعين إليه بالقوة، عندما ابتعدنا عن أرضنا، ما نسينا هذه الأرض يوماً واحداً، صلينا..، كابدنا آلام الحنين.. افتقدنا.. عشنا مرارة الفقد. **وآمنا بالعودة إلى هذه الأرض منذ اليوم الذي لفظت فيه هذه الكلمات: «عد عد إلى صهيون»**، وعندما فكرنا بالعودة إلى صهيون كنا كأننا في حلم، وكانت قلوبنا مترعة بالفرح، وهذا النشيد تنني به في كل البلاد التي كنا فيها في المنفى...

أما إسحق شامير فقد جاء في خطابه في مدريد ـ وإن كان الخطاب كله يحتاج إلى استيعاب ـ مايلي: «.. إن الأمم المتحدة لم تخلق «إسرائيل». لقد قامت الدولة اليهودية وتكونت، **لأن الطائفة اليهودية الصغيرة التي كانت تقيم في أرض فلسطين تحت الانتداب ثارت على الحكم الأجنبي الامبريالي.**

إننا لم نحتل أرضاً أجنبية، ولكننا صددنا هجوماً عربياً، وحُلْنا دون إبادة شعب

«إسـرائيـل» وأعلنـا الاستقلال، وأقمنا دولة ومؤسسات حكومية ثابتة خلال فترة قصيرة، وبعد إخفاق الهجوم على «إسرائيل» واصلت الأنظمة العربية حربها ضد «إسرائيل» عن طريق المقاطعة والحصار والإرهاب وحروب المواجهة.

ألا ما أبعد الفرق بين الصهاينة وقادة العرب، إن ناساً انقطع وجودهم كأصحاب سلطان في فلسطين منذ أكثر من ٢٥٠٠ سنة، لم ينسوا هذه الأرض التي لم تكن بالأصل لهم، فقد بقيت في قلوبهم، ثم تجدد تصميمهم للرجوع إليها من بعد، وأما القادة العرب فيعلنون تخليهم عن أرضهم ولم يمر على اغتصابها بعد أكثر من ٥٥ سنة!!

ألا ما أحوجنا في هذه الأيام لأن نحيي في قلوبنا ما جاء بكلمة الأستاذ عصام العطار من المعاني النبيلة الكريمة التي غابت من حياتنا.. إنه يقول:

«لا تيأسوا أيّها المسلمون

لا تيأسوا من أنفسكم

لا تيأسوا من مستقبلكم

لا تيأسوا من ربّكم

لا تيأسوا، فإنّ اليأس هو الموت، وهذا ما يريده لكم أعداؤكم: هذا ما تريده «إسرائيل»، وما يريده الشّرق والغرب، ومَنْ يعيشون بينكم من عبيد الشّرق والغرب واعين أو غير واعين ما يقترفون

لا تيأسوا أيّها المسلمون

لا تيأسوا رغم هزائمكم في كلّ مكان، وتخلّفكم في كلّ ميدان، وانقسامكم على كلّ صعيد، وانشغالكم بالتوافه والصّغائر عن عظائم الأمور.

لا تيأسوا فإنّ بإمكانكم أن تتجاوزوا كلّ هذه السّلبيّات بمعرفتها ومعرفة أسبابها، وبالألم الصّادق منها، والرّفض الكامل لها، والتّصميم القاطع على تجاوزها مهما كلّف ذلك من جهد وصبر وتضحيات

لا تيأسوا أيّها المسلمون

لا تيأسوا، فلعلّ النّكبات التي نزلت بكم، والتّجارب التي روّعتكم ولوّعتكم، والنّيران التي أحرقتكم وصهرتكم، قد كشفت عن أعينكم الحجب، ونفت عن نفوسكم الخَبَث، وميّزت لكم بين الحقّ والباطل، والصّحيح والزّائف، والصّدق والكذب، وبيّنت لكم بما لا يدع مجالا لشكّ أو لَبْس أنّه لا مُعْتَمَدَ لكم إلّا الله، ولا طريق لكم إلّا الاسلام، وأنّ ما انخدع به كثيرٌ منكم من الشّعارات والدّعوات، ومن صداقة الشّرق والغرب لم يكن في حقيقته إلّا ﴿**كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمآن ماءً حتّى إذا جاءَهُ لم يجدهُ شيئا**﴾ (النور: ٣٩) وهذا كلُّه يُعِدُّكم من خلال الآلام العميقة، والتّجارب المريرة والرّؤية الدّاخلية والخارجيّة الواضحة، لانطلاقةٍ جديدةٍ واعية مصممة على طريق الإسلام العظيم؛ طريق المستقبل العظيم لكم ولكلّ البشر

لا تيأسوا أيّها المسلمون

لا تيأسوا، فالإسلام ـ إن رجعتم إلى الإسلام ـ يضع في أيديكم مفاتيح التّغيير الضّروريّ المنشود

اقرؤوا قولَ الله عزّ وجلّ: ﴿**وما أصابكم من مصيبةٍ فَبِما كَسَبَتْ أيديكم ويعفو عن كثير**﴾ (الشورى: ٣٠)

وقول الله عز وجل ﴿**إنّ الله لا يغيرُ ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ (الرعد: ١١)

ففي هاتين الآيتين الكريمتين سرُّ دائكم ودوائِكم، وتخلّفِكم وتقدّمِكم، وضعفكم وقوّتكم، وهزيمتكم ونصركم في كلّ زمان ومكان وميدان

لا تيأسوا أيّها المسلمون

لا تيأسوا، فالإسلامُ ـ إن صدَقْتُم الرّجعة إلى الإسلام ـ يمنحكم عقيدة أرسخ من الجبال، وأقوى من الطّاغوت، وأبقى من الدنّيا، ويرفعكم إلى مستوى أهدافه الكبار الكبار، ويوحّد بعقيدته وأهدافه ومنهجه قلوبكم وصفوفَكم المفرقة، ويجمع عليها جهودكم وطاقاتكم المبعثرة المبدّدة، ويحفزكم ويولّد فيكم طاقات لم تكن من قبل، ويقود خطاكم وخطى البشر بكم إلى خير الدنّيا والآخرة

لا تيأسوا أيّها المسلمون

لا تيأسوا، فإنّنا نملك كلّ أسباب التّغيير، وكلّ أسباب النّهوض، وكلّ أسباب النّصر. . إن صدقنا مع الله، وصدقنا مع أنفسنا، وصدقنا العمل والجهد والجهاد في سبيل الله عزّ جلّ

إننا نملك الإيمان والإرادة والثّقة المطلقة بنصر الله إن نصرناه

إنّنا نملك المنهج الإلهيّ الأقوم في كلّ جانب من جوانب الحياة

إنّنا نملك الإمكانات البشريّة والاقتصادية والاستراتيجية الضخمة

إنّنا نملك كلّ المؤهلات اللازمة لتجاوز واقعنا الفاسد الوضيع، وسلبيّاتنا الكثيرة المهلكة

فتعالوا ـ أيّها المسلمون ـ نغيّر ما بأنفسنا، حتّى يغيّر الله ما بنا. . تعالوا نحدث الانقلاب الإسلامي المنشود في حياتنا ومجتمعاتنا، حتّى تنطوي صفحة الماضي الذليل الحقير، وتنفتح صفحة المستقبل العزيز الجليل. . تعالوا تعالوا ولا تعودوا إلى الغفلة والضّلال، وإلى سبل الفرقة والضّياع والهلاك

ولْيَعْمُرِ الأملُ صدوركم أيّها المسلمون

الأملُ في أمّتكم

والأملُ في أنفسكم

والأملُ في مستقبلكم

والأملُ في ربكم وفي نصره الموعود، ولتقرنوا الأمل بالعمل الجادّ المخلص البصير، فلا جدوى لأملٍ دون عمل ولا تيأسوا أبداً أبداً مهما كانت الظروف، فاليأس والإيمان ضدّان لا يجتمعان **﴿إنّه لا ييأسُ من رَوْحِ الله إلّا القوم الكافرون﴾** (يوسف: ٨٧)» [٥]

ألا ما أحوجنا لتدبر هذه الصرخة والتفاعل معها واثقين كل الثقة بنصر الله عز وجل إن أخلصنا وبذلنا كل ما في وسعنا مستحضرين معنى قول الله سبحانه وتعالى: **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾** (العنكبوت: ٦٩).

(١) كمال حسن علي، مرجع سابق، ص ٢٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٤٤ و٣٤٥.

(٣) متولي سوسى، مرجع سابق، ص ١٠٣ و١٠٤.

(٤) آرثر كيستلر، ترجمة: أحمد نجيب هاشم، سلسلة الألف كتاب الثاني هيئة الكتاب، القاهرة، وقد نشرت جريدة الحياة بتاريخ ١٠/ ٨/ ١٩٩٢م تعريفاً بالكتاب وأهم الأفكار الواردة فيه.

(٥) عصام العطار، من بقايا الأيام، الجزء الأول ـ الدار الإسلامية للإعلام، بون ـ ألمانيا الاتحادية، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٣٩ ـ ١٤٤.

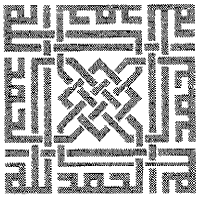

الدار الإسلامية للإعلام